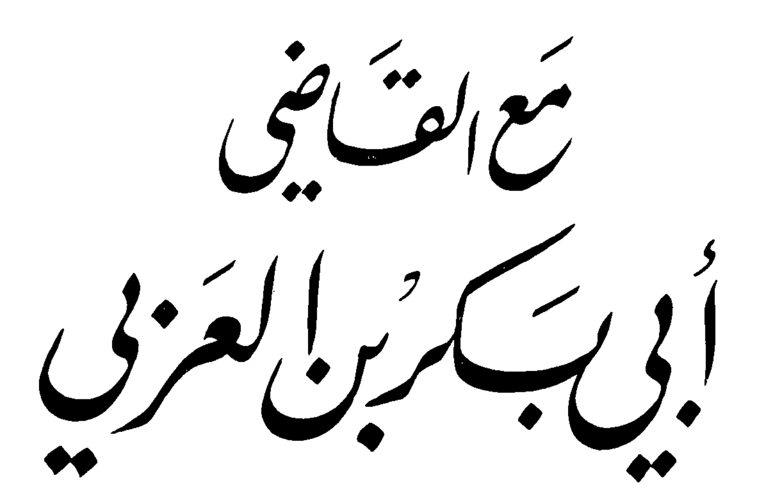
الجمعيّة المغربيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر



سعيد أعراب



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

1407 - 1987

دار الغرب الإسلامي

ص.ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com



مع القاضي

أبي بكر بن العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

قدر لي أن أعيش برهة من الزمن مع القاضي ابن العربي[1]، وأن أرافقه في حله وترحاله، وتجواله ومغامراته؛ في مصر والشام، وبغداد والحجاز، وفي إفريقية والمغرب ـ حيث انتهى به المطاف.

واصطحبناه في دروس الطرطوشي، وأمالي الشاشي، وحلقات الغزالي؛ وفي محاضراته، وأسماره وأخباره، ونسكه وتهجده، وفي مكتبه ومتعبده...

وجلسنا إليه في إملاءاته بإشبيلية وقرطبة، وندواته بمراكش وفاس؛ واستمتعنا بمجالسه العلمية التي كان يعبق شذاها في كل ناد، ويطيب جناها أينما حل وارتحل.

وعشنا معه لحظات سعدنا بها، وأود أن لو وفقت لأرسم لمحات عن هذا التطواف الطويل المدى، البعيد المنتحى؛ والذي كان فيه ابن العربي سفير المغرب إلى المشرق، وداعي الوحدة بين الإخوة ـ والصليبيون يتآمرون على الإسلام في الشرق والغرب؛ وشاهد مأساة القدس ـ بعد أن عاش بها ذكريات وذكريات... وما أشبه اليوم بالبارحة!.

وقد سجل ابن العربي هذه الارتسامات اللطاف في شبه مذكرات، حررها بأسلوب أدبي رفيع، فكان بحق رائد هذا الفن، وأول من شق الطريق أمام الرحل بالغرب الإسلامي.

وعنونها بـ «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة»، صور فيها الحياة الفكرية والاجتماعية بأقطار المشرق العربي في القرن الخامس الهجري؛ ووصف كثيراً من مدنها، ووقف طويلاً عند بيت المقدس وأماكنها المقدسة.

وتحدث عن الشيوخ الذين لقيهم بمصر، وبيت المقدس، وعسقلان، ودمشق، وبغداد، والحرمين الشريفين؛ ودون رواياته عنهم، وأحاديثه معهم...

ويذكر ابن العربي أن هذا الكتاب ضاع منه في جملة ما ضاع من كتبه، وربما كان مما التهمته النيران في حادثة تسور الغوغاء عليه داره أيام قضائه بإشبيلية[4].

ومن حسن الحظ أن أثبت خلاصته في مقدمة كتابه «قانون التأويل»، فارتأيت أن أجرده وألحقه بهذه الدراسة - تعميماً للفائدة، والله الموفق.

تطوان ٢٤ رجب ١٤٠٦ هـ

٤ أبريل ١٩٨٦ م

---

(1) أصل هذا الكتاب مقالات نشرت بمجلة «دعوة الحق» في سنوات (1971 - 1979).

(2) انظر ابن خلدون، المقدمة ص 411، والعبر 6 / 386.

(3) انظر الأحكام لابن العربي 2 / 56.

(4) انظر العواصم من القواصم 401/2، وبيوتات فاس الكبرى ص 61.

القسم الأول

أبو بكر بن العربي

- حياته وآثاره -



الفصل الأوّل

نشأته وحياته التعليميّة

اسمه ونسبه:

وابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن العربي المعافري ـ نسبة إلى معافر بن يعفر بن مالك بـن الحارث بن مرة بن أدد. . . ينتهي نسبه إلى قحطان.

قال ابن حزم ـ وهو يتحدث عن نسب بني معافر ـ: وهم باليمن، والأندلس، ومصر؛ وذكر منهم بني أبي عامر بقرطبة، وآل جحاف ببلنسية، وبني منخل بجيان. . . قال: وهم بيوت متفرقة بالأندلس، ليست لهم دار جامعة[5]. ولـم يذكر ابن حزم آل ابن العربي، ولعله اقتصر على البيوتات الشهيرة لذلك العهد، وشهرة آل ابن العربي ربما جاءت بعد.

والده وأسرة أمه:

ووالـده هو أبـو محمد عبـدالله بن محمد بن عبـدالله بن العربي

(5) انظر ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص418 .

(435-493)، من وجوه علماء إشبيلية، ومن أعيانها البارزين؛ استوزره بنو عباد، ونال عندهم حظوة كبرى، وكان من أهل الآداب الواسعة، والتفنن والبراعة؛ وهو الذي رفع عماد بيت آل ابن العربي بإشبيلية، وأناله الشهرة الفائقة، وأضفى عليه من أبهة الرياسة وجاهه العريض.

قال فيه معاصره الفتح بن خاقان: كان بإشبيلية بدراً في فلكها، وصدراً في مجلس ملكها؛ اصطفاه ابن عباد، اصطفاء المأمون لابن دؤاد؛ وولاه الولايات الشريفة، وبوأه المراتب المنيفة[6]...

وقد صاهر أبو محمد بن العربي أسرة تشاطره الرياسة، وتتقاسمه السياسة؛ تلك أسرة أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني (392 ـ 460) ـ عالم الأندلس ومحدثها، زاحم المعتضد بن عباد في الاستئثار ففتك به، وقتله بيده، وهيل عليه التراب في قصره[7].

ومما كتب به إليه ـ يحرضه على الجهاد، ويستحثه للدفاع عن حوزة البلاد:

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالة ما مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة ... وإن طال فالموصوف للطول موضع
إذا لم أبث الداء رب شكاية ... أضعت ـ وأهل للملام المضيع

ثم وصله بنثر طويل، كله نصح وإرشاد[8]... ولكن هيهات أن ينفع النصح من أعمتهم الرئاسة، ودفعتهم بهرجة الملك ـ إلى أن يدفعوا الإتاوة لعدوهم، ويرضوا من الغنيمة بالإياب!

وكان المعتضد سفاكاً للدماء، شديد البطش بمنافسيه، يفتك بهم لأدنى سبب؛ وقد أفاضت كتب التاريخ في وصف حديقة الرؤوس المحنطة التي

---

(6) انظر المطمح ص 62.

(7) انظر ابن بسام، الذخيرة م 1 ـ ق 81/2-90.

(8) المصدر نفسه.

أودعها هام الملوك والرؤساء الذين أبادهم بسيفه[9].

وكان لذلك كله أثره على بيت الهوزني، فأبى ولده أبو القاسم (435 ـ 512) ـ وهو العالم الأديب، والفقيه المشاور؛ إلا أن يثأر لوالده ـ وقد بدت سحب كثيفة في العلاقة بين المرابطين وأمراء إشبيلية، فاتصل بيوسف بن تاشفين، وجعل يحرضه على ابن عباد حتى أطاح بدولته، وأزال ملكه[10].

نشأته وتعليمه:

في مدينة إشبيلية ـ وهي من كبريات عواصم الأندلس، وفي بيت من أكبر بيوتاتها؛ أطل ابن العربي على هذه الدنيا ـ ليلة يوم الخميس 22 شعبان، عام ثمانية وستين وأربعمائة هجرية (468 هـ)[11].

فشبّ على حبّ العلم، طموحاً إلى المعالي؛ وكان والده حريصاً على تكوينه كل الحرص، فعنه أخذ تعليمه الأولي؛ ولكثرة أشغاله وارتباطه بمهام الدولة اختار له ثلاثة معلمين أكفاء، أحدهم لضبط القرآن بأحرفه السبعة، والثاني للعربية، والثالث للرياضيات.

فحذق القرآن، وهو ابن تسع سنين، ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى أتقن القراءات العشر، وجمع فنوناً من العربية، وتمرّن على الأدب والشعر؛ وقد ساعده على ذلك موهبته النادرة، وذكاؤه الخارق؛ وكان يقول: لم أرحل من الأندلس ـ حتى أحكمت كتاب سيبويه[12].

وقد سجل لنا ابن العربي قائمة بالكتب التي درسها في هذه المرحلة

---

(9) انظر ابن عذاري ، البيان المغرب 3/205 - 206 .

(10) المقري ، النفح 2/94 ، تحقيق إحسان عباس ـ ح ـ 33 .

(11) وهي الرواية الصحيحة ، وقيل سنة (469 هـ) انظر الصلة لابن بشكوال ص 599 ، وسلوة الأنفاس للكتاني 3/198 .

(12) انظر الضبي ، بغية الملتمس ص : 83.

من حياته التعليمية ـ فذكر من كتب العربية: الواضح للزبيدي، والجمل للزجاجي، والكافي للنحاس، والأصول لابن السراج، والمقتضب للمبرد؛ ومن الدواوين الشعرية: أشعار الستة، وديوان أبي تمام، والمتنبي؛ وفي اللغة:. الفصيح لثعلب، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والأمالي ـ لـلقالي؛ وفي الحساب: المقابلات والجبر، والفرائض ـ عملاً؛ وفي الهندسة: إقليدس، وما يليه إلى الشكل القطاع[13]؛ وعدل بالأزياج الثلاثة، ونظر في الأسطرلاب، وما إلى ذلك[14].

وأما أوقات الدراسة، فيذكر أن المعلمين الثلاثة كانوا يتعاقبون عليه من الصبح إلى العصر، وباقي الوقت يقضيه في المطالعة والمذاكرة والتقييد، ويحضر بعض مجالس الحديث لشيوخ آخرين[15].

ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في دراسته، أبو عبدالله السرقسطي، وخاله أبو القاسم الهوزني ـ وقد أخذ عنه مختصر القراءات ـ تهذيب أبي حفص الهوزني[16] ـ جده من الأم.

رحلته إلى المشرق:

ولم يكد يبلغ السابعة عشرة من عمره ـ حتى قدر لدولة بني عباد أن تسقط، واستولى المرابطون على إشبيلية، وصادروا أموال أمرائها ووزرائها؛ ـ ومن بينها ضياع الوزير أبي محمد بن العربي، فلم يستطع الحياة في هذا الجو الخانق ـ والبلاد تعيش شبه حالة الطوارىء؛ فمن الخير له أن يترك العاصفة تمر، ويدع السياسة جانباً ـ إلى حيث يجد الهدوء والاطمئنان.

---

(13) القطاع ـ بفتح القاف وتشديد الطاء ـ قطعة من الدائرة، رأسها إما على مركزها، وإما على محيطها.
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص 120.

(14) انظر ابن العربي، قانون التأويل (مخطوطة خاصة) ـ ورقة 3 - أ.

(15) المصدر نفسه.

(16) الضبي بغية الملتمس ص 249.

فرأى أن يرحل إلى المشرق، ويفر بنفسه وولده تحت ستار أداء فريضة الحج؛ وكان لا بد أن يستأذن السلطة الحاكمة، ويأخذ برأي صهره وأستاذ ولده ـ أبي القاسم الهوزني السالف الذكر ـ وهو الرجل الذي له مكانه المرموق لدى الدولة الجديدة؛ وربما اقترح على يوسف بن تاشفين أن يقوم أبو محمد بن العربي، وولده أبو بكر بمهمة سياسية لدى خليفة بغداد ـ وابن تاشفين في هذه الظروف بالذات ـ في حاجة إلى من يقوم له بالدعاية في الخارج، وينشر مناقبه ومزاياه.

ويذكر ابن العربي سبباً آخر لهذه الرحلة: (. . . وكان الباعث على هذا السبب ـ مع هول الأمر ـ همة لزمت، وعزمة نجمت؛ ذلك أنني كنت يوماً مع بعض المعلمين، فجلس إلينا أبي ـ رحمة الله عليه ـ يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه مع عظم أشغاله، وجلس بجلوسه من حضر من قاصديه؛ فدخل إلينا أحد السماسرة ـ وعلى يديه رزمة كتب، فإذا بها من تأليف السمناني، والباجي؛ وسمعت جميعهم يقول: هذه كتب عظيمة، وعلوم جليلة، جلبها الباجي من الشرق؛ فصدعت هذه الكلمة كبدي، وقرعت خلدي؛ وجعلوا يوردون في ذكره ويصدرون، ويحكون أن فقهاء بلادنا لا يفهمون عنه ولا يعقلون؛ ونذرت في نفسي طية، لأهاجرن إلى هذه المقامات، واستمررت عليها نية. . .)[17].

ومهما يكن، فإن رحلة الشيخ والفتى كانت صبيحة الأحد مستهل ربيع الأول عام 485 هـ (. . . فخرجنا مكرمين، أو قل مكرهين؛ آمنين، وإن شئت خائفين، وفررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من العالمين)[18]. وكان توجههما من إشبيلية إلى مالقة، ومنها إلى غرناطة، ثم المرية؛ ولم ينس الفتى ـ وجرح صدمة مفارقة الأهل والوطن لم يندمل ـ أن يتصل ببعض الشخصيات العلمية بهذه البلاد الثلاث، فلقي بمالقة أبا مطرف

(17) قانون التأويل (ورقة 3 ـ ب).

(18) المصدر نفسه.

عبد الرحمان بن قاسم (الشعبي) (ت 497)، وذاكره في ضروب من العلم[19]؛ أما غرناطة ـ وربما كانت أحسن حالاً من الأولى ـ فلم يطل توقفه بها، ولأسباب قاهرة تابع سيره إلى المرية؛ وهناك أقام بضعة أيام، اتصل خلالها ببعض رجالات الفكر، ورأى حركة علمية وأدبية لا بأس بها، لكنها ليست في المستوى المطلوب؛ وكان الفتى يقضي جلّ أوقاته في مجالسة قاضي البلد العالم المقرىء أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع (ت 514 هـ)[20].

ومن المرية أبحرا إلى بجاية ـ وانتهت صلتهما بالأندلس، وكان نزولهما بفندق يعرف بخان السلطان؛ وما إن وطئت قدم الفتى أرض إفريقية، حتى شعر بالمهمة التي أثقلت كاهله، والأمل الذي كان ـ دائماً ـ يراود أحلامه؛ فأخرج أقلامه ودفاتره ـ وكأنه يريد شيئاً قد ذهل عنه! ورغم أن بجاية مرفأ صغير حديث العهد، لم يمض على إنشائه إلا بضع سنوات؛ فقد كان به نفر من العلماء، لقي منهم أبو بكر ـ أبا عبدالله بن عمار الميورقي ـ رأس المشيخة، وكان على قدم الباجي وأضرابه[21].

ومنهم الكاتب الأديب رجل الدولة ونابغة العصر، القاسم بن عبد الرحمان ـ وقد جاء لملاقاتهم ورحب بهم، وبالغ في إكرامهم؛ ويثني ابن العربي على لطفه وبره، ويذكر أنه كان يتردد عليهم ويزورهم في نزلهم، ويسأل عن أحوالهم؛ وربما كانت مهمته السياسية تفرض عليه ذلك ـ وابن العربي الأب وزير مرموق في حكومة إشبيلية السابقة؛ فمن أدب اللياقة الاهتمام به، والاعتناء بشأنه؛ ولا يخفي أبو بكر إعجابه بهذا الرجل، وتضلعه في العربية وشؤون الأدب؛ ويعترف ابن العربي ـ وقد ذاكره طويلاً ـ أنه أصلح من أخطائه في بعض مسائل النحو، مما رغبه في تحصيل العربية، وضبط

(19) الصلة : 329.

(20) الصلة : 355 .

(21) انظر عياض ، المدارك 159/8.

غريب الحديث، وقال إنه قرأ بها كتاب أبي داود برواية التمار[22].

ثم تابعا سيرهما ـ طوراً بالبر، وطوراً بالبحر ـ وقد قست عليهما الطبيعة، واشتدت الأنواء؛ ومرا في طريقهما على بونة (عنابة)، ولقيا بها بعض الشخصيات؛ ودخلا تونس، وزارا سوسة، ثم نزلا المهدية؛ فلقي بها أبو بكر جملة من فقهاء القيروان، وسمع عليهم في القراءة والأدب وعلم الكلام ـ وقد وجد دنيا غير الدنيا التي عرف، ولمح له نور طالما تلمسه فلم يجده: (.. فلما لمح لي هذا الكوكب بطريقة القيروان، واستنلر لي فيها بنوع من البرهان، واستبرأتها بواضح من الدلالات ـ غض النبات والأفنان؛ قلت هذا مطلبي، فأخذت في قراءة شيء من أصول الدين، والمناظرة فيه مع الطالبين، ولزمت مجالس المتفقهين...)[23]. ولم يفت ابن العربي ـ وهو الفتى الشديد الحساسية ـ أن يشير إلى أن الأدب بها كان على حالة وسطى[24]؛ وممن لقيه من شيوخ المهدية وسمع عليه ـ أبو عبدالله المازري الإمام (453 ـ 536)[25]، وأبو الحسن ابن الحداد الخولاني، حضر عليه كتابه «الإشارة» وشرحها من تأليفه[26].

ومن المهدية ركبا البحر على ظهر سفينة متجهة إلى الحجاز، ولكن البحر هذه المرة كان أقسى عليهم من ذي قبل؛ فقد ثارت عاصفة هوجاء، حطمت السفينة وما فيها، ونجا أبو بكر ووالده من الغرق بأعجوبة! وكان خروجهما بموضع من ساحل طرابلس (برقة)، تسكنه بيوت من بني كعب بن سليم؛ ولندع ابن العربي يصف هذا الحادث بأسلوبه المسجوع: (... وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله، ويغرقنا في هوله؛ فخرجنا من

---

(22) قانون التأويل ورقة (4 ـ ب).

(23) قانون التأويل ورقة (5 ـ أ).

(24) المصدر نفسه.

(25) انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان 413/3، والمقري، أزهار الرياض 165/3.

(26) المقري، النفح 28/2.

البحر، خروج الميت من القبر؛ وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب بن سليم - ونحن من السغب، على عطب؛ ومن العري، في أقبح زي؛ وقد قذف البحر بزقاق زيت مزقت الحجارة هيئتها، ودسمت الأدهان وبرها وجلدتها؛ فاحتزمناها أُزراً، واشتملناها لفافاً؛ تمجنا الأبصار، وتخذلنا الأنصار؛ فعطف أميرهم علينا، فأوينا إليه وآوانا، وأطعمنا الله على يديه وسقانا، وأكرم مثوانا وكسانا؛ لأمر حقير طفيف، وفن من العلم طريف؛ وشرحه: أنا لما وقفنا على بابه، ألفيناه يدير أعواد الشاه، فعل السامد اللاه؛ فدنوت منه في تلك الأطمار، وسمح لي بيادقته إذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للأغمار؛ ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم؛ إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في خلس البطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة؛ فقلت للبيادقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزراً، وعظمت في أعينهم بعد أن كنت نزراً؛ وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام فاستدناني، فدنوت منه وسألني: هل لي بما هم فيه بصر؟ فقلت: لي فيه بعض نظر؛ حرك تلك القطعة، ففعل؛ وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى، حتى هزمهم الأمير، وانقطع التدبير؛ فقالوا: ما أنت بصغير! وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير - منشداً -:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال: لعن الله أبا الطيب، أوَيشكّ الرب؟! فقلت له في الحال: ليس كما ظن صاحبك - أيها الأمير، إنما أراد بالرب هنا الصاحب؛ يقول: ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب، فهو في وقته كله بين رجاء لما يؤمله، وتقاة لما يقع به - كما قال:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب؟!

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، في طرفي إبرام وانتقاض، ما حرك فيهم إلى مبرتي داعي الانتهاض؛ فأقبلوا يتعجبون مني، ويسألونني كم

سني؟ ويستكشفونني عني؛ فبقرت لهم حديثي، وذكرت لهم نجيثي؛ وأعلمت الأمير أن أبي معي فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مثواه، فخلع علينا خلعه؛ وجاء كلّ خوان، بأفنان الألوان؛ فقال لنا: لا تسرفوا فإن الشبع بإثر الجوع معطب، وكأني بكم لم يزل بكم سغب؛ وأقمنا عنده حتى ثابت إلينا نفوسنا، وذهب عنا بؤسنا؛ وسألنا الإقامة عنده، على أن يصير إلينا صدقات بني سليم كلها؛ فأبينا إلا الاستمرار على العزيمة الأولى، والتصميم إلى المرتبة الكريمة التي بنا أولى؛ ففارقنا على ضنانة بنا، وحرصه علينا؛ وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر...)[27].

وأوردت هذا النص بطوله، لأنه يرسم خطوطاً عريضة عن حياة ابن العربي الطفولية، وسيكولوجيته الذهنية والعقلية، ومدى استعداده لخوض معركة هذه الحياة ـ على اختلاف مستوياتها، وشتى أطوارها؛ وهي فترة غامضة في حياة كل شخصية من الشخصيات التي نريد أن ندرسها، ولم تعودنا المصادر وكتب السير الحديث عنها، وهي نقطة البداية، وحسب البدايات تكون النهايات.

فلننظر إلى تفتق ذهنية هذا الفتى، وكيف استطاع ـ بلباقته، ولطف حديثه ـ أن يستولي على قلوب هؤلاء السادرين اللاهين، ويلفت نظرهم إليه، والاهتمام بشأنه؛ وما للأمير والأحداث، فضلاً عن إكرامهم، فضلاً عن رغبته في أن يبقى هذا الفتى إلى جانبه؟ وكأنه تفرس فيه، ورأى ملامح العبقرية في عينيه... اتقوا فراسة المؤمن، فإنها لا تخطىء.

ابن العربي في المشرق

أ ـ بمصر:

نزل الفتى والشيخ بالإسكندرية، ثم واصلا سيرهما إلى القاهرة؛ ولم

(27) قانون التأويل ـ ورقة (5 ـ أ).

يطل توقفهما بذلك المرفأ الجميل الذي يعج بالصادرين والواردين، وكان ذلك لحاجة في نفس يعقوب!.

وقد ضرب لهما القدر موعداً آخر، وسيطول مقامهما به، وربما مكث به أحدهما إلى الأبد.

وكان وصولهما إلى القاهرة أواخر ربيع الثاني سنة (485 هـ)، ولكن الظروف التي كانت تعيشها مصر لذلك العهد، جعلت الفتى يغير نظرته إليها، ويحول اتجاهه إلى جهة أخرى.

كان الحكم آنذاك بيد المستنصر أبي تميم معد - والدعوة الفاطمية على أشدها، فالعلماء في خمول شامل، وأهل الأدب لا يرتفع لهم صوت؛ ويحدثنا ابن العربي في هذا الصدد فيقول: (فألفينا بها جماعة من العلماء: من المحدثين، والفقهاء والمتكلمين؛ والسلطان عليهم جري، وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جري؛ لا ينبسون من العلم ببنت شفة، ولا ينتسب أحد منهم في فن إلى معرفة، بله الأدب..)[28].

شيوخه:

ورغم الركود العلمي الذي يصوره ابن العربي بمصر، فقد كان هناك نفر من أهل العلم أخذ عنهم أبو بكر، وعلى رأسهم القاضي أبو الحسن الخلعي - مسند مصر وكبير مشيخة الشافعية في وقته، اعتزل بالقرافة الصغرى قرب ضريح الإمام الشافعي؛ يقول عنه ابن العربي: (شيخ منعزل، له علو في الرواية، وعنده فوائد....)[29].

وحضر للشيخ أبي الحسن بن أبي داود الفارسي - بعض مجالسه

(28) قانون التأويل - ورقة (5 - ب).
(29) انظر طبقات السبكي 3/297.

بالفسطاط، وسمع من أبي الحسن بن مشرف، ومهدي الوراق، وأبي عبدالله العثماني، والسالمي، والعبدري، ومحمد بن قاسم الكاتب؛ وأخذ عنهم مسائل من علم الكلام، وتدرب على الجدل، وناظر الشيعة والقدرية[30]؛ يقول في وصف هؤلاء الطوائف: (. . . أمة غلب عليها سوء الاعتقاد، ونشأت من غير فطم بلبن العناد، واستولى اليأس منهم ـ على ما هم فيه من الفساد. . .)[31].

وتردد على مجالس القراء ـ وأعجب بقراءتهم: (سمعت يوماً تاج القراء بمصر يقرأ «ومن الليل فتهجد به نافلة» ـ وكأني ما سمعتها قط)[32]!.

ولم يفت ابن العربي أن يذكر من عادات نساء مصر، وأحوالهن وأخلاقهن[33].

ب ـ القدس:

غادر الفتى أبو بكر مصر إلى الشام ـ وأمله الأمام، ولعل القدس ـ أزال الله غربتها ـ كانت تعيش لهذا العهد نوعاً من الحرية، ويجد العلماء فيها متنفساً لأفكارهم وآرائهم؛ وكانت البيئة الصالحة لثقافات إسلامية، وملتقى للديانات والتيارات الفكرية والمذهبية.

وكانت هناك مدارس للشافعية والحنفية، يعقد بها الشيوخ مجالسهم ومناظراتهم؛ ويشارك فيها العلماء ورجال الفكر، وأرباب المذاهب والنحل على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم. . . مما جعل فتانا أبا بكر يرحل إليها، ويؤثرها على ما سواها، ويطول مقامه بها ثلاثة أعوام أو تزيد؛ ويرجىء رحلته إلى الحج ـ رغم إلحاح والده عليه: (ثم رحلنا إلى الشام، وأملنا الأمام،

---

(30) قانون التأويل (5 ـ ب).

(31) نفس المصدر.

(32) الأحكام 2/187.

(33) العارضة 10/ 6 — 12.

فدخلنا الأرض المقدسة، وبلغنا المسجد الأقصى؛ فلاح لي بدر المعرفة، فاستنرت به أزيد من ثلاثة أعوام؛ وقلت لأبي: إن كانت لك نية في الحج فامض لعزمك، فإني لست برائم عن هذه البلـدة حتى أعلم علم من فيها، وأجعل ذلك دستوراً للعلم، وسلماً إلى مراقيها؛ فساعدني حين رأى جدي، وكانت صحبته لي من أسباب جدي. . .)[34].

وصلا بيت المقدس ـ قبيل نهاية سنة (485 هـ) والحكم فيها للسلجوقيين ـ وكانوا يعتنقون المذهب السني، ويعملون على نشر الوعي الإسلامي؛ فأسسوا المدارس، وأسقطوا المكوس، وقربوا العلماء؛ مما مهد لهم السبيل للسيطرة على كثير من الولايات، فاتسع نفوذهم، وقوي سلطانهم؛ حتى إنه عندما وشى الواشون بنظام الملك لدى ملكشاه ـ بأن الأموال التي ينفقها على المدارس، تقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية! ـ أجاب نظام الملك ـ في معرض الدفاع عن نفسه ـ بقوله: (إني أقمت جيشاً يسمى جيش الله، إذا نامت جيوشك ليلاً، قامت جيوش الليل على أقدامها ـ صفوفاً بين يدي ربها، فأرسلوا دموعهم، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء لك ولجيشك؛ فأنت وجيوشك في حضانتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون. . .)[35].

في هذا الجو النقي، الذي لا تكدر صفوه النزعات والعصبيات ـ انطلق أبو بكر يبحث عن المعرفة ـ وفي يده قنديل صغير لا يكاد يضيء ما حوله، ولكنه مع الأيام اشتد نوره، وقوي إشعاعه، وأصبح النبراس الوهاج؛ وفي رحاب المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، كان يقضي الفتى جل أوقاته يتملى من أنواره؛ يظل نهاره في الدرس والتحصيل، ويبيت ليله في التهجد والعبادة[36].

---

(34) قانون التأويل (6 - أ).

(35) زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي ص 19.

(36) انظر العارضة 11/78 .

شيوخه:

كانت القدس تعج بالعلماء الوافدين والمستوطنين ـ وأكثرهم من بلاد العجم، لأن الدولة منهم، تحمي حقوقهم، وتضمن مصالحهم؛ على أن الأمراء السلاجقة عرفوا بحفاظهم على المذهب السني، ورعايتهم للعلم وأهله ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً؛ ومن المدارس التي عرفت نشاطاً كبيراً، وخرجت كثيراً من حماة الدين ـ مدرسة الشافعية بباب الأسباط، وكانت تحت رئاسة العالم السني أبي الفتح المقدسي.

أول درس:

ويذكر ابن العربي، أن أول درس تلقاه عند مقدمه إلى بيت المقدس كان بهذه المدرسة، وكان من نصيب خليفة الرئيس القاضي أبي زكرياء يحيى بن علي المعروف بابن الصائغ، وموضوعه: (الحرم لا يجير ظالماً)[37].

وكان الدرس في مستوى المناظرة، وقد أخذ الكلمة للمناقشة والدفاع عن وجهة نظر المذهب الشافعي ـ الشيخ مجلي المخزومي، فأفاض في الموضوع[38]؛ ولكن فتانا ـ وهو المعتز بذكائه ـ يعترف بأن حظه من الدرس كان ضئيلاً، وأنه لم يستطع أن يفهم عن هذا الشيخ أو عن أولئك القوم شيئاً؛ وربما كان ذلك لعيب في أسلوب الإلقاء، أو في طريقة العرض ـ وابن العربي يلمح بذلك[39].

ومهما يكن، فإن الفتى ظل على صموده، وتسلح بالصبر! وعاد فاحتزم كتبه، وذهب ليحضر درساً آخر ـ وقد رافقه هذه المرة والده؛ وذهبا يبحثان عن شيخ طالما سمعوا عن علمه وتقواه ـ وهو ابن بلدهم، يفرح للقياهم،

(37) قانون التأويل (7 ـ أ).

(38) المصدر نفسه.

(39) نفس المصدر.

ويأنس بوجودهم: (.. ومشيت إلى شيخنا أبي بكر الفهري - يعني الطرطوشي - رحمة الله عليه، وكان ملتزماً من المسجد الأقصى - طهره الله - بموضع يقال له الغوير بين باب أسباط ومحراب زكرياء - عليه السلام، فلم نلفه به؛ واقتصصنا أثره إلى موضع منه يقال له السكينة، فألفيناه بها؛ فشاهدت هديه، وسمعت كلامه، فامتلأت عيني وأذني منه؛ وأعلمه أبي بنيتي فأناب، وطالعه بعزيمتي فأجاب، وانفتح لي به إلى العلم كل باب؛ ونفعني الله به في العلم والعمل، وتيسر لي على يديه أعظم أمل...)[40].

وإذا كان لكل طالب أستاذه المفضل - يقتفي أثره، وينهج نهجه؛ وفي كل الدراسات الآن، لا بد من أستاذ رئيسي يرجع إليه الطلاب في مشاكلهم، ويوجههم في مراحلهم الدراسية؛ فإن الأستاذ المفضل الموجه الخاص لفتانا أبي بكر هو العالم الورع، أبو بكر الطرطوشي؛ لازمه أكثر من خمس سنوات ما بين القدس والإسكندرية، ودرس عليه أكثر مؤلفات الجدل وعلم الكلام، ومسائل الخلاف؛ وهي علوم لم تكن تعرفها بلاد الأندلس من ذي قبل، أو لم تشتهر بها؛ واختص به في علوم التفسير والحديث والتاريخ والسير، وظل الأستاذ المشرف عليه منذ اليوم الأول لدخوله إلى الشام.

والجدير بالملاحظة، أنه لم يمض على الفتى إلى جانب شيخه - غير مدة وجيزة - وتقدر بنحو ستة أشهر، حتى أصبح يعلو منصة المناظرة، ويقارع الخصم بالحجة، ويتحدث في كل فن بفيض من العلم؛ مما لفت أنظار أشياخه إليه، وانتزع إعجابهم به: (... حضر عندنا بالغوير - ونحن نتناظر - فقيه الشافعية عطاء المقدسي، فسمعني - وأنا أستدل على مسألة ربوية - وأنتهي فيها إلى أصل عظيم في تحصيل مسائل الربا؛ فأعجب الفهري ذلك، والتفت إلى عطاء - وقال له: قيضت فراخنا - أي أزالت قشرة البيضة عنها

(40) قانون التأويل (6 - أ).

وخرجت؛ فقال عطاء: بل طارت! ـ وكان ذلك في الشهر الخامس أو السادس من قراءتي . .)[41].

وهذا غير غريب من ابن العربي، فقد كان متوفراً على ذكاء خارق، وحافظة تلتقط كل شيء؛ وقد عرفنا عنه أشياء منذ طفولته تثير الإعجاب، وهو في هذه الحالة، لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

وقد خاض ـ وهو في نفس السن أو قريباً منه ـ معارك كلامية مع: الكرامية، والمعتزلة، والمشبهة، واليهود. . . خرج منها جميعها ظافراً منتصراً؛ ومما زاد في حيويته ونشاطه، وتحمسه للكلام، ما كان يجري أمامه من خصومات دينية ومذهبية، تشتد أحياناً، وتخف أخرى؛ كل يدافع عن مذهبه، وينافح عن عقيدته[42].

ويحدثنا عن أول مؤتمر ديني شاهده بالقدس ـ وكان في مستوى القمة، شاركت فيه كل الطوائف الدينية، وقد تصدى للكلام فيه حبر يهودي يعرف بالتستري؛ ويصفه ابن العربي بأنه كان لقناً فيهم، ذكياً بطريقتهم. . . لكن الشيخ الطرطوشي، كان له بالمرصاد فأفحمه، وقاتله بسلاحه، فصفق الناس له طويلاً: (. . حضرنا يوماً مجلساً عظيماً، وتكلم التستري الحبر اليهودي عن دينه فقال: اتفقنا على أن موسى نبي مؤيد بالمعجزات، معلم بالكلمات؛ فمن ادعى أن غيره نبي، فعليه الدليل؛ ـ قال ابن العربي: وأراد من طريق الجدل أن يرد الدليل في جهتنا حتى يطرد له المرام، وتمتد أطناب الكلام؛ فقال له الفهري: (الطرطوشي) ـ إن أردت بموسى الذي أيد بالمعجزات، وعلم الكلمات، وبشر بأحمد. . فقد اتفقنا عليه معكم، وآمنا به وصدقناه؛ وإن أردت به موسى آخر، فلا نعلم ما هو؟ فاستحسن ذلك الحاضرون، وأطنبوا في الثناء عليه، وكانت نكتة جدلية عقلية قوية؛ فبُهِتَ الخصم، وانقضى الحكم. . .)[43].

---

(41) قانون التأويل (6 ـ ب).

(42) المرجع نفسه.

(43) نفس المرجع.

ورغبة في التعرف على المذاهب الإسلامية على اختلاف مستوياتها، وقد قضى فتانا أبو بكر مدة في المدرسة الشافعية، وجلس طويلاً إلى الإمام الطرطوشي الذي كان يمثل المذهب المالكي؛ رأى أن يسجل نفسه في مدرسة أخرى تعتبر من أكبر مدارس القدس ـ وهي مدرسة الحنفية، وتعرف بمدرسة أبي عقبة؛ والمذهب الحنفي له صولة كبرى اكتسحت جل الآفاق، واتسع نفوذه إلى أقصى الشرق.

وتعلو قيمة المرء عندنا ـ في العصر الحاضر ـ بقدر ما له من إجازات وشهادات.. ودراسة المذاهب الإسلامية، وإجازات العلماء فيها، تعتبر بمنزلة اختصاصات وشهادات عليا؛ وكان يرأس المدرسة الحنفية ـ القاضي أبو الفضل الريحاني، ومن أساتذتها البارزين: الإمام الصاغاني، والشيخ الزوزني، وأبو سعيد الزنجاني، وابن الكازروني[44]... وهم جماعة من علماء خراسان، وردوا على القدس لزيارة المسجد الأقصى، وقبر الخليل عليه السلام؛ وكانت خراسان تعيش ـ لهذا العهد ـ ظروفاً قاسية، وتعسفات جائرة، مما دفع بكثير من أهل العلم إلى الهجرة لعدة أقطار إسلامية؛ وينوه ابن العربي بهؤلاء الجماعة، ويذكر أنهم طبقة عالية في المعرفة، ونمط جديد في البحث والمناظرة: «.. فلما سمعت كلامهم، رأيت أنهم درجة عالية، ومزية ثانية؛ وبَزٌّ من المعارف أغلى، ومنزلة في العلوم أعلى...»[45].

بين درسين:

لم ينس ابن العربي، أو لم يرد أن ينسى الصدمة التي تلقاها أول دخوله إلى مدرس الشافعية، فقد كان الدرس الأول الذي سمعه بها عبارة عن ضوضاء لم يستطع أن يفهم منه شيئاً، ثم يأتي دور دخوله إلى مدرسة الحنفية، فيكون من غريب الاتفاق أن يسمع الدرس نفسه أول دخوله إليها،

---

(44) قانون التأويل (7 ـ أ).

(45) نفس المرجع.

ويفهم منه كل شيء وحتى ما بين السطور ـ كما يقولون؛ ثم يقارن ابن العربي بين الدرسين، ويباعد في الفرق بين الذين تكلموا هنا والذين تكلموا هناك؛ وسواء في الأسلوب والطريقة، أو في الاستيعاب والتعمق في البحث[46].

ولا تزال مشاكل الدرس الأول وصعوباته ـ بالنسبة للتلميذ والأستاذ ـ تشغل بال المفكرين والمربين، ويعاني الأساتذة منها الأمرَّين ـ إلى الآن، حتى لقد كتب بعضهم كتاباً تحت عنوان (الدرس الأول)[47].

أما بالنسبة لفتانا ابن العربي ـ فربما كان لبعد الزمانين، والفرق الواضح بين المستويين ـ دخل في ذلك.

ولندعه يحدثنا في الموضوع، وينوه ـ ما شاء ـ بأصحاب المدرسة الثانية: (وكان من غريب الاتفاق، أن المسألة التي سمعت أول دخولي بيت المقدس ـ ولم أفهم كلام القوم فيها، هي التي سمعت الصاغاني يتكلم عنها؛ فرأيت أنه أغوص على جواهر كتاب الله، واستنباط لا يدركه إلا من اصطفاه الله؛ وكذلك سمعت كلام الزوزني في مسائل.. فرأيته يقرطس على غرض الصاغاني، وينظر إلى المطلوب من صومعة واحدة[48]... ثم يأخذ المسألة، ويقلبها على شتى وجوهها، ويطبق فيها طرق البحث، وإن شئت قلت طرق التدريس المعروفة في الشرق والغرب الإسلاميين؛ ويرجعها إلى ثلاث طرق:

1 ـ طريقة التمثيل، وتعرف بالطريقة القيروانية، وهي الطريقة المتبعة في الغرب الإسلامي.

2 ـ طريقة التعليل ـ وتسمى الطريقة العراقية، وبها يدرس أهل الشرق

(46) المرجع نفسه.

(47) ومن الذين كتبوا في الموضوع: أحمد حسن الزيات ـ رحمه الله.

(48) قانون التأويل (7 ـ أ).

الإسلامي ـ باستثناء القدس وما حوله من بلاد الشام.

3 ـ الجمع بين الطريقتين، قال: وهي التي كنا نقرأ بها المدونة وغيرها من دواوين الفقه الإسلامي)[49].

ولا ينسى ابن العربي، أن ينوه ـ بصفة خاصة ـ بالشيخ الأكبر ابن الكازروني (.. تمتعنا به نحو ثلاثة أعوام، فكان يقرأ بالمسجد الأقصى في مهد عيسى (بيت لحم) فيسمع من بالطور، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئاً دون قراءته إلا الإصغاء إليه..)[50].

ومن الشيوخ الذين يعترف لهم ابن العربي بالفضل: مكي بن عبد السلام الرميلي، والقاضي أبو الحسن مكرم بن مرزوق.. يقول في هذا الأخير ـ وقد أعيته مسألة، أو أعياه البحث عنها: (.. وقلت لدى تحصيلها: الحمد لله الذي أفادني هذا الشيخ، وأعلمت أبي ـ أنه لو لم يحصل لي غيرها لكفاني..)[51].

ومن رجال التصوف الذين تعرف عليهم ابن العربي ببيت المقدس ـ أبو عثمان سعيد بن حسان الطليطلي، جاور بالمسجد الأقصى أعواماً، وطاف ببلاد المشرق أربعين عاماً، وقال إنه كان مقدماً في هذه الصناعة[52] ـ يعني التصوف.

وهكذا سلخ فتانا أبو بكر، نحو أربعين شهراً في القدس كلها عمل دائب، وسعي متواصل في سبيل البحث والدرس؛ واستطاع خلالها أن يتعرف على مختلف التيارات الفكرية والمذهبية، ويدرس أمهات الدواوين ـ في التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والجدل، وعلم الكلام، واللغة،

---

(49) نفس المصدر.

(50) الأحكام 2/187.

(51) العارضة 3/257.

(52) العارضة 9/35.

والأدب، والتاريخ، والسير. . مما جعله ـ وهو بعد في مقتبل العمر ـ يحتل مركزه في صفوف العلماء، ويعترف له الشيوخ بالفضل والمزية. .

مشاهداته:

وكان مع ذلك مغرماً بالتجوال في أقاصي المدينة يزور قبور الأنبياء والصالحين، ويتعرف على مآثرهم؛ وقد سجل لنا في زياراته القريبة والبعيدة مشاهدات حية، كان لها أثرها في نفسه؛ نثبت منها ما يتصل بحياته العلمية والدينية:

١ ـ صخرة المائدة ـ (شاهدتها ـ بطور زيتا ـ مراراً، وأكلت عليها كثيراً، وذكرت الله عندها سراً وجهراً؛ ارتفاعها أشف[53] من القامة بنحو شبر، ولها درجتان ـ قبلياً وجنوبياً، وهي صخرة صلود لا تؤثر فيها المعاول. . وكل ما حولها حجارة مثلها محفوفة بقصور نحتت فيها بيوت، أبوابها منها، ومجالسها فيها مقطوعة منها، وحنايا في جوانبها؛ فإذا دخلت في قصر من قصورها ورددت الباب، وجعلت من ورائها صخرة ـ مقدار ثمن درهم، لم يفتحه أهل الأرض؛ وقد كنت أخلو فيها كثيراً للدرس، ولكنني كنت في كل حال أكنس ما حول الباب، مخافة مما جرى لغيري فيها. .)[54].

٢ ـ محراب داود عليه السلام ـ (بناء عظيم من حجارة صلدة، يرى له ثلاثة أسوار؛ وهو في أيام السحاب لا يظهر لارتفاع موضعه، وارتفاعه هو في نفسه؛ له باب صغير، ومدرجة عريضة؛ وفيه الدور والمساكن، وفي أعلاه المسجد، وبه كوة شرقية قدر الباب؛ وفيه نجا من نجا من المسلمين حين دخلها الروم، حتى صالحوا على أنفسهم. . . وفيه رأيت غريبة الدهر، ذلك أن ثائراً ثار فيه على واليه، وامتنع فيه بالأقوات؛ فحاصره وحاول قتاله، والبلد ـ على صغره ـ مستمر على حاله؛ ما أغلقت لهذه الفتنة سوق، ولا سار إليها

---

(53) شفّ الشيء: زاد أو نقص.

(54) الأحكام 2/188.

من العامة بشر، ولا برز للحال من المسجد معتكف، ولا انقطعت مناظرة، ولا بطل تدريس. . . ولو كان بعض هذا ببلادنا، لاضطرمت نار الحرب في القريب والبعيد، ولانقطعت المعايش، وغلقت الدكاكين، وبطل التعامل، لكثرة فضولنا وقلة فضولهم. . .)[55].

3 ـ قبر يوسف عليه السلام: (شاهدته في قبلة قبور آبائه: إبراهيم، وإسحاق، وزوجاتهم. . زرناه مراراً، وذكرنا الله فيه، وبتنا فيه ليالي آمنين. . .)[56].

4 ـ قبر يونس عليه السلام: (قصدت قبره مراراً بقرية جلحون، في مسيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل، وبت فيه، وتقربت إلى الله بمحبته، ودرسنا كثيراً من العلم عنده. . .)[57].

5 ـ مسجد عمر، روي أنه لما فتح بيت المقدس، وقف على الطور بشرقيه، واتخذ به مسجداً؛ رأيته وصليت به، بينه وبين المسجد واد يدعى وادي جهنم؛ وللمسجد باب يقال له باب التوبة والرحمة، ويقال إنه الباب الذي باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب[58].

6 ـ باب حطة، وهو الباب الثامن من أبواب المسجد الأقصى من جهته القبلية، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة، يغفر لكم خطاياكم﴾ ـ دخلته سنة (٤٨٦ هـ) فسجدت وخضعت، وقلت لا إلّه إلا الله، اللهم احطط عني ذنبي، واغفر لي؛ وقمت به أعواماً، وكل مرة أكرر ذلك، وأكثر من الفعل والقول. . .)[59].

---

(55) نفس المصدر.

(56) العارضة 274/4.

(57) الأحكام 197/2.

(58) العارضة 46/9، و277/13.

(59) العارضة 48/11.

كما تجول في ربوع القدس، وشرق الأردن، ورسم بعض صور من حياتها العامة؛ وزار أكثر من ألف قرية ومدينة، من ذلك مدينة نابلس التي أقام فيها أشهراً، ووصف نساءها بقوله: (.. ولقد دخلت نيفاً على ألف قرية من برية، فما رأيت أصون عيالاً، ولا أعـف من نساء نابلس؛ فإني أقمت فيها أشهراً، فما رأيت امرأة في طريق نهـاراً إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن حتى يمتلىء المسجد منهن؛ فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى بيوتهن، لم تقع عيني على واحدة منهن ـ إلى الجمعة الأخرى.

وسائر القرى ترى نساءها متبرجات بزينة وعطلة، متفرقات في كل فنن وعضلة[60]. . .)[61].

ودخل مدينة عسقلان، وأقام بها نحو ستة أشهر انغمر فيها مع رجال الأدب، وتجاذبوا فنون القريض، وغرائب النكت؛ ولا بد أنه أخذ عن جماعة منهم، وهم ـ كما يقول ـ: (بحر أدب يعب عبابه، ويغب ميزابه. . .)[62].

ولا يذكر هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم، أو سمع منهم، كما تطبق المصادرَ بالصمت في هذا الصدد[63].

ونجد الفتى أبا بكـر ينجذب إلى هذه المدينة، ويعجب بنشاط أهلها، وخفة روحهم؛ وقد اتخذ فيها ـ مع قصر المدة التي قضاها بها ـ جملة من الرفقاء والإخوان، والأصدقاء والخلان؛ يتبادلون الزيارات، ويتهادون الملح والنكات، حتى لقد عادت به الذكرى إلى أيام صباه بحمص الأندلس؛ ولولا هاتف ديني، وجاذب رباني؛ ما كان ليريم عن هذه البلدة ـ رغم إلحاح والده

---

(60) عطلة : عارية من الزينة ، عضلة : شجرة تشبه الدفلى .

(61) الأحكام 166/2.

(62) قانون التأويل (8 ـ أ) .

(63) في فهرسة ابن خير : أن من شيوخ ابن العربي أبا الحسن علي القروي ـ نزيل عسقلان ، أخذ عنه تلخيص الجويني . انظر ص 259 .

عليه: (. . . فلما كان في بعض الأوان، كنت منقلباً عن بعض الإخوان؛ إلى أن جئت لقم[64] طريق، وقد امتلأت بالناس وهم منقصفون[65] على جارية تغني في طاق، فوقفت أطلب طريقاً، أو أفكر في المشي على غيره؛ ـ وهي تترنم للتهامي[66]:

أقـول لها والعيس تحـدج للنـوى   أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر
أليس من الخســران أن لـيــاليــا   تمر بلا نفع وتحسب من عمري[67]

فقلت: محمد، هذا بشهادة الله وحي صوفي، وهاتف ديني؛ أنت المراد، وعليك دار هذا الترداد؛ ارحل من حينك إلى نيتك الأولى، وخذ بنفسك ـ إلى ما هو الأحرى بك والأولى؛ وبادرت إلى داري، وقلت لأبي: الرحيل، الرحيل، فليس هذا المنزل بمقيل؛ فسر بذلك، إذ كان قبل يراودني عليه ـ وأنا أمانعه)[68].

فركبا البحر إلى عكا، وعرجا على طبرية وحوران ـ ميممين شطر دمشق.

ج ـ دمشق:

ويشير سياق الرحلة، إلى أن وصولهما إلى دمشق، كان في الشهور االأولى من سنة (489 هـ).

ودمشق بلد علم وأدب، وحضارة وعمران؛ اتخذها السلجقيون عاصمة لهم، نافسوا بها بغداد وخراسان. . . ولندع ابن العربي يحدّثنا عن دمشق، ومـا أدراك ما دمشق؟! (. . بلـد ليس في البلاد مثلها، وإليه آوت مريم،

---

(64) لقم الطريق : وسطه .
(65 انقصف القوم : اندفعوا وتتابعوا .
(66) البيتان غير موجودين في ديوانه .
(67) قانون التأويل (8 ـ أ).
(68) نفس المصدر .

وبها كان آدم. . مدينة بأعلاها، ومدينة بأسفلها؛ تشقها تسعة أنهار: للقصبة نهر، وللجامع نهر، وباقيها للبلد؛ تجري الأنهار من تحتها، كما تجري من فوقها؛ ليس فيها كظامة[69] ولا كنيف، ولا فيها دار ولا سوق ولا حمام ـ إلا ويشقها الماء ليلاً ونهاراً؛ وفيها دور مكنوا أنفسهم من سعة الأحوال بالماء، حتى إن مستوقدهم عليه ساقية؛ فإذا طبخ الطعام، وضع في القصعة وأرسل في الساقية فتجري إلى المجلس، فتوضع في المائدة؛ ثم ترد القصعة من الناحية الأخرى إلى المستوقد فارغة فترسل أخرى ملأى، هكذا حتى يتم الطعام؛ وإذا كثر الغبار في الطرقات، أمر صاحب الماء أن يطلق النهر على الأسواق والأرباض. . . ولها باب جيرون بن سعد بن عبادة، وعنده القبة العظيمة، والميقاتات لمعرفة الساعات، وعليها باب الفراديس ليس في الأرض مثله؛ وفيها الغوطة: مجمع الفاكهات، ومناط الشهوات؛ عليه تجري المياه، ومنها تجنى الثمرات. .)[70].

وقد اختار ابن العربي باب الفراديس ـ وهو أجمل مكان بدمشق ـ مقراً له، يتفرج منه على المدينة، ويخلو فيه للبحث والدرس، ويلجأ إليه عندما تطارده هموم الغربة والوحشة: (وعنده ـ وليس في الأرض مثله ـ كان مقري، وإليه من الوحشة كان مفري، وإليه كان انفرادي للدرس والتقري)[71].

ورغم ما كانت تتوفر عليه المدينة من حضارة وعمران، وما منحتها الطبيعة من جمال وسحر؛ فإن فتانا أبا بكر لا ينشط كثيراً للحركة العلمية التي وجد عليها دمشق، فهي تكاد تكون صورة طبق الأصل مما هي عليه في القدس: فالعلماء هم العلماء، والطريقة هي الطريقة؛ والمقدسي هو صاحب المدرسة هنا وهناك: (. . وأصحابه به متوافرون، وهم على سبيل الأرض

---

(69) كظامة : قناة الماء في باطن الأرض .

(70) الأحكام : 316/2 .

(71)نفس المصدر .

المقــدسـة ســائـرون، وفي مــدرجتهم ســالكــون، وبتلك الــدرجـة متمكنون. . .)[72].

شيوخه:

وإذا فاته أن يأخذ عن أبي الفتح المقدسي[73] - بالقدس مباشرة - وهو حافظ العصر وإمام مصر - فقد واتته الفرصة ليسمع منه، ويأخذ عنه ما عسى أن يكون فات تلاميذه ومعاصريه؛ فلازمه مدة إقامته بدمشق، وروى عنه كتب الصحاح وغيرها: (. . وانتهينا إلى سماع البخاري - بعد تقديم غيره عليه، وكان يقرؤه علينا بلفظه لثقل سمعه. . .)[74].

وسمع من الشيخ الحافظ أبي محمد الأكفاني، والشيخ الرئيس أبي الفضل بن الفرات، والقاضي أبي سعيد الهروي، والرئيس الأديب أبي المظفر الأبيوردي الشاعر، ونسيب الدولة أبي القاسم علي ابن القاضي[75].

ولكن. . ولكن ماذا. .؟ فهل آن لهذا الظمىء أن يرتوي، فلا يرحل إلى مناهل أخرى؟.

إن ذا لبعيد، فالمعرفة كطعام أهل الجنة، كلما طعموا منه، وجدوا به لذة لم يجدوها من قبل، فازداد نهمهم به، وتشوقهم إليه. .

إذن فماذا يعتزم هذا الفتى؟.

إنه يعتزم نجعة أبعد، ورحلة أطول؛ إلى بلد طالما حن له، وتاقت نفسه إليه.

---

(72) قانون التأويل (8 - ب).

(73) أنظر ترجمته في تاريخ دمشق (حرف النون)، وطبقات السبكي 4/27 - 28، والنجوم الزاهرة 5/160.

(74) قانون التأويل (8 - ب).

(75) العارضة 11/146، والأحكام 2/35.

إن الفترة التي قضاها ابن العربي بالقدس ودمشق، إنما كانت توطئة لهذه الرحلة التي سيكون لها ما بعدها:

(. . رحلنا إلى الشام، وأملنا الأمام[76]. . ولما سمعت كلام القوم، استخرت الله ـ تعالى ـ في المشي إلى العراق. . .).

د ـ في بغداد:

غادر ابن العربي دمشق ـ متوجهاً إلى بغداد ـ في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة (489 هـ)، وأهل هلال رمضان ـ والقافلة على أطراف العراق، فكبر الناس وهللوا ـ فرحاً بمقدم هذا الشهر الميمون؛ ولكن فتانا لم يعر ذلك أدنى اهتمام، فكل أمله أن يدخل دار السلام، ويستمع إلى حلقات العلم، ويرى وجوه العلماء؛ لا أن يرى طلعة هلال رمضان أو شوال، ويسمع ولولة النساء وأهازيج الولدان: (. . فلما نزلنا ضميراء ـ آخر العراق وأول السماوة، سقينا واستقينا، ثم خرجنا عنه مصحرين في السماوة عشي يوم الأحد منسلخ شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة؛ فبينما نحن نقطع المفازة إلى ماء يقال له الأطواء، أهل علينا هلال رمضان، فكبر الناس والتفت إلى أبي ـ رحمه الله ـ يكبر بتكبيرهم؛ فما صرمت بصري إليه كراهة في جهة المغرب التي كان بها، وتشوقاً إلى جهة المشرق التي كنت أؤملها. . .)[77].

وكانت بغداد في ذلك الوقت من أكبر مراكز العلم في العالم الإسلامي، وكانت محط رحال العلماء، يفدون إليها من أقصى الشرق والغرب؛ أسس بها نظام الملك المدرسة التي تنسب إليه والمعروفة بـ (النظامية)، جلب إليها من شيوخ العلم وحفاظ الحديث، ما جعلها أكبر جامع في الشرق الإسلامي.

(76) قانون التأويل (6 ـ أ).

(77) قانون التأويل (8 ـ ب).

ويصادف دخول ابن العربي إلى بغداد، خروج الخليفة لصلاة الجمعة وقد حضرها العلماء، وكبار رجال الدولة؛ وكان يبدو على عين الفتى بريق وكأنه يرمز إلى شيء، وقد عادت به الذكرى إلى أيام دولة بني عباد ـ وهم في عز ملكهم، وشامخ دولتهم؛ ووالده إذ ذاك من كبار الوزراء، عليه شارة الملك، وأبهة السلطان؛ ولكنه سرعان ما أفاق من غفوته، فاسترجع واستغفر؛ وتلا هذه الآية: «قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء. . .» ثم التفت إلى من حوله ـ يسأل عن أول حلقة لأهل العلم في هذا اليوم؟ فدلوه على المدرسة النظامية، وكان أول درس تلقاه بها من نصيب خليفة الرئيس: الشيخ أبي محمد الحسين بن علي الطبري ـ فقيه شافعي، من كبار أساتذة المدرسة النظامية، (ت 498 هـ)؛ ـ وموضوعه: إجبار السيد عبده[78]. . . فاستمع الفتى إلى الدرس بكل اهتمام، ووعى منه كل شيء؛ وأنصت طويلاً لما يجري في الموضوع من مناظرات ومناقشات، وأدرك نواحي القوة والضعف فيها: (وقلت لبعض الطلبة الذي كان يجاورني: كلام المستدل، أقوى من كلام المعترض؛ فرمقني ـ منكراً ـ وقال لي ـ لما رأى علي من صغر السن ـ: أنى لك هذا؟! فقلت: أمر ظهر لي، وأعرضت عنه لئلا يتصل الكلام فيفطن لي)[79].

وهنا يعود ابن العربي القهقرى وينظر إلى الماضي البعيد والقريب، ويقارن بين أول درس سمعه بالقدس فما كاد يفقه منه شيئاً، وآخر يستمع إليه ببغداد ـ وقد فهم كل شيء، وفي استطاعته أن يعبر عن رأيه بكل صراحة ـ وبيده الحجة: (. . . فسمعتهم يتكلمون في إجبار السيد عبده. . ولا يفوتني من كلامهم شيء من الفساد والصلاح؛ ونظرت إلى حالي أول دخولي إلى بيت المقدس ـ وأنا أسمع مجلي في مسألة الحرم، وحالي حين دخولي بغداد

---

(78) . نفس المصدر .

(79) قانون التأويل (9 ـ أ).

وسماعي مسألة إجبار العبد؛ فهم قلبي يغيض، ولساني يفيض؛ ثم تماسكت، وليتني تكلمت. . .)[80].

ثم حضر الفتى مجلس أبي سعيد يحيى بن علي بن حسن الحلواني من أئمة الشافعية، ولي حسبة بغداد، ودرس بالنظامية، (ت 520 هـ). ولم يرض ابن العربي هذه المرة بالقعود في حاشية الحلقة، بل جلس قريباً من الشيخ يتصدر المجلس، ويزاحم مناكب العلماء؛ وطلب الكلمة ـ كعالم متناظر، لا كطالب مستمع؛ وربما احتقرته العيون لصغره، ولكنه برهن بالحجة على أنه فوق ما كانوا يظنون؛ وقد صرح له الشيخ أمام الجمهور منوهاً بكفاءته قائلاً: (. . كذلك ـ والله ـ أعربت عن نفسك، وأبنت عن مكانك. . .)[81].

ومنذ ذلك الحين، عرف علماء بغداد قدره، وأشاعوا فضله؛ ولكن الغريب في الأمر، أن نرى ابن العربي ـ ولأسباب نجهلها ـ يتوقف فجأة عن زياراته للعلماء، وتطوافه على مجالس الشيوخ، ويغير اتجاهه إلى جهة أخرى؛ فلم يكد ينتهي الشهر الثالث من دخوله إلى بغداد، حتى رأيناه يرتبط بمواعد مع ركب الحاج العراقي، ويولي وجهه شطر الحجاز؛ ولعله لبى بذلك رغبة والده الملحة في أداء فريضة الحج ـ وقد تقدمت به السن، ويخشى أن تضيع عليه الفرصة التي من أجلها رحل من المغرب.

هـ ـ في الحجاز:

كانت رحلة ابن العربي إلى الحجاز أواخر ذي القعدة من سنة تسع وثمانين وأربعمائة (489 هـ)[82]، وكان طريقه على الشام، وقد نزل ضيفاً

---

(80) نفس المصدر.

(81) قانون التأويل (9 ـ ب).

(82) تردد الدكتور إحسان عباس في خروج ابن العربي إلى الحج هذه السنة (489 هـ) ـ لأنه ـ كما يقول ـ كان منهمكاً في الأخذ عن شيوخ بغداد ـ والوقت لا يسمح له =

بالعريش على أحد حفدة النعمان بن المنذر، فيبالغ في إكرامه؛ ويسأله عن بني لخم بالأندلس، فينتمي ابن العربي إلى قحطان، ويفيض في القول عن جاليات اللخميين والقحطانيين ـ عموماً ـ ببلاد المغرب[83]؛ وهو جهينة أخبارهم، يتقصى آثارهم، ولا يكاد يغيب عنه شيء من أحوالهم في الشرق والغرب؛ وقد اتصل بفروعهم في رحلاته، وعاين مساكنهم بالشام واليمن، وقلما يخلو له كتاب من الحديث عنهم، وربما اتهم بالتعصب لأصله اليمني.

ولنترك ابن العربي يحدثنا عن هذه الرحلة، ويصف مشاهداته بها:

(.. لما كانت سنة تسع وثمانين وأربعمائة (489 هـ)، أهل علينا هلال ذي الحجة ليلة يوم الخميس بالدبرة، فرحلنا عنه ـ وقد فرح الناس بوقفة الجمعة، ليجتمع لهم فضل اليومين: فضل يوم عرفة، وفضل يوم الجمعة؛ فبتنا بمكان يقال له المسجد، ثم رحلنا سحراً، فلما صلينا الصبح وأشرقت الشمس، إذا بقافلة البلقاء ترى فيها النفر المحرمين بالثياب البيض بين الناس؛ فقلت: ما هذا؟ قال لي بعضهم: هم الشيعة لا يحرمون من ميقات عمر ـ (ذات عرق)، قلت: فمن أين لهم هذا؟ قال: هم يزعمون أن عليّاً خرج من الكوفة، فأحرم من هذا الماء...)[84].

أ ـ بمكة:

ويذكر ابن العربي أعماله في الحج، ويحاول أن يكون أداؤه لها دقيقاً،

= بذلك، ويرجح أن حجه إنما تم سنة (490 هـ). انظر مجلة «الأبحاث اللبنانية» م 1 س1 ـ ص 59 ـ وما بعدها.
وينفي الدكتور حسين مؤنس ـ في بحثه المنشور بـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد م (11 - 12) ص 120 ـ ينفي بتاتاً ـ أن يكون ابن العربي أدى فريضة الحج، وخير ما نحيله عليه كتب ابن العربي نفسه، فليرجع إن شاء إلى:
الأحكام 5/2، العارضة 41/4, 49، 50، 110، 153.

(83) انظر العارضة 292/13.

(84) العارضة 4 / 49 -50.

وكما أداها الرسول ـ عليه السلام ـ يوم الحج الأكبر؛ ويلاحظ أن الناس يهملون بعض مناسك الحج، ويفوتون على أنفسهم خيراً كثيراً؛ فهم يتركون المبيت بمنى يوم التروية، ويؤثرون أن يبيتوا ليلة عرفة بعرفة: (. . مررت من ذات عرق، فألفيت الحاج كله بائتاً في عرفة، وليس على من فعل ذلك شيء، ولكنه ترك فعل رسول الله ﷺ، ولقد خاب في تركه. . . أما أنا فجئت مراهقاً من ذات عرق إلى الموقف ليلة عرفة نصف الليل، فأصبحت بها، ووقفت من الزوال يوم الجمعة سنة تسع وثمانين وأربعمائة؛ ثم دفعت بعد غروب الشمس إلى المزدلفة فبت بها ثم أصبحت، فوقف بها الأمير حتى طلعت الشمس على قدم؛ فلما عممت الجبال، دفعنا فرمينا الجمرة، وحلقت وذبحت الفدية كانت علي؛ ثم دخلت مكة، وطفت وسعيت، وصليت بها الظهر[85]. . . وكنت أشرب ماء زمزم كثيراً، وكلما شربته نويت به العلم والإيمان؛ ففتح الله لي ببركة في المقدار الذي يسره لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله لي فيهما فلم يقدر؛ فكان صغوي إلى العلم أكثر منه إلى العمل، وأسأل الله الحفظ والتوفيق)[86].

نشاطه السياسي بموسم الحج:

وقد اغتنم ابن العربي فرصة حضوره هذا المؤتمر الإسلامي العام، فاتصل بسائر الوفود التي تقاطرت على هذا الموسم، وقام بدعاية واسعة النطاق للمغرب بلده ولأميره يوسف بن تاشفين؛ فكان يذكره في كل محفل، ويدعو له بكل مشهد؛ ويشيع بين الناس سيرته وعدله، وجهاده وفضله[87].

---

(85) العارضة 153/4.

(86) الأحكام 5/2 .

(87) انظر رسالة الغزالي إلى ابن تاشفين التي سنوردها بعد .

شيوخه بمكة:

واتصل بجمهرة كبيرة من شيوخ العلم وأهل الفضل، وفي جملة من سمع عليهم بالحرم الشريف ـ شيوخ بغداد الذين حضروا هذا الموسم، كأبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي ـ مسند العراق، ونقيب العباسيين ـ وكان أعلى الناس منزلة عند الخليفة، (ت 491 هـ)[88].

وأبي محمد الحسن بن علي الطبري (ت 498 هـ) الآنف الذكر، وقد جاور بمكة، وحدث بالحرمين الشريفين[89].

وأبي المعالي ثابت بن بندار الحمامي المقرىء، (ت 498 هـ)[90]، سمع عليه نسخة دينار بن عبدالله الأهوازي عن أنس بن مالك[91].

ومن الشيوخ الذين لقيهم بمكة وأخذ عنهم: أبو محمد عبدالله بن طلحة اليابري الأندلسي ـ وهو من شيوخ الزمخشري، أخذ عنه كتاب سيبويه؛ كان فقيهاً نحوياً أصولياً، له ردود على ابن حزم، (ت 518 هـ)[92].

ب ـ بالمدينة:

وفي زيارته لمدينة الرسول، كان يقضي جلّ أوقاته في الروضة الشريفة بين القبر والمنبر، ويستمع إلى أحاديث شيوخه ـ وهم يقولون: قال صاحب هذا القبر. وسيحدث ابن العربي تلاميذه بكل ما سمع في الروضة الشريفة بين القبر والمنبر ـ وهو فخور[93] بذلك.

---

(88) انظر النجوم الزاهرة 162/5.

(89) انظر فهرسة ابن خير: 983.

(90) انظر الذهبي، تذكرة الحفاظ 1233/4.

(91) انظر فهرسة ابن خير: 161.

(92) انظر السيوطي، بغية الوعاة: 284.

(93) فهرسة ابن خير: 163.

ولم تطل إقامة ابن العربي بالحجاز، وربما كانت المدة التي قضاها بمكة أطول منها بالمدينة.

ولعل المهمة التي كانت تنتظره ببغداد، هي التي حدت به إلى العودة على نوع من الاستعجال ـ وهي مهمة مزدوجة: علمية وسياسية؛ كان قد أعد لها مشروعاً حافلاً يتضمن ـ في جملة ما يتضمنه ـ نقطتين أساسيتين، هما:

1 ـ التعرف على كبار مشايخ بغداد، والاكتراع من مناهلهم.

2 ـ القيام بمساع لدى الخليفة العباسي في سبيل وحدة المسلمين، وانضوائهم تحت لواء واحد.

في بغداد ثانية:

عاد ابن العربي إلى بغداد ـ بعد أن أدى فريضة الحج ـ ليواصل نشاطه العلمي والسياسي، وعلينا أن نقول كلمة في كلا الجانبين:

الجانب العلمي:

كانت المدة التي قضاها أبو بكر بالقدس في الدرس والتحصيل، كافية لأن تجعله في مستوى عال من الفهم والمعرفة والنضج الفكري، وعلى استعداد تام لخوض الجولة الأخيرة في هذا الميدان: (.. وكان من صنع الله الجميل بي، توفيقه إلى الإقامة بأرض الشام في بقعة مباركة وبين العلماء، حتى صار ذلك درجاً للقاء المحققين الذين ينتقدون ما حصلت، ويفسرون ما أجملت، ويوضحون ما أبهمت، ويكملون ما نقصت؛ وصار ما حصل عندي من تلك المقدمات، استعداداً لقبول الحقائق فيها، وتقييد الشارد من معانيها؛ وصار ذلك كمن يدخل المعدن فيجمع النضار برغامه، ويحمله إلى دار السبك لتخليصه...)[94].

(94) قانون التأويل ـ ورقة (10 ـ أ).

شيوخه ببغداد:

كان على ابن العربي ـ وهو الشاب الطموح ـ أن يتعرف على كبار علماء بغداد ومشايخها البارزين، ويقتبس من علومهم ومعارفهم؛ فهو رغم أنه مالكي المذهب، فقد تتلمذ لكثير من فقهاء الشافعية وبعض الحنابلة؛ وقد ذكرت ـ سابقاً ـ طائفة من الشيوخ الذين لقيهم ابن العربي أول دخوله إلى بغداد، أو رافقهم إلى الحج، فسمع منهم هناك.

ومن أوائل أساتذته الذين طال اتصاله بهم ـ وكان لذلك أثره في حياته ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي ـ رئيس الشافعية، درس بالنظامية وسواها من مدارس بغداد، وكان يلقب بالجنيد ـ لدينه وورعه، وعلمه وزهده، (ت 507 هـ).

ومن تواضعه ـ رحمه الله ـ أنه كان كثيراً ما ينشد في مجالسه:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن العناء تفردي بالسؤدد

ويضع المنديل على عينيه ويبكي! كان عالماً منتجاً، ومؤلفاً مثمراً؛ ألف باسم المستظهر كتابه: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، والعمدة وهو كالشرح له، وسواهما من المؤلفات المعتمدة في المذهب الشافعي؛ والشاشي من الفقهاء القلائل الذين طبقوا المنهج العلمي في دراستهم للمذاهب الفقهية دون تحيز أو تعصب: (.. سمعته ـ وهو ينتصر لمذهب أبي حنيفة في مجلس النظر ـ يقول: يقال في اللغة العربية: لا تقرب كذا ـ بفتح الراء ـ أي لا تتلبس بالفعل، وإذا كان بضم الراء، كان معناه لا تدن من الموضع...)[95].

وابن العربي معجب كل الإعجاب بأستاذه الشاشي، يراه فوق كل الشيوخ، ويلمحه بدراً ساطعاً، وشهاباً ثاقباً، يضيء كل جوانب المعرفة، وينفذ إلى الأعماق: (... واختصصت بفخر الاسلام أبي بكر الشاشي ـ فقيه

(95) النفح 2/36.

الوقت وإمامه، وطلعت لي شمس المعارف، فقلت: الله أكبر! هذا هو المطلوب الذي كنت أحمد، والوقت الذي كنت أرقب وأرصد! فدرست وقيدت، ورويت وارتويت، وسمعت ووعيت. . .)[96].

وكان الفتى ذا ميل طبيعي إلى النقد والبحث، والفحص والتمحيص، ينتقد كل شيء، ويرفض ـ بكل قوة ـ ما لا يقبله عقله، أو لا يستسيغه ذوقه ـ ولو كان صادراً ممن كان! وكان الشيخ يعرف ذلك من تلميذه، فيفسح له المجال: يلمح له إلى الحقيقة، ويرشده إن أخطأ الدليل أو أغفله: (. . . كنت أرى بمدينة السلام يوم الجمعة كل أحد يحضر بحصيره ونمرته، فيفرشها في جامع الخليفة؛ فإذا دخل الناس إلى الصلاة، تحاموها حتى يأتي صاحبها فيصلي عليها؛ فأنكرت ذلك، وقلت لیشخنا فخر الإسلام أبي بكر الشاشي: أيوطن أحد المسجد وطناً؟ أويتخذ منه مسكناً؟ قال: لا، ولكن إذا وضع أحد مصلاه، كان أحق بذلك الموضع، لقول النبي ـ ﷺ ـ: منى مناخ من سبق)[97].

اتصاله بالغزالي:

ومن الشيوخ الذين يعتز ابن العربي بهم، ويفاخر ـ شامخاً أنفه بالأخذ عنهم ـ أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، وكان لقاؤه له برباط أبي سعيد بمدينة السلام ـ في جمادى الآخرة سنة (490 هـ) بعد عودته من السياحة التي انعزل فيها عن عالم الناس، وتجرد للتفكر والعبادة: (. . فاوضت أبا حامد الغزالي حين لقائي له بمدينة السلام في جمادى الآخرة سنة تسعين وأربعمائة، وكان قد راض نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين وأربعمائة (486 هـ) إلى ذلك الوقت ـ نحواً من خمسة أعوام وتجرد لها، واصطحب مع العزلة، ونبذ كل فرقة. . .)[98].

---

(96) قانون التأويل (9 ـ ب).

(97) العارضة 4/111 - 112.

(98) العواصم من القواصم 1/20.

ولا يخفي ابن العربي فرحه بهذا اللقاء، وابتهاجه بهذه الأمنية التي طالما اشتاق إليها؛ ولندعه يحدثنا بأسلوبه الخاص ـ وهو ينم عن شعور عميق، وإحساس بعيد ـ وهو أمر لا تسعه إلا دنيا الخيال: (.. حتى ورد علينا ذا نشمند[99] برباط أبي سعيد بإزاء المدرسة النظامية ـ معرضاً عن الدنيا، مقبلاً على الله ـ تعالى؛ فمشينا إليه، وعرضنا أمنيتنا عليه؛ وقلت له: أنت ضالتنا التي كنا ننشد، وإمامنا الذي به نسترشد؛ فلقينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة.. فإنه كان رجلاً إذا عاينته، رأيت حالاً ظاهراً، وإذا عالمته وجدت بحراً زاخراً؛ وكلما اختبرت، احتبرت! فقصدت رباطه، ولزمت بساطه، واغتنمت خلوته ونشاطه، وكأنما فرغ لي، لأبلغ منه أملي؛ وأباح مكانه، فكتب لي لقاه؟ في الصباح والمساء، والظهيرة والعشاء؛ كان في بزته، أو بذلته؛ وأنا مستقل في السؤال، عالم حيث تؤكل كتف الاستدلال؛ وألفيته حفياً بي في التعليم، وفياً بعهدة التكريم...)[100].

وقد فتح أبو حامد صدره لهذا الفتى الغريب، وخصه ـ دون من سواه ـ بالتكريم والتقريب؛ وكشف له عن آفاق لم يكن قط يحلم بها، وباح إليه بسره المكنون، وكأنه توسم فيه أنه من السالكين المهتدين: (.. فلما طلع لي ذلك النور، وتجلى ما كان تغشاني من الديجور؛ ـ قلت: هذا مطلبي حقاً، هذا ـ بأمانة الله ـ منتهى السالكين، وغاية الطالبين...)[101].

ظل الفتى إلى جانب شيخه يغترف من بحره، ويقتبس من أنواره، ويتردد إليه في خلواته وجلواته ـ نحو عامين كاملين؛ فسمع عليه كتبه، واستكشف عقيدته ومذهبه: (.. قرأت عليه جماعة من كتبه، وسمعت كتابه الذي سماه «الإحياء لعلوم الدين» فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته، المستكشف عن طريقته، لأقف من سر تلك الرموز التي أومأ إليها في كتبه

---

(99) الحكيم العلامة، أو العارف ـ ويعني به الغزالي.

(100) قانون التأويل (9 ـ ب).

(101) قانون التأويل 10 ـ ب).

علـى موقف تام المعرفة، وطفق يجاوبني مجاوبة الناهج لطريق التسديد للمريد؛ فقال لي من لفظه، وكتب لي بخطه. . .)[102] ولم يكتف أبو بكر بما كان يلقيه في مجلس شيخه من سؤال، وما يدور من حوله؛ بل حرر مجموعة أسئلة كانت تختلج في صدره، وتجيش بها نفسه؛ مما تحدث عنه الفلاسفة المتكلمون، ولم يشفوا فيها الغليل؛ فقدمها إلى أستاذه يستجليه حقيقتها، ويستكشف وجه الصواب فيها؛ وكان من بين هذه الأسئلة:

هل الروح أجزاء نورانية بعدد المخلوقات، أو جوهر روحاني يلقي إلى كل جسد من شعاعه، كما تلقيه الشمس إلى من لم يحجب عنها؟. . ويجيب الشيخ بفيض من العلم، ولكنه يوصيه ـ بادىء ذي بدء ـ:

1 ـ أن لا يطمع في الإجابة عن كل ما يعترض في نفسه، لأن ذلك طمع في غير مطمع، وأن يتلو قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

2 ـ أن لا يكذب برهان العقل، فإن العقل لا يكذب، إذ به عرفنا الشرع.

3 ـ أن يكف عن تعيين التأويل حين يعرض الاحتمال، فإن الحكم على مراد الله ومراد رسوله ـ ﷺ ـ بالظن والتخمين ـ خطر. .»[103].

ورغم أن ابن العربي معتز بأستاذه الغزالي ـ كإمام من أئمة الإسلام، وكفحل من فحول الفلاسفة؛ فقد رد عليه كثيراً من آرائه، وانتقد طائفة من كتبه: (. . يعلم الله، وتشهد لي كتبي ومسائلي وكلامي مع الفرق، بأني جد بصير بأغراض القوم ومقاصدهم؛ فإن معلمي كان فحلاً من فحولهم، عظيماً

---

(102) العواصم من القواصم 20/1.

(103) يوجد بالخزانة العامة بالرباط مخطوطة صغيرة رقم (920 ـ ك) في (17) ورقة، جاء في أولها: «هذه أجوبة أسئلة ابن العربي، إذ سأل شيخه الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي.

من عظمائهم. . والله إني كنت محتشماً له، غير راض عنه؛ وقد رددت عليه فيما أمكن، واحتشمت جانبه فيما تيسر. . .)[104].

وكان مما رده عليه قوله - في الروح -: (إنها عبارة عن بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، تنبعث منه إلى سائر الأطراف بواسطة الشرايين، فتنتهي إلى الدماغ ورطوبته. .)[105] - فالروح - بهذا المعنى - غير النفس، يقول ابن العربي: (. . ولقد عجبت من حكاية الطوسي - ولقد تأملته - وقد فارقته - تأمل الراغب له، المجتهد في بيانه؛ فما وجدت له في الثبوت قدماً، ولا استمر على التحقيق القاصد أمماً. .)[106].

وانتقد عليه قولته المشهورة: ليس في الإمكان، أبدع مما كان. قال: (قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً، انتقده عليه أهل العراق، وهو بشهادة الله موضع انتقاد؛ قال: ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع منه وادخره، لكان ذلك منافياً للجود. . . وزاد يقول: ونحن وإن كنا قطرة من بحره، فإنا لا نرد عليه إلا بقوله. . فسبحان من أكمل لشيخنا هذا فواضل الخلائق، ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق. .)[107]!.

ويذكر ابن العربي أن شيخه الغزالي، أشار عليه ذات مرة بالإعراض عن بعض مؤلفاته، ولكن فضول الشباب - وأحب شيء ما منع - دفعه إلى الاطلاع عليها، والنظر فيها: (. . ثم نظرت في كتاب معيار العلوم فاستحسنته، وجئت إليه - وعلى كمي كراسة منه؛ فقال لي: ما معك؟ فاستحييت ودفعته إليه، فقرأه ملياً - وأنا أسارقه النظر، وأربض عرقاً؛ ثم دفعه

(104) انظر قانون التأويل، مخطوطة حاجي سليم آغا - استنبول ضمن مجموع رقم (499) ورقة (165).

(105) انظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (920 - ك).

(106) انظر قانون التأويل، نسخة استنبول - ورقة (152).

(107) انظر مقدمة الأستاذ الإمام محمد الخضر حسين شيخ الأزهر لإحدى طبعات الإحياء.

إليّ وقال: كتاب حسن، ولكن لا تغتر بمخالفتنا فيه..)[108].

وقد تحققت فراسة الشيخ، فسرعان ما تغير رأي تلميذه في هذا الكتاب وانقلب استحسانه ذماً، وهاجمه مهاجمة عنيفة وقال فيه: (إنه أدخل فيه أغراضاً صوفيـة فيها غلو وإفراط، وتطاول على الشرع وانبساط..)[109].

وابن العربي عاش مع أستاذه كتلميذ ومريد في آن واحد، ويحدثنا في هذا الصدد فيذكر أنه سأل شيخه عن اسم الله الأعظم ـ وما أكثر ما كان المريدون يرددون هذا السؤال؟! ـ فكان جواب الشيخ: إنه قولك: الله لا إلّه إلا هو الحي القيوم، قال أبو بكر: (ولو كان هذا صحيحاً، لكانت سورة البقرة، أعظم سورة في القرآن، لأن ذلك فيها، ولشركتها آل عمران في ذلك، ولتقدمتا على فاتحة الكتاب، دل ذلك على ضعف هذا الكلام؛ قال: وإنما عول أبو حامد على حديث ينسب إلى النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: اسم الله الأعظم في آية الكرسي ـ ولم يصح، بل هو موضوع..)[110].

هذا، وتذكر بعض الروايات ـ أن ابن العربي لقي الغزالي مرة أخرى بصحارى الشام وبيده عكازة، وعليـه مرقعة، وعلى عاتقه ركوة؛ فسلم عليه وقال له: يا إمام: أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا؟ قال: فنظر إليّ شزراً ـ وقال: لما طلع بدر السعادة، في فلك الإرادة؛ وجنحت شمس الوصول، إلى مغارب الأصول:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعـدت إلى تصحيـح أول منـزل
ونـادت بي الأشـواق مهـلاً فهـذه منـازل من تهوى رويـدك فـانـزل
غـزلت لهم غزلاً رقيقـاً فلم أجد لغزلي نساجاً، فكسرت مغزلي[111]

(108) قانون التأويل نسخة استنبول (179).

(109) انظر العواصم من الوقاصم 84/1.

(110) العارضة 34/13.

(111) أورد هذه الرواية محب الدين الخطيب في مقدمة القسم الذي نشره من «العواصم والقواصم» ص 20، والشيال في كتابه عن الطرطوشي ص 30 ـ كرواية مسلمة لا =

ولا ندري مدى صحة هذه الرواية ـ وأمرات الصنعة بادية عليها؟ أما من حيث الزمان فيجوز ذلك ـ وقد مر ابن العربي ببادية الشام في طريقه إلى الأسكندرية أواخر سنة (491 هـ)[112]؛ ولكن لا ندري هل كان الغزالي وقتئذ لا يزال في سردابه برباط أبي سعيد بدار السلام ـ وهو في شبه عزلة، أم عاد إلى سياحته الشاقة ـ لتصحيح أول منزل ـ كما يقول؟!.

وممن تتلمذ لهم ابن العربي ـ وهم الصفوة المختارة من أئمة ـ هذا العصر ـ أبو القاسم بن عبد الملك الحاكمي الطوسي من تلاميذ إمام الحرمين، رافق الغزالي في رحلاته إلى العراق والشام، وكان شريكاً له في الدرس؛ وكان الغزالي يكرمه غاية الإكرام، ويقدمه على نفسه، (ت 529 هـ)؛ ويذكره ابن العربي بذانشمند الأكبر[113] ـ فرقاً بينه وبين الغزالي ذانشمند الأصغر، أورده في كتابه «أعيان الأعيان» وقال في حقه: (شيخ الشيوخ، وصاحب اللباب في العلم والرسوخ..)[114].

وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطيوري، المحدث الصحيح الأصول، الواسع العلم، (ت 500 هـ)؛ سمع عليه بالكرخ[115]، ويفضله ابن العربي على من سواه في ضبط الرواية، وسعة الأفق: (.. إلا أني رأيت أبا الحسين، أحلى في القلب وأعلى في العين..)[116].

= شبهة فيها، واستبعد الدكتور حسين مؤنس لقاء ابن العربي للغزالي ببادية الشام، ولا ندري ما وجه استبعاده ـ ما دام يقول بأن الغزالي عاد مرة أخرى إلى الشام، وخرج سائحاً إلى بيت المقدس..!

انظر بحثه عن ابن العربي المنشور بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد م (11-12) ص 20 وما بعدها.

(112) انظر النفح 18/2، والأحكام 56/2، وفهرسة ابن خير ص 418.

(113) انظر العارضة 226/12.

(114) انظر قانون التأويل (النسخة الخاصة) ـ ورقة (10 ـ ب).

(115) انظر العارضة 243/3، وفهرسة ابن خير ص: 1490.

(116) العارضة 7/1.

وأبو بكر محمد بن طرخان التركي البغدادي، العالم المحدث، الزاهد الورع، سمع عليه بمنزله ببغداد ـ وكان مستجاب الدعاء، (ت 513 هـ)[117].

وأبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي شيخ بغداد في الأدب، سمع عليه كثيراً، وقرأ عليه جلّ مؤلفاته، (ت 502 هـ)[118].

والعلامة المسند أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن محمد اليوسفي، من الثقات، جليل القدر؛ روى عن ابن شاذان وطبقته، (ت 492 هـ)[119].

والحافظ أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج الحنبلي ـ مقرىء بغداد، عالم أديب، وشاعر متفنن؛ من أشهر مؤلفاته: مصارع العشاق، (ت 500 هـ)[120].

والشيخ الراوية أبو طاهر عبد الرحمان بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي ـ راوي سنن الدارقطني، وكان رئيساً من كبار المحدثين، (ت 511 هـ)[121].

والحافظ أبو عامر محمد بن سعدون الميورقي، استوطن بغداد، وكان ظاهري المذهب، (ت 524 هـ)[122]. قال ابن العربي: وهو أحفظ من لقيت[123].

والشيخ الورع الزاهد، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى بن الفراء

---

(117) طبقات السبكي 70/4، وشذرات الذهب 14/4.
(118) وفيات الأعيان 238/5، ومفتاح السعادة 175/1.
(119) تذكرة الحفاظ 1230/4، وشذرات الذهب 397/3.
(120) وفيات الأعيان 309/1، والنجوم الزاهرة 193/5.
(121) النجوم الزاهرة 214/5، وشذرات الذهب. 31/4.
(122) انظر الذهبي، العبر 70/4، والصلة ص: 534، والنفح 138/2.
(123) انظر قانون التأويل ـ ورقة (8 ـ ب).

الحنبلي، من أسرة عريقة في العلم والفضل، وكان بارعاً في معرفة المذهب والأصول والخلاف، (ت 527 هـ)[124].

- في شيوخ آخرين.

ومن أساتذته الزائرين:

القاضي أبو المطهر الأصبهاني، لقيه حين وفد على بغداد حاجاً سنة (490 هـ) وسمع عليه حديث أم زرع بزيادات قد لا توجد عند غيره[125].

ولم يقتصر ابن العربي في سماعه على عاصمة الخلافة بغداد، بل تجول في أنحاء العراق، فزار البصرة، والكوفة، والكرخ، والموصل، وسواها؛ وسمع على كثيرين وقد ضمنهم فهرسة شيوخه[126]، وذكر الأفراد في كتابه «أعيان الأعيان»[127]، وخص معجمه الصغير بواحد وأربعين شيخاً، خرج لكل واحد منهم حديثاً[128].

وكان إلى ذلك - يتردد على المجالس العلمية العامة التي تعقد في دور الوزراء وعلية القوم[129]، ويشارك في محاضراتها ومناظراتها..: (.. كنت بمجلس الوزير العادل ابن جهير، فقرأ القارىء ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾، وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء علي بن عقيل (ت 513 هـ) - إمام الحنابلة بمدينة السلام، وكان معتزلي الأصول، فلما سمعت الآية، قلت لصاحب كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة، فإن العرب لا تقول: لقيت فلاناً إلا إذا رأته؛ فصرف

---

(124) النجوم الزاهرة 251/5، وشذرات الذهب 82/4.

(125) قانون التأويل (8 - ب).

(126) انظر فهرسة ابن خير ص 437 - وذكر أنه قرأه على مؤلفه.

(127) قانون التأويل (10 - ب).

(128) انظر فهرسة ابن خير ص 166 - قال: قرأته على شيخنا ابن العربي.

(129) انظر العارضة 266/5.

وجهه أبو الوفاء ـ مسرعاً إلينا وقال ـ ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة: فقد قال الله تعالى: ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾، وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة..)[130].

قراء بغداد:

ولا ينسى ابن العربي، أن يذكر اتصاله بقراء بغداد، وتأثره بقراءتهم وحسن تلاوتهم: (.. وسمعت بمدينة السلام ـ شيخ القراء البصريين يقرأ بدار الخلافة هذه الآية: ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ ـ وكأني ما سمعتها قط، حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ فعال لما يريد ﴾، ارتجت له جوانب القصر، وكأن الأبواب سقطت!ـ وزاد يقول: والقلوب تخشع للصوت الحسن، كما تخضع للوجه الحسن؛ وما تتأثر به القلوب في التقوى، فهو أعظم في الأجر، وأقرب إلى لين القلوب وذهاب القسوة..)[131].

من ورع العلماء:

ويذكر ابن العربي أن من أشياخه من ارتقى في مقام الزهد والورع إلى مرتبة سامية: (.. فما ادخر قط شيئاً لغد، ولا نظر بمؤخر عينه إلى أحد، ولا ربد على الدنيا بيد..)[133]. ومن ورعهم، أنهم كانوا إذا سمعوا الخطيب يوم الجمعة يدعو لأهل الدنيا، قاموا فصلوا، وربما تكلموا في مسائل من العلم، ولا يصغون إليه؛ لأنه ـ في نظرهم ـ لغو، لا سيما وبعض الخطباء يكذبون؛ فالاشتغال عنهم واجب، والإعراض في مثل هذه المواقف ضروري أكيد..)[133] وكان الشيخ الواعظ الصوفي أبو عطاء يقول لتلاميذه بمدينة السلام ـ وهو يعلمهم حكمة العلم ـ: (إن الكلب المعلم يغل في السلاسل،

---

(130) انظر النفح 39/2.

(131) الأحكام 187/2 .

(132) الأحكام 38/2 .

(133) العارضة 302/8 .

ليعمل بمقتضى علمه، والكلب الجاهل يترك وشهواته، ولن ينال ذلك إلا بالصبر. . .)[134].

خنثى من المغرب:

ومن غرائب ما يذكره ابن العربي في حديثه عن الحركة الفكرية ببغداد، واتصال المغرب بالشرق ـ أنه شاهد خنثى من بلاد المغرب تدرس على الإمام الغزالي، لها لحية وثديان، وعندها جارية. . قال: (. . ومع طول الصحبة، عقلني الحياء عن سؤاله، وبودي اليوم أن لو كاشفته عن حاله. .)[135].

حدثني أبي عن أبيه:

وفي صدد حديثه عن شغف القوم بالرواية، وتفننهم في أساليب الأسانيد ـ يذكر من صيغ التحديث ـ قولهم: حدثني أبي عن أبيه ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قال مالك في تفسير قوله تعالى ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾: قول الرجل حدّثني أبي عن أبيه. . قال ابن العربي: (ولم أجد هذه الرتبة إلا عند بني التميمي ببغداد، فإنهم يقولون: حدّثني أبي عن أبيه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ. وبذلك شرفت أقدارهم، وعظّم الناس شأنهم، وتهممت الخلافة بهم. .)[130].

منهج الدراسة:

وبالرجوع إلى ما أوردناه من أخبار أولئك الشيوخ، نعرف أنهم أساتذة المنهج النقلي، وهو دعامة ما درسه ابن العربي من علوم وفنون، ويمكن تلخيصه في طريقتين:

1 ـ التلقي من فم الشيخ.

---

(134) الأحكام 2/218 .

(135) العارضة 8/178 .

(136) الأحكام 2/222 .

2 ـ كتابة ما ينسب للشيخ من علم في كتاب أولا . . ثم قراءة الكتاب على الشيخ ـ وهو يسمع، وقد يختصر ذلك بأن يجيز الشيخ الطالب في أن يروي ما في كتاب الشيخ دون أن يقرأ عليه . .

ولا غرو أن يجمع ابن العربي بين الطريقتين، ويغترف بكلتا اليدين؛ فهو قد سمع كثيراً، ودوَّن كثيراً . . وحمل إجازات علمية من أساتذة كبار، وفيها تقدير لعلمه وكفاءته، وسنعرض لذلك بشيء من التفصيل في مناسبة أخرى .

أما المواد التي درسها، والكتب التي قرأها، فيطول بنا القول لو أردنا أن نتحدث عنها؛ وقد أورد ابن خير ـ فقط ـ في فهرسته ـ أزيد من مائة كتاب ـ ما بين تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، ولغة، وأدب، وتاريخ، وسير، وفلسفة، وتصوف . . قرأها أو سمعها كلها بجامعة بغداد، دون ما سمعه في غيرها من المراكز العلمية في الشرق والغرب الإسلاميين، وقد نعرض لها في موضع آخر من هذا البحث.

ولنكتف ـ هنا ـ بهذه الكلمة التي أوردها في مقدمة كتابه (قـانون التأويل)، وهي تمس فقط جانباً من جوانب التشريع الإسلامي فيقول: (. . قرأت من كتب التفسير كثيراً، ووعيت من حديث الرسول عيوناً، كتفسير الثعلبي ـ ونسخه الطرطوشي فزاد فيـه ونقص، فجاء تـأليفاً لـه؛ وكتاب الماوردي، ومختصر الطبري، وكتاب ابن فورك ـ وهو أقلها حجماً، وأكثرها علماً، وأبدعها تحقيقاً؛ وهو ملامح[137] كتاب (المختزن) الذي جمعه في التفسير الشيخ أبو الحسن[138] في خمسمائة مجلد، وكتاب النقاش ـ وفيه حشو كبير؛ ومن كتب المخالفين كثيراً، ومن المسانيد جماً غفيراً؛ وأكثر ما

---

(137) ملامح : مشابه .

(138) يعني أبا الحسن الأشعري (ت 324 هـ)
انظر في ترجمته طبقات السبكي 225/2 .

قرأت للمخالفين كتاب عبد الجبار الهمذاني ـ الذي سماه بـ (المحيط) مائة سفر، وكتاب الرماني عشر مجلدات؛ وفاوضت فيه علماء المخالفين والمؤالفين، وأهل السنة والمبتدعين؛ فاستفدت من أهل السنة، وجادلت ـ بالتي هي أحسن ـ أهل البدعة.

وأفنيت عظيماً من الزمان في طريقة الصوفيين، ولقيت رجالاتهم من تلك البلاد أجمعين؛ وما كنت أسمع بأحد يشار إليه بالأصابع، أو تثنى عليه الخناصر، أو تصيخ إلى ذكره الآذان، أو ترفع إلى منظرته الأحداق؛ إلا رحلت إليه قصياً، أو دخلت إليه قرياً. .)[139].

وكان يقول: كنت أحفظ بالعراق في كل يوم سبع عشرة ورقة. . وعندي مسائل ألفية، درست في كل يوم مسألة ألف مرة ـ بعد أن حفظتها. .)[140].

وإذا كان ابن العربي قد أنهى مهمته العلمية أو كاد، ووفق فيها التوفيق كله؛ فهناك مهمة أخرى تنتظره، ولا ندري مدى حظه منها؟.

الجانب السياسي:

أما الجانب السياسي من رحلة ابن العربي، فيكتنفه غموض، ويحيط به كثير من التساؤلات ـ والسياسة من طبيعتها ذلك!.

وأول سؤال يتبادر إلى الأذهان: هل كانت رحلة ابن العربي ووالده تهدف إلى غرض سياسي؟ وبعبارة أوضح: هل خرجا موفدينِ من يوسف بن تاشفين إلى عاصمة الخلافة، أو إنما تبرعا بذلك ـ إعجاباً به، أو تزلفاً إليه؟!.

ويجيبنا ابن خلدون، جواباً صريحاً في الموضوع فيقول: (. . ولما

---

(139) قانون التأويل (12 ـ أ).

(140) بغية الملتمس ص 83 .

محي رسم الخلافة وتعطل دستها، وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين، وكان من أهل الخير والاقتداء؛ نزعت همته إلى الدخول في طاعة الخليفة ـ تكميلاً لمراسم دينه، فخاطب المستظهر العباسي، وأوفد عليه ببيعته عبدالله بن العربي، وابنه القاضي ـ من مشيخة إشبيلية.. فتلطفا في القول، وأحسنا في الإبلاغ؛ وطلبا من الخليفة أن يعقد له على المغرب والأندلس، فعقد له؛ وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك، منقولاً في أيدي الناس)[141].

ويؤيد رأي ابن خلدون، ما ذهب إليهب ابن تغرى في النجوم الزاهرة: (بعث يوسف بن تاشفين، إلى المستظهر بالله ـ يخبره أنه خطب له على منابر ممالكه، وأرسل إليه يطلب منه الخلع والتقليد فبعث إليه بما طلب..)[142].

لكن سياق الرحلة لا يدل على شيء مما ذكر ابن خلدون ومن معه، والظروف التي خرج فيها الشيخ وولده لا تساعد على ذلك:

(فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا ـ والأعداء يشمتون بنا..)[143] كما أشرت إلى ذلك في صدر هذا البحث.

على أن ابن العربي (الابن) ـ طالما راودته هذه الرغبة ـ والعمر في عنفوان صباه: (.. وكان الباعث على هذا ـ مع هول الأمر ـ همة لزمت، وعزمة نجمت)[144]. أما الشيخ (الأب)، فربما كانت ضالته المنشودة ـ إلى جانب ما يرغب فيه لولده من علم ومعرفة ـ أن يزور البقاع المقدسة، ويؤدي فريضة الحج، ويستمطر الرحمات في أن يكفر الله عنه ما عسى أن يكون وقع فيه أيام سلطانه من زلات ـ وقد ولت زهرات العمر، وأقبلت الشيخوخة والهرم بأعبائها الثقال؟.

---

(141) انظر المقدمة ص 411 ، والتاريخ «العبر» 386/6.

(142) انظر النجوم الزاهرة 191/5 .

(143) قانون التأويل (3 ـ ب) .

(144) المصدر نفسه .

وتتصـارع الرغبـات، وتصطدم العـزمات، ويتـلاحى الابن والأب؟ ويتجلى ذلك واضحاً فيما يذكره ابن العربي أثناء إقامته ببيت المقدس ـ وقد أقبل على علوم عصره يلتهمها ـ وقد نسي كل شيء: (. . وقلت للأب إن كانت لك نية في الحج فامض لعزمك، فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها. . فساعدني حين رأى جدي. .)[145].

ولما دخل العراق، واختص بأبي بكر الشاشي، وطلعت عليه شمس المعارف، قال: (. . الله أكبر، هذا هو المطلوب الذي كنت أصمد، والوقت الذي كنت أرقب وأرصد)[146]!.

وعندما ورد ذانشمند أبو حامد الغزالي على بغداد، مشى إليه، وعرض أمنيته عليه قائلاً: (. . . أنت ضالتنا التي كنا ننشد، وأملنا الذي نسترشد. . فلما طلع ذلك النور، وتجلى ما كان تغشاني من ذلك الديجور؛ قلت: هذا مطلوبي حقاً. . .)[147]!.

هذه شذرات من الرحلة، قد نستشف منها أن الغرض الذي كان يرمي إليه ابن العربي من وراء هذه الأسفار النائية، والمغامرات المتوالية ـ هو المعرفة والتعرف على علماء الملة، وقد يلمح إلى ذلك هذا العنوان: «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة» أو «شواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان». وحتى اتصالاته برجال الدولة في بغداد، إنما كانت تعني ذلك: (. . ونعم العون على العلم الرياسة)[148]. فالغرض السياسي إنما جاء تبعاً لذلك، وقد توجا به عملهما خدمة للدين، وتحقيقاً لوحدة المسلمين.

نعم، هناك بعض فقرات جاءت في: شواهد الجلّة، مثل قـوله:

---

(145) قانون التأويل (6 ـ أ).
(146) قانون التأويل (9 ـ ب).
(147) قانون التأويل (9 ـ أ).
(148) قانون التأويل (11 ـ أ).

(. . ثم قفلنا ـ وقد قضينا من الهجرة إلى الخلافة المفترض، وحصلنا من العلوم على بعض الغرض. . .)[149] ـ ربما تعكس القضية، وتجعل الهدف الأساسي من الرحلة هو القيام بمهمة سياسية لدى الخليفة.

وكذلك بعض عبارات وردت في الخطاب الذي رفعاه إلى مقام الخلافة: (ويظهر ـ أي الأمير ابن تاشفين ـ مزية وفادتهما، ورعاية هجرتهما. . وكان أمله مواصلة الخدمة، والتشرف بإنهاء أعماله، والإعلام بمناقب أحواله وأفعاله. . إلا أن الحائل المانع دون ذلك. .)[150] ـ تدل على أنهما كلفا بالمهمة، وإبلاغ الخليفة عذر الأمير في التخلف عن ذلك، وأنهما موفدان من قبله ـ غير متبرعين بذلك.

على أن ابن خلدون ـ وهو من هو ـ لا يطلق الكلام على عواهنه، ولا بد أن له سلفاً في ذلك وحجة اعتمدها في كلام ابن العربي نفسه؛ وكثير من القضايا التي تتصل بحياته، لم يشر إليها فيما وقفنا عليه من فصول هذه الرحلة: مثل ارتحاله إلى الحجاز، وأدائه لفريضة الحج، حتى إن بعضهم نفى ذلك ـ كما أشرت إلى ذلك سابقاً؛ ولا نستطيع أن نقول الكلمة النهائية في الموضوع حتى نطلع على ما خلف مترجمنا من آثار ـ وهو إنتاج ضخم، وتراث هائل؛ وأكثره لا يزال في ذمة التاريخ؟ ومهما يكن، فابن العربي ـ وهو الشاب الطموح ـ لا بد أن يشتغل بالسياسة، ويرنو إلى الجاه والرياسة؛ فقد كان جده من الأم أبو حفص الهوزني الوزير الكبير للمعتضد، ووالده أبو محمد بن العربي وزير المعتمد ومستشاره الخاص؛ وكان الفتى ـ وهو بعد حدث ـ يسمع الكثير عن مأساة جده أبي حفص الذي ذهب ضحية التعسف والاستبداد، وشاهد بأم عينه نكبة والده، وانحداره من قمة مجده، وشماتة الأعداء به؛ وربما حدثه هذا الأب الذي أفل نجمه، وانتكس حظه ـ طويلاً ـ عن شؤون السياسة، كما كان يحدثه عن شؤون العلم والمعرفة؛ وسنرى أن

---

(149) أنظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (1020 ـ د).

(150) المرجع السابق.

ابن العربي حقق كثيراً من آماله، فكان قاضياً، ومستشاراً، ووزيراً.

الظروف السياسية:

كانت الفترة التي عاشها ابن العربي ببغداد وفي أقطار الشام عامة وهي ما بين (485 - 492 هـ)، تختلف في بعض ظروفها السياسية والاجتماعية؛ وقد تولى الخلافة في سنواتها الأولى - المقتدي بالله عبدالله بن محمد بن القائم العباسي[151]، عهد إليه بالخلافة جده القائم بأمر الله، فوليها بعد وفاته سنة (467 هـ - 1074 م) - وكان عالي الهمة، له علم بالأدب، وأيامه أيام خير وسعادة، لم تر فيها الأمة الإسلامية ما يكدر صفو حياتها؛ فتفرغ إلى عمران بغداد، وشيد المدارس والمعاهد؛ فازدهرت العلوم والمعارف - على عهده؛ ومن حسناته أنه نفى المغنيات والخواطىء، وأمر بالمحافظة على حرم الناس وصيانتها؛ وكانت قواعد الخلافة باهرة، وافرة الحرمة؛ مات فجأة سنة (487 هـ - 1094 م)[152]، فولي بعده ولده أبو العباس المستظهر بالله، وكان محمود السيرة، لين الجانب، كريم الأخلاق، محباً للعلماء وأهل الفضل؛ له معرفة بالأدب، قوي الكتابة؛ له توقيعات تدل على فضل غزير، وعلم جم؛ ومن أخلاقه السياسية: أنه كان كثير الوثوق بمن يوليه، غير مصغ إلى سعاية ساع، أو قول واش؛ لم يعرف عنه التلون أو انحلال العزم بأقوال أصحاب الأغراض؛ وباسمه ألف الغزالي كتابه «المستظهري» - في فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية؛ ولكنه - كما يقول ابن تغرى - لم تصف له الخلافة، بل كانت أيامه مضطربة، كثيرة الحروب[153].

وفي أيامه - سنة (492 هـ - 1098 م) - استولى الصليبيون على بيت المقدس - والأمراء السلجوقيون في حرب دائم للسيطرة على الحكم، وعلى

---

(151) أنظر الوفيات لابن خلكان 233/1 ، والنجوم الزاهرة 139/5، وابن الأثير 10/ 33-79.

(152) أنظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص 390 .

(153) أنظر النجوم الزاهرة 216/5 .

المستظهر أنْ يوقع لكل غالب مرسوماً بالخطبة له على منابر بغداد؛ وكان ذلك من بوادر ضعف الخلافة الإسلامية لهذا العهد ـ على ما سنرى بعد.

اتصالات ابن العربي:

مهد ابن العربي للمعركة السياسية التي خاضها مع رجال دولة بغداد بما يلي:

1 ـ لم يغادر دمشق إلى بغداد حتى أخذ عدة توصيات من المسؤولين هناك إلى البلاط العباسي: (.. وكنا قد حملنا من دمشق كتاب واليها، وجماعة من رؤسائها ـ إلى الوزير عميد الدولة، وكتاب القاضي نجم القضاة الشهرستاني بالتقريظ لنا، والتنبيه على مكاننا..)[154].

2 ـ كان للدعاية التي قام بها في الحجاز في سبيل وحدة الخلافة الإسلامية صداها البعيد في الأوساط السياسية، وفي دار السلام بصفة خاصة ـ حسبما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

3 ـ كان لوساطة ابن الخشاب دورها الفعال لدى الوزير ابن جهير، فاستقبل الوزير العالمين الوافدين في مكتبه، وأطلع الخليفة على أمرهما؛ فأمر بإكرامهما والاحتفاء بهما، وأجرى عليهما مرتباً ضخماً مدة إقامتهما: (.. وكان أبو الحسن المبارك بن سعيد البغدادي قد ورد علينا تاجراً سنة (483 هـ)، فأنزله المعتمد بن عباد عندنا، فأكرمه أبي غاية الإكرام، وعقد عليه مجلساً في السماع، وتخلى له عن مناظرته في مسجده، وصدر الرجل عنا راضياً؛ فبينما نحن نمشي بعد ورودنا مدينة السلام بأيام قلائل ـ في سوق الريحانيين بها، إذ لقينا أبو الحسن بن الخشاب المذكور فتعانقنا، ودعا لنا.. فمشى إلى الوزير ابن جهير فأعلمه بنا، فدخلنا الديوان إلى الوزير، ورفع إلى الأمير أمرنا، فأمر بتكرمتنا وإدنائنا..)[155].

---

(154) أنظر قانون التأويل (11 ـ أ).

(155) المصدر نفسه.

1 ـ الرسائل المتبادلة بين الجانبين:

١ ـ رفع ابن العربي ووالده إلى الخليفة المستظهر بالله خطاباً مطولاً يذكرون فيه ما يقوم به الأمير يوسف بن تاشفين من دعوة للخلافة الإسلامية، وإشاعة العدل بين الرعية، وجهاد في أعداء الإسلام ـ وهو في معرض طلب التقليد له بذلك: (.. ولما وصلنا مدينة السلام، ولقينا فيها كبراء الإسلام، ـ كتب أبي ـ برد الله مثواه ـ إلى الخليفة كتاباً في درج طويل ـ على صفة أدراجهم في مخاطباتهم..)[156].

وقد افتتحه على عادتهم ـ بالدعاء والتمجيد لمقام الخلافة، ويذكر في هذا الصدد الظروف التي جعلته يتجشم الصعاب هو وابنه في سبيل واجب البيعة لأمير المؤمنين ـ وهو أمر محتم على كل مسلم.

٢ ـ ومن هنا يتخلص إلى الإشادة بأعمال الأمير يوسف بن تاشفين، وما يقوم به في الغرب الإسلامي من دعوة للخلافة العباسية ـ وقد حارب من توقف عنها منذ ولايته ـ إلى أن صار كل من تحته ـ على سعتها ـ في طاعة الخليفة؛ وهو يخطب له على أكثر من ألفين وخمسمائة منبر، ووقائعه وحروبه أشهر من أن تذكر! وقد استرجع كثيراً من معاقل الإسلام، وعادت إلى المسلمين حرمتهم وعز سلطانهم؛ وجيوشه ـ إلى ذلك العهد ـ ستون ألف فارس، وهي على أتم استعداد تصول وتجول، ولا يعرف أنه انتكست له راية؟.

وقد خص الله هذا الأمير بمحاسن، منها: الدين المتين، والعدل المستبين، والارتباط بحماية ثغور المسلمين؛ وهو ممن يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية؛ لا يعرف على أحد من المسلمين رسم مكس، والسبل آمنة، ونقوده من الزيف سليمة، مطرزة باسم الخلافة الإسلامية: (.. وكان أمله مواصلة الخدمة، والتشرف بإنهاء أعماله، والإعلام بمناقب أحواله وأفعاله؛

---

(156) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1020 ـ د).

إلا أن الحائل المانع دون ذلك. .)[157] وهو اعتذار عن الأمير فيما عسى أن يكون وقع فيه من تقصير، وليؤكد أن الأمير لا زال على حاله، مستمراً في أعماله، دائباً في جهاده؛ ذكر أن أحد قضاة مملكته ـ ويعرف بأبي القاسم ـ حضر إلى هذه الديار عامه ـ (لعله 490 هـ) ـ وأكد ما ذكرناه، (وأشاع بمكة فضائل هذا الأمير، وجهاده المستمر؛ وأن الروم أصبحوا على شفا جرف من تضييقه عليهم، وحصاره لهم. .)[158].

ج ـ وفي نهاية الخطاب يستأذن الخليفة في صدوره هو وابنه إلى الوطن بعد أن ظلا في كنف الخلافة ـ مدة عامين، مشمولين بالبر والإحسان، والرعاية والإكرام. .

د ـ ويستصدر أمر الخليفة إلى الأمير في أن يرعى جانبهما: (. . ويظهر مرية وفادتهما. . ويقربهما إليه، ويثبت رسمهما في ديوانه، ويبقى ذلك لهما ولعقبهما مؤبداً، وعلى مر الأيام مؤكداً ومخلداً)[159].

2 ـ مرسوم الخليفة:

وصدر جواب الخليفة على ظهر نفس الدرج بتاريخ رجب سنة (491 هـ) وسطوره ـ كما يقول ابن العربي ـ سبعة وثلاثون سطراً، يتضمن:

أ ـ التقليد الرسمي للأمير ابن تاشفين: (. . فخرجت المراسيم الشريفة، إلى ذلك الوالي الذي أضحى بحبل الإخلاص معتصماً، ولشرطه ملتزماً؛ وإلى أداء فروضه مسابقاً، وظل فعله فيما هو بصدده للتوفيق مساوقاً؛ لا ريبة في اعتقاده، ولا شك في تقلده في الولاء طويل نجاده؛ إذ كان ـ وهو من غدا بالدين تمسكه، وفي الديانة عنه مسلكه؛ ـ حقيقاً بأن يستتب صلاح النظام على يده، ويستنشق من يومه حسن العقبى في غده؛ وأفضل ما نحاه،

(157) المصدر السابق.

(158) نفس المصدر.

(159) المصدر نفسه.

وعليه في الاجتهاد دار رحاه؛ - جهاد من يليه من الكفار، وإتيان ما يقضي عليهم من الاجتياح والبوار، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾؛ فهذا هو الواجب اعتماده، الذي يقوم به من الشرع عماده؛ ويؤلف شمل من في جملته من الأجناد - على الطاعة الإمامية التي هي العروة الوثقى، والذخر الأوفى)[160].

ب - إصدار الأمر السامي إلى الأمير بأن يختص حاملي الخطاب - ابن العربي وولده - بالإنعام: (. . الذي يضفو عليهما برده، ويصفو لهما ورده؛ ليظهر عليهما من المهاجرة جميل الأثر. . فليقابل الأمر الأسنى في ذلك - بالاستقبال - إن شاء الله. .)[161].

٣ - مرسوم آخر:

وأصدر الوزير الأول مرسوماً آخر باسم الخليفة - وهو مطول يعرض بالتفصيل لكل النقاط التي جاءت في الخطاب المرفوع إلى مقام الخلافة الآنف الذكر[162].

وينتهي بالعبارات التالية:

(. . فليعتمد الأمير - أطال الله بقاءه - مصالح أمورهما، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهما؛ وليبوئهما حسن موقع النيابة عنه، وليبدلهما صفحة الإقبال منه. . وليطالع بأخباره، وما يحتاج إلى علم من جهته - إن شاء الله. وكتب في ثاني عشر رجب عام: 491 هـ)[163].

ومع كل هذا، فلا بد من رأي علماء الإسلام في ذلك - وهم أولو الأمر، ولا يستقيم أمر في دولة المرابطين - بدونهم؛ فكان على العالمين

---

(160) نفس المصدر.

(161) نفس المصدر.

(162) نفس المصدر.

(163) نفس المصدر.

الوافدين أن يتصلا بشيوخ الإسلام، ويلتسما منهم إصدار فتاوى في ذلك.

وتبريراً لموقف ابن تاشفين من أمراء الأندلس الذين أثاروها ضجة كبرى، وملأوا الدنيا صراخاً وعويلاً، وقالوا: «.. إنه لا تجب طاعتك حتى يكون لك عهد من الخليفة...»(164) - استصدر ابن العربي من شيخه الإمام الغزالي فتيا يذكر فيها رأي الإسلام صريحاً في الموضوع، فأصدر فتوى مسهبة (165)، أورد أبو بكر خلاصتها في «شواهد الجلّة» (166) واعتذر عن إيرادها بنصها - لطولها.

وقد مهّد لها بمقدمة جاء فيها.

«وقالوا لا جهاد إلا مع إمام من قريش - ولست به، أو مع نائبه وما أنت ذلك؛ فقال: أنا خادم الإمام العباسي، فقالوا له: أظهر لنا تقديمه لك، فقال: أوليست الخطبة في جميع بلادي له؟ فقالوا: ذاك احتيال، ومن دواعي النفاق(167).. فهل يجب قتالهم؟ وإذا ظفر بهم، كيف الحكم في أموالهم؟ وهل على مسلم حرج في قتالهم؟ وهل على الإمام العباسي أن يبعث له بمنشور يتضمن تقديمه له على جهادهم؟ فإنهم إنما خرجوا عليه، لأن

---

(164) انظر النهاية لابن الأثير 22/285 .

(165) ينفي الدكتور حسين مؤنس أن يكون الغزالي أفتى في ذلك ، قال : وهذا خطابه في «شواهد الجلة» يؤيد ما نقول تأييداً صريحاً . . . قلت : لعل الدكتور لم يستوعب ما جاء في المخطوط المذكور ، وإلا فابن العربي قد أورد الفتيا والخطاب متواليين : (30 - 31 - ب) على أن الخطاب نفسه صريح في ذلك (وأفتيت فيه بما اقتضاه الحق وأوجبه الدين) .

وانظر بحث مؤنس المنشور في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (م 11 - 12) ص 120 وما بعدها .

(166) انظر شواهد الجلة (30 - 31).

(167) انظر جانباً من هذا الحوار في كامل ابن الأثير 10/93.

الأمير خادمه، وهو يخطب له على أكثر من ألفي منبر، وتضرب السكة باسمه - إلى غير ذلك؟ . . »[168].

وكان جواب الغزالي:

1 - لقد أصاب الحق في إظهار الشعار الإمامي المستظهري، وهذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للإمام الحق - بلغهم صريح التقليد من الإمام، أو تأخر عنهم ذلك لعائق.

2 - وإذا نادى الملك المستولي بشعار الخلافة العباسية، وجب على كل الرعية والرؤساء الإذعان والطاعة له؛ وعليهم أن يعتقدوا أن طاعته طاعة للإمام، ومخالفته مخالفة للإمام؛ وكل مَن تمرد واستعصى، وسلّ يده من الطاعة، فحكمه حكم الباغي؛ فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة، ولا سيما وقد استنجدوا بالنصارى والمشركين أوليائهم - إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية؛ ومهما تركوا المخالفة، وجب الكفّ عنهم؛ وإذا قوتلوا، لم يجز أن يتبع مدبرهم، ولا أن يجهز على جريحهم[169].

3 - وأما ما يظفر به من أموالهم، فمردود عليهم أو على ورثتهم؛ وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم، فمهدرة لا ضمان فيها.

4 - فالأمير - وإن تأخر عنه صريح التقليد، للعوائق المانعة من وصوله؛ فهو نائب بحكم قرائن الأحوال، إذ يجب على إمام العصر - أن يأذن لكل

---

(168) أنظر شواهد الجلة (30 - أ).

(169) وبمثل فتوى الغزالي أفتى علماء الأندلس من ذي قبل، وخالفهم قاضي ابن عباد، فعمل ابن تاشفين بالأيسر، فلم يقتل الأمراء الذين وقعوا في يده، بل نفاهم إلى أغمات، وأحسن معاملتهم. أنظر نوازل الجهاد من المعيار الجديد 12/3 - وما بعدها.

أمير عادل استولى على قطر من الأقطار ـ وهو يخطب له، وينادي بشعاره، ويحمل الخلق على العدل والنصفة.

ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف في الرضى بذلك والإذن فيه، لا سيما وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهوراً لا يشكّ فيه.

5 ـ فإن لم يكن على إيصال الكتاب وإنشائه عائق ـ وكانت هذه الفتنة لا تنطفىء إلا بأن يصل إليه صريح الإذن، والتقليد بمنشور، ومقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء؛ ـ فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك، فإن الإمام الحق عاقلة أهل الإسلام، ولا يحلّ له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة ـ إلا وسعى في إطفائها بكل ممكن..

6 ـ وتنتهي هذه الفتيا بقوله: (.. فهـذا حكم كل أمير عادل في أقطار الأرض، وحكم مَن بغى عليه ـ واللّه أعلم)[170].

خطاب الغزالي إلى ابن تاشفين:

وأرفق الغزالي مع فتياه ـ خطاباً وجهه إلى ابن تـاشفين يحضّه فيه على التمسك بالعدل، وقد أورد عدة أحاديث في ذلك، منها حديث: سبعة يظلّهم اللّه يوم لا ظل إلا ظلّه: إمام عادل.. قال: ونحن نرجو أن يكون الأمير جامع كلمة الإسلام وناصر الدين ـ من المستظلين بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظلّه، فهو منصب لا ينال إلا بالعدل في السلطنة، وقد آتاه اللّه السلطان، وزينه بالعدل والإحسان.

وينوّه بمحامد سيرته، ومحاسن أخلاقه؛ ويذكر الدور الإيجابي الذي قام به أبو محمد بن العربي، وولده أبو بكر في إشاعة ذلك؛ مما تعطرت به أرجاء العراق، وسارت به الركبان في الآفاق: (.. وتركته مشمّراً عن ساق الجدّ في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة، يتضمن شكر صنيع للأمير

---

(170) أنظر شواهد الجلة (31 ـ أ).

ناصر الدين، في حمايته لثغور المسلمين؛ ولم يبالغ أحد في مناقب قوم مبالغة هذا الشيخ في بثّ مناقب الأمير، وأشياعه المرابطين؛ ولم يقنعه ما فعله بنفسه، بل كلّف جميع مَن رجا بركة دعائه ـ الدعاء لهم في تلك المشاهد الكريمة، والمناسك العظيمة. .)[171].

ويذكر أن الخلافة دعت الشيخ الفقيه ابن العربي إلى الإقامة ببغداد ـ تحت البرّ والكرامة، فأبى إلا الرجوع إلى ذلك الثغر، لملازمة الجهاد مع الأمراء. . ولا ينسى أن ينوّه بمقام أبي بكر في العلم والمعرفة، وما أحرزه من علوم ومعارف في رحلته الطويلة بأقطار الشرق، وفي بغداد بصفة خاصة: (والشيخ أبو بكر قد أحرز من العلم في وقت تردده إليّ ـ ما لم يحرزه غيره ـ مع طول الأمد؛ وذلك لما خصّ به من توقد الذهن، وذكاء الحس، وإنفاذ البصيرة؛ وما يخرج من العراق إلا وهو مستقل بنفسه، حائز قصب السبق بين أقرانه. .)[172].

وفي نهاية الخطاب يوصي ابن تاشفين بالشيخين خيراً، لأنهما أهل لذلك، ومن أحقّ بالإكرام من أهل العلم[173]؟!

مغادرة ابن العربي بغداد:

غادر ابن العربي بغداد في طريق عودته إلى وطنه في حدود أواخر سنة (491) هـ[174] بعد أن قضى بها مدة عامين كاملين، كلها نشاط علمي وسياسي: (. . ثم قفلنا وقد قضينا من الهجرة إلى الخلافة المفترض، وحصلنا من العلوم على بعض الغرض؛ وكان بودّي أن لو أخلقت هناك برد شبيبتي، وأفنيت معهم بقية عمري. .)[175]. وكان يؤازره في ذلك والده

(171) المرجع السابق .

(172) المرجع السابق .

(173) شواهد الجلة (31 ـ ب) .

(174) انظر فهرسة ابن خير ص418 ، والنفح عن ابن عساكر 233/2 ، والأحكام 56/2 .

(175) انظر شواهد الجلة (32 ـ ب) .

ـ وهو عالم أديب، وسياسي خريت؛ وكان بيته ـ في بغداد ـ منتدى العلماء والأدباء، والسياسيين والإخباريين[176].

وعرجا في طريقهما إلى الاسكندريـة على دمشق، والقدس الشريف؛ وجدد أبو بكر العهد بشيوخه في أقطار الشام، وطاف على مزارات بيت المقدس، ولاحظ أن بعض معالمها قد تغيرت ـ وكأنها تنذر بشر قريب[77].

و ـ في الإسكندرية:

دخل ابن العربي الاسكندرية أوائل سنة (**٤٩٢ هـ**)[176]، ونزل على أستاذه أبي بكر الطرطوشي الذي انتهى به المطاف إلى هذا الثغر، واتخذه وطناً ثانياً له، وأصبح له مكانه المرموق؛ فالرجل قد أحيا المذهب السنّي بهذه البلاد، وحارب البدع والضلال، وكان صريحاً في الحق، لا يخاف في اللّه لومة لائم؛ وابن العربي ليس جديداً على هذه المدينة، فقد مرّ بها منذ ثمانية أعوام، وقد تعرّف على أستاذه الطرطوشي ببيت المقدس، وقضى إلى جانبه ـ يكرع من علمه الفيّاض ـ أزيد من ثلاثة أعوام؛ وكان الطرطوشي يعامل الفتى ابن العربي لا كتلميذ فحسب، بل وكصديق أيضاً؛ يذاكره ويستشيره، ويستعين به ويعينه؛ وتوثقت أواصر المودّة بينهما، وعاشا صديقين حميمين مدة ست سنوات أو تزيد، وتأثر ابن العربي بشيخه الطرطوشي تأثراً كبيراً في سلوكه وسائر مناحيه.

---

(176) حاول الدكتور حسين مؤنس أن يقلل من شأن هذا العالم الأديب، ولكن النصوص متضافرة على ما كان للرجل من مكانة سامية في الأدب والسياسـة، ونحيل القارىء على المصادر التالية: المطمح ص 62، والصلة 1/284، والديباج: 281، وتذكرة الحفـاظ 1294/4، والوفيات 3/423 - 425.
وانظر بحث مؤنس الآنف الذكر.

(177) انظر الأحكام 2/56.

(178) نقدر دخوله أوائل هذه السنة ـ لما أسلفنا آنفاً من أنه أهل عليه محرم سـنة (492) ـ وهو ببيت المقدس ـ في طريقه إلى الأسكندرية.
انظر المراجع السابقة.

(.. وفي أثناء القفول، لقيت زاهد الوقت، مبرأ من المقت، المحرز من العلوم الأثل والتخت، الحائز منها كل خشن شخت؛ - بثغر الاسكندرية، اللقاءة الثانية؛ وأقمت معه نتجاذب ذيول الإشكال، ونختبر فصول القيل والقال..)[179].

وابن العربي كثير الحديث عن شيخه الطرطوشي، وهو لا يذكره إلا مقروناً بالتجلّة والاحترام، يصفه بالعلم والفضل، والزهد في الدنيا والإقبال على ما يعنيه[180].

ولا بدّ أن ابن العربي اتصل بشيوخ آخرين، فأفاد منهم وأفادوا منه[181].

حــــدثان:

قدّر لابن العربي أن يصدم - أثناء إقامته بالاسكندرية - بحدثين خطيرين كان لهما أثرهما في نفسه:

1 - استيلاء الصليبيين على بيت المقدس[182]، والمجازر الوحشية التي قاموا بها في البقاع المقدسة؛ واستشهد كثير من شيوخه ومعارفه، من بينهم أستاذه الحافظ مكّي بن عبد السلام الرميلي[183].

والتاريخ كما يقولون - يعيد نفسه بخيره وشرّه، وقد اهتزت الدنيا لهذا الحادث الفاجع، واتجهت الأنظار إلى بغداد، وتجمعت الجموع حول قصر

---

(179) أنظر شواهد الجلة (31 - ب).

(180) أنظر وصفه لهديه، وإعجابه بصلاحه ونسكه، ومدى انتفاعه بعلمه وعمله - في قانون التأويل (6 - أ - ب).

(181) أنظر الصلة لابن بشكوال 545/2.

(182) وكان ذلك في شعبان سنة (492 هـ)، أنظر النجوم الزاهرة 151/5، وتاريخ أبي الفداء 110/1.

(183) أنظر النجوم الزاهرة 151/5.

الخلافة؛ وحضر المستنفرون من كل جهة ومكان، وخطب الخطباء، وبكى الشعراء ـ مأساة المسلمين في فلسطين والقدس الشريف؛ ولكن خليفة بغداد الذي أضحى في يد الأمراء السلجوقيين مثل دمية الصبيان، لم يحرّك ساكناً؛ فيا لسخرية القدر من خليفة تشدّ الرحال من أقاصي المغرب إلى رحابه ـ طلباً لعونه ورفده، وهو أعجز من أن يدفع الشرّ عن نفسه، ويذود الدخيل عن حماه. . !

على أن السلجوقيين، وأمراء الطوائف بالأندلس، هم الذين فتحوا باب الشر على الإسلام في الشرق والغرب، وأزالوا هيبة المسلمين من قلوب أعدائهم؛ بسبب تهافتهم على مصالحهم الشخصية، وتناحرهم على كراسي الحكم؛ وما أكثر الخَوَنَة في كل زمان ومكان!

ولكن التاريخ لا ينسى خيانتهم وغدرهم، وسيذكرهم بالسبّة والعار أبَدَ الدهر؛ كما سيذكر بكل اعتزاز وفخر ـ الأبطال المخلصين: أمثال صلاح الدين الأيوبي، ويوسف ابن تاشفين، الذين أعطوا للصليبيين درساً قاسياً، وسيبقى رمزاً للبطولة الإسلامية مدى الأجيال. . !

وإننا لننتظر من حفدة ابن تاشفين، وصلاح الدين ـ أن يثأروا لشرفهم، ويثيروها ـ مرة أخرى ـ حرباً شعواء على الغاصبين المعتدين، وما ذلك على همّة المخلصين بعزيز.

2 ـ الحدث الثاني: وفاة والده، رفيقه في الرحلة، وأنيسه في الغربة، وساعده الأيمن عند المدلهمّات: (. . ومعي صارم لا أخاف نبوته، وحصان لا أتوقع كبوته؛ أب في الرتبة، وأخ في الصحبة؛ يستعين ويُعين، ويسقى من النصيحة بماء معين. .)[184]. وكانت وفاته في محرم عام (493 هـ) ـ وكأنه بموت هذا الوالد، انطفأ نور ذلك الأمل الذي كان ينشد، ويعملان جنباً إلى جنب لتحقيقه والوصول إليه؛ وأنّى له ذلك ـ وقد تحطمت السفينة التي كانت تقوده، وغرق ربّانها في الأعماق!

(184) انظر شواهد الجلة (27 ـ ا).

ولعلّ ذلك ما جعل ابن العربي يعتزل حياة الناس، ويعيش ردحاً من الزمن ـ إلى جانب العباد والزهّاد ـ في المحارس والربط. !

وينسدل حجاب كثيف عن إقامة ابن العربـي بالاسكندرية، وتطبق المصادر بالصمت، والمعلومات التي لدينا جدّ ضئيلة، لا تكاد تمثّل أيّ جانب من جوانب هذه الفترة التي عاشها ابن العربي بهذا الثغر الوادع؛ وكلّ ما نعرف:

1 ـ أنه رابط بثغر الأسكندرية أياماً ـ على حدّ تعبيره، وكأنه أراد أن يشارك الناس في حياتهم العملية، ويتدرب على الجنديـة وخشونة العيش، والصبـر على الابتلاء، والتفـرّغ للعبادة وطهـارة النفس: (.. كنّا بثغـر الأسكندرية مرابطين أياماً، وكان من أصحابنا رجل حدّاد، وكان يصلّي معنا الصبح، ويذكر اللّه إلى طلوع الشمس، ثم يحضر إلى عمله؛ حتى إذا سمع النداء بالظهر، رمى بالمزبرة، وأقبل على الطهارة، وجاء المسجد فصلّى، وأقـام في صلاة وذكـر.. حتى يصلّي العصر، ثم ينصـرف إلى منزلـه لمعاشه..)[185].

2 ـ وأنه تولى التدريس بمحرس ابن الشواء، وربما كان سكنه به؛ وهو مطل على البحر، تُقام فيه الصلوات الخمس؛ وما أكثر المحارس والمساجد بثغر الاسكندرية! (.. فحضر عندي ـ يعني شيخه الطرطوشي ـ بمحرس ابن الشواء بالثغر ـ موضع تدريسي عنـد صلاة الـظهر، ودخـل المسجد في المحرس المذكور، فتقدم إلى الصف الأول ـ وأنا في مؤخرة قاعد على طاقات البحر، أتنسم الريح من شدة الحر؛ ومعنا في صف واحد أبو ثمنة رائس البحر وقائده، مع نفر من أصحابه ـ ينتظر الصلاة، ويتطلع إلى مراكب تحت الميناء..)[186].

3 ـ وربما كان يتردد من حين لآخر على مكتبات الأسكندرية، للوقوف

(185) أنظر الأحكام 292/2.

(186) الأحكام 309/2.

على أصول عتيقة بها، قد لا توجد في غيرها[187].

4 ـ ومن مشاهداته بهذا الثغر ـ أن القوم إذا مات منهم ميت، صنعوا له تمثالاً من خشب، ووضعوه في مكانه من بيته، وكسوه بزينته ـ إن كان رجلاً، وبحليّه ـ إن كان امرأة)، وأغلقوا عليه الباب؛ فإذا أصاب أحداً منهم مكروه، فتح الباب عليه، وجلس عنده يبكي ويناجيه؛ حتى إذا طال بهم الزمان، عبدوها في جملة الأصنام والأوثان[188].

5 ـ ومن عاداتهم: أنه ليس لهم بتلك الديار أحد يحمل الجنائز، ولكن يبرز الميت على الطريق، ويقال: احملوا تحملوا؛ فيبادر الناس إليه، حتى يتضايقوا عليه؛ فإذا مات العلماء، فلا يحملهم إلا أصحابهم: «. . ومات رجل من أصحابنا بالثغر ـ ولعلّه يعني به والده ـ فحملته أنا والطرطوشي ـ رحمه اللَّه. . »[189].

6 ـ ويحدّثنا عن مواقف شيخه الإمام الطرطوشي في إحياء السنّة، وإماتة البِدَع ـ إلى درجة أن يعرض نفسه للهلاك، ويتحدى الطغاة والجبابرة ـ وهو معروف بذلك؛ وكم عانى في هذا السبيل من محن وأهوال، فصبر واحتسب!: (. . دخل المسجد فقام يصلي، فرفع يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه؛ فقال أبو ثمنة قائد البحر ـ لأصحابه: ألا ترون إلى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا؟ فقوموا إليه فاقتلوه، وارموا به في البحر، فلا يراكم أحد؛ فطار قلبي من بين جوانحي، وقلت ـ سبحان اللَّه ـ هذا الطرطوشي فقيه الوقت! فقالوا لي: ولِمَ يرفع يديه؟ . . فقلت: كذلك كان النبي ـ ﷺ ـ يفعل. . . وجعلت أسكتهم وأسكّنهم حتى فرغ من صلاته؛ وقمت معه إلى المسكن من المحرس، ورأى تغيّر وجهي فأنكره، وسألني فأعلمته؛ فضحك

(187) الأحكام 2/317.

(188) الأحكام 2/189.

(189) العارضة 4/162.

وقال: ومن أين لي أن أقتل على سنّته؟!)[190].

رسالة الطرطوشي إلى ابن تاشفين:

وليعتضد مركز ابن تاشفين ببلاد الأندلس ـ وقد تآمر المتآمرون، وأرجف المرجفون؛ ـ لا بدّ أن ينضمّ إلى رأي الغزالي ـ صوت عالم آخر له وزنه في المجتمع الإسلامي، وصداه البعيد في الشرق والغرب، ذلك هو أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي؛ لذا رأينا ابن العربي يلتمس منه خطاباً يوجّهه بدوره إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ينصحه فيه، وهو يعرف عنه أكثر من غيره؛ ويتصل من حين لآخر بحجّاج المغرب، فيحدّثونه عن جهاده وعدله، وطيب سيرته، ومحاسن أخلاقه.. فكتب رسالة مطوّلة في نحو عشر صفحات[191]، يوصيه فيها بتقوى اللّه وطاعته، وإشاعة العدل بين رعاياه.. وقد حشدها بالآيات القرآنية، وأحاديث الرسول، ووصايا العلماء والصالحين.. وهي كقطعة من كتابه: سراج الملوك ـ في أسلوبه ومنهجه، ومما جاء في هذه الرسالة قوله:

(ومما أتحفك به ـ وهو خير لك من طلاع الأرض[192] ذهباً، لو أنفقته في سبيل اللّه؛ ـ حديث لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر اللّه ـ واللّه أعلم ـ هل أرادكم رسول اللّه ـ ﷺ ـ معشر المرابطين، أو أراد بذلك جملة أهل المغرب، وما هم عليه من التمسّك بالسنّة والجماعة، وطهارتهم من البِدَع والإحداث في الدين، وإنّا لنرجو أن تكونوا أُولي بقية ينهون عن الفساد في الأرض؛ ولقد كنّا في الأرض المقدسة ـ جبر اللّه مصابها ـ تترى علينا أخبارك، وما قمت به من أداء فريضة اللّه ـ تعالى ـ في جهاد عدوه، وإعزاز دينه وكلمته.. ولئن كنت تستنصر بجنود أهل الأرض، فلقد كنّا نستنصر لك بجنود أهل السماء؛ حتى قَدِمَ علينا الأرض المقدسة

---

(190) الأحكام 2/309.

(191)شواهد الجلة (32 - 39).

(192) شواهد الجلة (39 ـ ب).

أبـو محمد بن العربي، وابنه الفقيه الحافظ أبو بكر، فذكرا من سيرتك في جهاد العدو، وصبرك على مكافحته ومصابرته؛ وإعزازك للدين وأهله، والعلم وحملته. . حتى تمنينا أن نجاهد الكفّار معك، ونكثر سواد المسلمين في جملتك. .)[193]. وينهي رسالته بالتنويه بتلميذه أبي بكر، ومقامه العلمي والديني. . ويوصي الأمير بأن يشدّ يديه عليه، ويحفظ وصية اللّٰه في أمثاله:
(. . والفقيه أبو بكر محمد بن عبد اللّٰه بن العربي ممّن صحبنا أعواماً، يدارس العلم ويمارسه، بلوناه وخبرناه؛ وهو ممّن جمع العلم ووعاه، ثم تحقّق به ورعاه، وناظر فيه وجـد حتى فاق أقرانه ونظراه؛ ثم رحل إلى العـراق فناظر العلماء، وصحب الفقهاء؛ وجمع من مذاهب العلم عيونها، وكتب من حديث رسول اللّٰه ـ ﷺ ـ وروى صحيحه وثابتـه، واللّٰه يؤتي الحكمة مَن يشاء؛ وهو وارد عليك بما يسرّك، فاشدد عليه يديك، واحفظ فيه وفي أمثاله وصية اللّٰه سبحانه لنبيّه عليه السلام ـ: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا، فقل سلام عليكم؛ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾)[194].

مدة رحلة ابن العربي:

تختلف الروايات في المدة التي قضاهـا ابن العربي في رحلتـه، وأصحّها أنها عشر سنوات أو تزيد، وقد ابتدأها في مستهل ربيع الأول من سنة (485 هـ ـ 1092 م)، وانتهى منها عام (495 هـ ـ 1102 م)[195].

---

(193) المصدر السابق.

(194) نفس المصدر.

(195) أكثر الروايات على أن عودة ابن العربي إلى وطنه، كانت سنة (493 هـ)، ويرى الدكتور إحسان عباس أن رواية سنة (495 هـ) شاذة، انفرد بها ابن فرحون في الديباج، ولعله لم يقف على النصوص الواردة عن ابن العربي نفسه ـ كما سنرى؛ على أن القاضي عياضاً ـ من تلاميذه وهو ممن عاش هذه الفترة ـ اقتصر على رواية سنة (495 هـ) ـ كما في الغنيـة ص 135، فكيف يصحّ القول بأنها رواية شاذة انفرد بها صاحب الديباج؟!.
وانظر بحث إحسان عباس المنشور بمجلة «الأبحاث اللبنانية» ع 2 س 16 ـ ص 217 ـ وما بعدها.

ولنترك ابن العربي يحدثنا في هذا الصدد ـ وهو خير من يتحدث في مثل هذا الموضوع الذي اضطربت فيه آراء الناس حتى من تلاميذه[196] ، وكان الواجب ـ على الأقل ـ أن تتحد كلمتهم في ذلك فيقول :

1 ـ (. . وقد تولجت تلك الأقطار الكريمة ، ودخلت تلك الأمصار العظيمة ! وجبت الأقطار القاصية ـ نيفاً على عشرة أعوام[197] . . .) .

2 ـ وقال ـ وهو يتحدث عن خلفاء بغداد : المقتدي ، والمستظهر : (وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين ـ يعني وأربعمائة . .)[198] .

3 ـ ويستأذنه أحد تلاميذه في الانصراف إلى وطنه ـ بعد أن جالسه طويلاً ـ فكان جوابه : (. . ما هذا القلق ؟! أقم حتى يكون لك في رحلتك عشرة اعوام ـ كما كان لي . .)[199] .

نتائجها :

أما نتائج هذه الرحلة ـ وقد قال ابن العربي نفسه : كل من رحل لم يأت بما أتيت به أنا والباجي[200] ـ فيجملها العالم الروسي : (ا ـ ي) . كراتشوفسكي ، في هذه الكلمة : بأن ابن العربي قدم لنا ـ في خلاصة هذه الرحلة ـ مادة ضخمة في مجال الحضارة الثقافية والاجتماعية لذلك العصر[201] .

ويذكر ابن العربي في هذا الصدد ـ وهو يتحدث عما أفاده فقط ـ من

---

(196) كما نجد عند ابن بشكوال في الصلة ، والضبي في البغية ـ وهذا الأخير وإن لم يكن من تلاميذ ابن العربي فهو يروي عن الشيوخ الذين أخذوا عنه .

(197) انظر العواصم من القواصم 82/2.

(198) أنظر العارضة 9 / 68 - 69 .

(199) انظر الضبي ، بغية الملتمس ص 83 .

(200) أنظر المقري ، أزهار الرياض 63/3.

(201) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ـ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ج 268/1 .

أستاذه الطرطوشي : (.. وصدرت عنه مملوء الحقائب من الرغائب[202])، فلندعه ـ وهو يودع ذلك الشيخ الوقور ، الذي أفاض عليه من علمه ، وأحاطه ببره وإكرامه ـ وقد احتزم حقائبه ، وضم رغائبه ـ متأهباً للسفر إلى وطنه يحمل مشعل النور ، ونبراس الفكر الحر ؛ فإلى أن نلتقي به في إشبيلية بلده ، وكأني به وهو يردد مع الشاعر العربي :

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة وقومي وإن ضنوا عليَّ كرام

---

(202) انظر شواهد الجلة (31 ـ ب) .



الفصل الثاني

عودة ابن العربي ـ ووظائفه

عاد ابن العربي إلى وطنه (المغرب) ـ بعد غياب طويل دام عشر سنوات أو تزيد ـ وقد سبقه علمه ، وذاع صيته ؛ واشرأبت الأعناق لرؤيته ، واحتشدت الجموع لملاقاته والترحاب به ؛ وشدت الرحال للأخذ عنه والسماع منه ، وبالغ المرابطون في إكرامه والاحتفاء به : (. . كر إلى الأندلس فحلها ـ والنفوس إليه متطلعة ، ولأنبائه متسمعة ؛ فناهيك من حظوة لقي ، ومن عزة سقي ، ومن رفعة سما إليها ورقي ؛ وحسبك من مفاخر قلدها ، ومحاسن أنس أنبتها وخلدها)[1] .

ولا ندري هل كانت عودة ابن العربي عن طريق البر أو البحر ؟ وكل ما نعرف أنه نزل ـ عند عودته ـ بتلمسان ، وفاس ، وأملى بهما مجالس علم كانت مثار إعجاب الحاضرين[2] ؛ ومر في طريقه بأرض دكالة حيث أعجب

---

(1) الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ص: 71.

(2) انظر سراج المهتدين في آداب الصالحين ـ (مخطوط خاص).

بخصوبتها ، ووفـرة ثمارهـا ، وكثرة خيـراتها : (رأيتهـا أنبتت ثاني يـوم المطر)[3] .

وهي سهول مترامية الأطراف ، طولها وعرضها خمس مراحل ، تنبط فيها الآبار العذبة ، وتكثر بها الزروع والضروع ؛ وبها زيادة على عشرة آلاف قرية غير مدن السواحل ، ومدينتها العظمى في وسطها ، وعشرون مسجداً ، وخمس وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة ، وأهلها قلما تجد فيهم من يتكلم العربية[4] .

ابن العربي بمراكش (عاصمة المغرب) :

دخل ابن العربي مراكش ـ والأمل يحدوه أن يجد لدى يوسف بن تاشفين أحلامه التي كانت تداعبه ـ وهو بعد حدث ، وقد عاش مع والده ـ وهو الوزير المستشار في بني عبـاد ينعم في حلل الرفاهية والسعادة ، وقد أتته الدنيا بحذافيرها ؛ وبين عشية وضحاها ، يرى الطفل بأم عينه دولتهم تدول ، وملكهم يزول ، وكأنها لم تغن بالأمس ! فيذوق مرارة الحرمان ، ويعيش ألواناً من الاضطهاد والبؤس والشقاء ! . . .

ويبدو أن ابن تاشفين قابل العالم الشاب ، والسفير الموفق ، بكل ترحاب وتكريم ؛ وتسلم منه المراسيم السلطانية التي حملها إليه من عاصمة الخلافة العباسية : (بغداد) ـ بتقليده لقب أمير المسلمين ، وجعله نائباً عن الخليفة العباسي في أقطار الغرب الإسلامي ، تعززه في ذلك فتاوى العلماء ، ورسائل الوزراء؛ ولا بد أن ابن العربي تحدث طويلاً أمام ابن تاشفين يشرح له حالة

---

(3) ابن قنفذ ، أنس الفقير ص 78.

(4) الزياني ، الترجمانة الكبرى ـ وفيها أنه التقى به هناك ـ العالم الرحـالة أبـو العباس القسمطيني ـ وهو خطأ واضح ، فأبو العباس القسمطيني من رجالات القرن الثامن الهجري ، فكيف يعقل التقاؤه بابن العربي ـ وهو من أهل القرن السادس الهجري ؟ أنظر الترجمانة ص 78.

المسلمين في الشرق العربي ، ومأساة فلسطين التي تحز في قلب كل عربي مسلم في الشرق والغرب ؛ وقدم له تقريراً مفصلاً عن اتصالاته بأقطاب العالم الإسلامي في موسم الحج لسنة (489 هـ) ، والسمعة الطيبة التي يتمتع بها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في هذه الأقطار ؛ وكيف أن الأمة الإسلامية قاطبة تتلقف أخبار جهاده ، وانتصاراته على عدوه ـ بكل اعتزاز وفخر ؛ وأن كل الأنظار تتجه إلى هذا الجناح الغربي ، وترى أن خلاص هذه الأمة سيكون على يده ؛ عملاً بقول الصادق المصدوق : لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله .

وقد تأثر ابن تاشفين ـ وهو الرجل الصالح المصلح ـ بخطاب الإمام الطرطوشي الذي يحمله مسؤولية هذه الأمة ، ويوصيه بتقوى الله وطاعته ، وإشاعة العدل بين رعاياه ! والذي يقول فيه : (. . وإنا لنرجو أن تكونوا أولي بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، ولقد كنا في الأرض المقدسة ـ جبر الله مصابها ـ تترى علينا أخبارك ، وما قمت به من أداء فريضة الله ـ تعالى ـ في جهاد عدوه ، وإعزاز دينه وكلمته ؛ ولئن كنت تستنصر بجنود أهل الأرض ، فلقد كنا نستنصر لك بجنود أهل السماء! .)[5] .

ومهما يكن ، فقد كانت رحلة ابن العربي موفقة ، وكان لها نتائج بعيدة الأثر؛ وكانت هناك ـ ولا شك ـ تأكيدات لابن العربي بأنه سيحظى بعناية خاصة من طرف الدولة ، وستصدر توصيات بذلك إلى المسؤولين في الجزيرة الإلبيرية .

صلة ابن العربي برجال الدولة :

كانت إشبيلية ـ منذ أن دخل المرابطون الأندلس ـ تحت نفوذ الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني ـ وهو بطل شهم ، له جولات موفقة في حروب الصليبيين ؛ وكان ابن العربي يتتبع باهتمام ـ وهو في بلاد المشرق ـ خطواته

(5) انظر شواهد الجلة (32 - 39) .

الجريئة ، ولا يدع أية فرصة تمر دون أن ينوه ببطولاته ، وأعماله الجليلة ؛ وحتى في موسم الحج وأمام الوفود المحتشدة في سائر أقطار الإسلام ، كان يكيل له من الثناء والإعجاب مما جعل الأنظار تلتفت إليه ، وتتحدث بأخباره ومآثره ؛ ومن الطبيعي أن يرعى الأمير لابن العربي هذا الجميل ، ويحظى لديه بكل اعتبار وتقدير ؛ بالإضافة إلى ما قدمه إلى الدولة من خدمات جليلة ، ومساع مشكورة ؛ على أن سمعته العلمية التي طبقت شهرتها الآفاق ، تجعله فوق كل اعتبار .

وما إن مرت أيام ، حتى رأينا الأمير يدعوه لحضرته ، ويختاره للشورى بين يديه ؛ وهو منصب عال لا يرقى إليه إلا الصفوة المختارة من رجالات الفكر ، وأئمة الفقة ، يجعلهم في مصاف الوزراء ، وكبراء رجال الدولة ؛ ومن هنا نجد بعض معاصريه يحليه بلقب الوزير[6] .

ولم تكن أعماله الإدارية بمجلس الشورى لتعوقه عن مهامه العلمية : من بحث وتأليف ، وتدريس ووعظ . . ولكن صلته بالسلطان ، ربما أساءت إلى سمعته ـ كعالم متحرر ، وداعية إسلامي ؛ فهذا أحد تلاميذه المعجبين به: أبو عبد الله بن مجاهد الإشبيلي ـ الزاهد العابد ، لازم ابن العربي نحواً من ثلاثة أشهر، ثم تخلّف عنه؛ فقيل له في ذلك؟ فقال: كان يدرس وبغلته بالباب تنتظره للركوب إلى السلطان[7] .

وهكذا ظل أبو بكر بن العربي إلى جانب الأمير سير بن أبي بكر يستشيره ، ومن خواصه المقربين لديه ؛ بل كانت له دالة عليه ، كلمه مرة أن يسأل له رجلاً حاجة ، فقال له : (أما تدري أن طلب مسألة عند الأمير غصب لها ؟) فكان جواب ابن العربي ـ على البديهة ـ : (أما إذا كان عدلاً فلا)[8] .

(6) انظر صنعة الكلام لابن عبد الغفور ص 190 - 191، وص 232، 247.
(7) التكملة 522/2.
(8) الأحكام 202/2.

كان الأمير سير محباً لأهل العلم ، مؤثراً للأدباء ؛ ومن رجالات الأدب الـذين ألحقهم بديـوانه ، الكـاتب الأديب، والشاعر المبـدع ، أبـو محمـد عبد المجيد بن عبدون ـ صاحب الرائية المشهورة في رثاء بني الأفطس ملوك بطليوس[9] .

نكبة كادت تعصف بابن العربي !

صحب ابن العربي معه لدى عودته إلى المغرب مكتبة حافلة بالأعلاق والنفائس في مختلف العلوم والفنون ، وكان من بين ما ضمته: كتاب الإحياء للغزالي ، وربما كان ابن العربي أول من أدخله إلى المغرب ، وله فيه رأي خاص ، وقد انتقد عليه أشياء وأشيـاء نجدها في ثنايا كتبه[10] .

ومما لم يتفق فيه مع أستاذه الغزالي ، قولته المشهورة : ليس في الإمكان ، أبدع مما كان ! ولكن فقهاء الأندلس أعلنوها حرباً شعواء على الغزالي ، وبالتالي على كتابه «الإحياء»، يتزعمهم في ذلك قاضي قرطبة ابن حمدين؛ فأغروا السلطان به ، وأفتوا بإحراقه ؛ فأصـدر أمير المسلمـين علي بن يـوسف بن تاشفين ـ أمره بذلك إلى سائر عماله بالعدوتين ، فأحرق بقرطبة أمام ملأ من الناس ـ وذلك سنة (503 هـ)؛ وأشارت الأصابع بالتهمة إلى كثير من أهل العلم والفضل ، وبالدرجة الأولى إلى تلاميذه ومريديه ؛ وفي مقدمـة من جرفتهم هذه العاصفة الهوجاء ، مترجمنا ـ أبو بكر بن العربي ؛ دعي إلى الجزيرة الخضراء يحمل نسخته من «الإحياء» ، فأتلفت وألقي بها في الماء ، وامتحن وكادت تعصف به الأهواء[11] !

ويحدثنا ابن طلموس في كتابه : المدخل إلى صناعة المنطق ـ عن ظروف هذه القضية ، وما يحيط بها من ملابسات ، فيقول : (. . ولما امتدت الأيام ،

---

(9) المعجم ص 164 - 168 .

(10) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص) .

(11) انظر نظم الجمان لابن القطان ص 15 - 16 .

وصل إلى هذه الجزيرة كتب أبي حامد الغزالي متفننة ؛ فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها ؛ وكلام خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبول أذهانهم ، ونفرت عنه نفوسهم ؛ وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة ، فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ! وأجمعوا على ذلك ،واجتمعوا للأمير إذ ذاك ، وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال ـ بزعمهم ، فأحرقت كتب الغزالي ـ وهم لا يعرفون ما فيها ؛ وامتحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل إنسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتاباً او اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه ؛ وأشهر من امتحن في هذه الثورة : أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله ، فإنه صلي بحرها ، ثم عصمه الله ـ بعد بلاء عظيم ، وفيه معنى قول القائل :

(إن ينج منها أبو نصر فعن قدر)[12] .

وللقضية ذيول ، ندع الحديث عنها إلى فرصة أخرى .

توفي سير بن أبي بكر سنة (507 هـ) ـ بعد أن حكم بإشبيلية سبعاً وعشرين سنة[13] ، وقد خلفه ولده يحيي ، فعبد الله بن فاطمة ، ثم إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ؛ وهذا الأخير هو الذي أرجع إلى أبي بكر بن العربي أملاك والده التي صودرت منه عند استيلاء المرابطين على إشبيلية ، وقد وسط له في ذلك حافظ العصر أبو علي الصدفي ـ وهو من شيوخ الأمير ، كان يحضر عليه مجالس خاصة[14]؛ وباسم الأمير أبي إسحاق هذا ، ألف الفتح بن خاقان كتابه (قلائد العقيان) ، ونوه في مقدمته بمآثره ومحاسنه[15] ، وكان ممدحاً من كبار

---

(12) انظر تاريخ الفكر الأندلسي ـ تعريب حسين مؤنس ص 365 — 366 .

(13) البيان المغرب 4 / 56.

(14) معجم أصحاب الصدفي ص 55.

(15) انظر المقدمة ص : 3 - 4.

الأدباء الأندلسيين لعلمه وأدبه وكرمه وشجاعته[16] .

جهاد ابن العربي :

عندما انتعش الصليبيون ، واكتسحوا أراضي الإسلام في عدة جهات من شرق الأندلس ، وأضحى الخطر يتهدد الثغر الأعلى بكامله؛ قام ابن العربي في الناس يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله ، ونجدة إخوتهم وجيرانهم ؛ وطلب من الوالي ان يجعل الجند في استنفار ، ويعلن الجهاد في سائر الأقطار حتى لا يبقى أحد : (. . فقلت للوالي[17] والمولى عليه : هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة ، فلتكن منكم إلى نصرة الدين حركة ؛ وليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى أحد في جميع الأقطار فيحاط به ، فإنه هالك ـ لا محالة ـ إن يسركم الله ؛ فغلبت الذنوب ، ورجفت بالمعاصي القلوب ؛ وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره ، وإن رأى المكيدة بجاره؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل)[18] !

فكان نداء ابن العربي إلى قومه كما قال الشاعر :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وعلى إثر ذلك سقطت سرقسطة ، وميورقة ، وسواهما من قواعد الإسلام بالثغر الأعلى ؛ فكان ذلك بداية النكبة ، وأمارات الكارثة ـ والبدايات عنوان النهايات[19] .

وقد شارك ابن العربي في كثير من الغزوات التي خاضها أمراء إشبيلية مع الصليبين في شرق الأندلس وغربه ، ومن بينها غزوة كتندة التي خرج إليها أبو

---

(16) نجد مدائحه في القلائد ، والمغرب ، وسواهما.

(17) لعله أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي جاءت هزائم على يده ، وأقصي إلى جهات نائية ، ومات طريداً .

(18) الأحكام 391/1 ، وانظر الفتح 476/4.

(19) انظر النفح 476/4 - 477.

اسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة (514 هـ) ـ وكانت على المسلمين ، واستشهد فيها آلاف المتطوعة ، وفقد عدد منهم ؛ من بينهم الإمامان الجليلان : أبو علي الصدفي ، وأبو عبد الله بن الفراء ؛ ونجا ابن العربي بأعجوبة ، وقد سئل ـ عند مخلصه منها ـ عن حاله ، فقال : حال من ترك الخباء والعباء[20] ـ أي فقد كل ما عنده .

وقد فهم بعض الباحثين من هذا ، أن ابن العربي كان من الفارين في هذه الغزاة[21] ـ وهو استنتاج غريب !

وخرج مع الأمير أبي بكر بن يوسف بن تاشفين إلى الثغور الشرقية بقصد الغزو سنة (522 هـ) ، وكان يجمع بين الجهاد والعلم ، فقد أخذ عنه في هذه الوجهة أبو العباس أحمد بن عبد الجبار من أهل شنتمرية[22] ، وآخرون سواه ؛ ويذكر ابن العربي في هذا الصدد أنه امتنع عليهم أحد الحصون بعد ان حاصروه طويلاً ، فرأى ذمي ـ كان من بين المتطوعة ـ رؤ يا ، فأولها بالفتح القريب ، فكان الأمر كذلك[23] .

وتردد غازياً على بلنسية سنة (525 هـ) وكان ممن أخذ عنه بها طارق بن موسى المعافري[24] ، وكثير غيره .

تولية ابن العربي الشورى لدى القضاة :

لم يعد ابن العربي يتردد على البلاط الإشبيلي ـ وكان ذلك لأمر يربطه بالأمير البطل سير بن أبي بكر الذي كان من دعائم الدولة المرابطية بالجزيرة الإلبيرية ، فلم يستطع أحد أن يخلفه في صرامته ومواقفه البطولية ؛ وانقطع أبو

(20) معجم الصدفي ص 4 - 5 ، والنفح 4/460 - 461 .
(21) انظر مقدمة حسين مؤنس للحلة السيراء ص 16.
(22) انظر التكملة 1/350 .
(23) انظر قانون التأويل (22 ـ أ).
(24) التكملة 344/1.

بكر بن العربي إلى العلم والدعوة إلى الله ، وكانت فتاواه تجوب أقطار الأندلس شرقها وغربها ـ وكأنها الشهب اللامعة ، تقذف مردة الشياطين من الخصوم ، وتقف كالسيف المصلت في وجوه الحاكمين، وهكذا ظل يفتي الناس أربعين سنة أو تزيد[25] ؛ وكانت هناك مناظرات بينه وبين منافسيه من فقهاء العصر، ولكن ابن العربي كان يخرج منها ظافراً منتصـراً[26]؛ مما دفع بالأمير إلى أن يختاره للشورى لدى القضاة ، فلا يبرمون أمراً إلا بمشورته ، ولا يصدرون حكماً إلا بعد أخذ رأيه فيه[27]؛ والتعيين في مثل هذا الوظيف السامي، إنما يكون بصدور ظهير خاص ، وصورته :

(هذا كتاب تنويه وترفيع، وإنهاض إلى مرقى رفيع ؛ أمر بكتبه الأمير . . للفقيه الوزير المشاور ، أنهضه به إلى الشورى ، ليكون عندما يقطع بأمر ، أو يحكم في نازلة يجري الحكم بها على ما يصدر من مشورته ومذهبه ؛ لما علمه من فضله وذكائه ، وجده في اكتساب العلم بمقاصده المتوخاة وأنحائه؛ والله يزيده تنويهاً وترفيعاً ، ويبوئه من حظوته وتمجيده مكاناً رفيعاً. .)[28].

وينتظر ابن العربي وظيف آخر سام ، سيتحمل فيه مسؤوليات جساماً ، ويمتحن بالبلايا والنكبات أشد ما يكون الامتحان !

ولايته القضاء :

أظهر أبو بكر بن العربي لدى توليته الشورى بين أيدي القضاة ـ كفاءة نادرة ، دلت على تضلعه الواسع في علوم الشريعة ، وغيرة ملتهبة على حقوق الضعفاء ، والوقوف إلى جانب المظلومين ؛ وكان في مجالسه العلمية ينتقد الأوضاع الفاسدة التي يعيشها المجتمع الأندلسي ، وينحي باللائمة على الولاة والمسئولين ؛ وكان لتلك النداءات المتكررة ، صداها البعيد في مراكش عاصمة

---

(25) انظر شجرة النور ص 136.

(26) من هذه المناظرات ، ما جرى بينه وبين أبي القاسم بن ورد ، أنظر الإحاطة 136/1

(27) انظر التكملة 542/2 .

(28) التكملة 652/2 .

المرابطين ، فأصدر علي بن يوسف بن تاشفين مرسوماً بتولية أبي بكر بن العربي قضاء إشبيلية، يحمل تاريخ منسلخ جمادى الثانية سنة (528 هـ)[29] .

وتتفق كلمة المؤرخين على أنه كان مثال العدل والاستقامة ، صلباً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم: (. . فنفع الله به أهل إشبيلية لصرامته وشدته ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ، مع الرفق بالمساكين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر. .)[30].

وكان المجتمع الإشبيلي ـ آنذاك ـ يعيش حالة الفوضى والاضطراب، والتمزق، والانحلال الخلقي؛ وقد يدلنا على ذلك، الحوار الذي دار بين أبي الوليد بن رشد، وأبي بكر بن زهر ـ بمجلس يعقوب المنصور الموحدي في شأن قرطبة وإشبيلية؛ فقال ابن رشد: (ما أدري ما تقول؟ غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه، حملت إلى قرطبة حتى تباع فيه؛ وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته، حملت إلى إشبيلية)[31] .

ويصور لنا ابن العربي هذا الجو المائج المائع الذي ركب الناس فيه رؤوسهم فيقول:

(. . فكيف لو رأى زماننا هذا بهتك الحرمات، والاستهتار بالمعاصي والتظاهر بالمناكر، وبيع الحدود، واستيفاء العبيد لها في منصب القضاة. . ؟!)[32] لكن ابن العربي أخذ الأمور بيد من حديد، فقابل الطغاة والمستهترين بصرامة لا تعرف هوادة؛ ومن تصلبه أن اتخذ له شرطاً يتتبعون خطوات الشاربين، ويرقبون كل حركة أو بادرة من طرف السكارى والمخمورين؛ أتي له يوماً برجل بيده كأس فيها خمر فسأله عنها، فلقنه بعض

---

(29) انظر البيان المغرب 4/92 - 94.

(30) انظر الصلة: 559، والمرقبة العليا ص 106، والديباج 281.

(31) انظر المقري ، النفح 1/155 .

(32) الأحكام 2/84.

الوزعة أن يقول: إن عنده جارية نصرانية اشتراها لها؛ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: لعن رسول الله في الخمرة عشرة ـ وذكر منها المشتري والمشتراة له؛ ثم لعنه وأمر من بحضرته أن يلعنه، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي إشبيلية ـ حتى كان ذلك سبب نفيه منها[33].

وثقب أشداق زامر كانت تلتف حوله حشود العاطلين، ويغوي بمزماره الغادين والرائحين[34] ؛ وحلق شعر شاب كان مدعاة للهو والفساد : (. . وكنت أيام الحكم بين النـاس أضرب وأحلق ، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يرى شعره عوناً على المعصية ، وطريقاً إلى التجمل به في الفساد ، وهذا هو الواجب في كل طريق إلى المعصية)[35] .

وهو إلى ذلك كان رفيقاً بالضعفاء ، رحيماً بالأرامل والمساكين ؛ اشتدت مسغبة في بعض السنوات ، فهام الناس على وجوههم من الجوع والفاقة ؛ فدعا الولاة والأغنياء إلى المواساة ـ وهـو أمر محتم عليهم ، فلم يجـد أذناً صاغية ؛ فقدر أن ما ينوبه من هؤلاء البائسين اثنان أو أكثر ، فضمهم إليه ، وأنفق عليهم في جملة عياله : (. . وقد كنت في أعوام المجاعة أدعو الأغنياء والولاة إلى ذلك ـ (المواساة) ـ فيأبون عليّ ، لأن الله أبى عليهم أن يفلحوا ؛ فكنت أرجع إلى تقدير الأغنياء والمساكين ، فآخذ من جملتهم قدر ما يمكن أن يلزمني على التقسيط ، فأضمهم إلى نفسي ، وأجعلهم من معارفي)[36] .

ووقعت مجاعة أخرى ـ وهو بأيلان أغمات في جنوب المغرب ـ فكان ذلك صنيعه رغم ما كان يعانيه من أزمات ، وما جرته عليه نكبة القضاء من ويلات : (كنت بأيلان في مجاعة سنة خمس أو ست وثلاثين وخمسمائة ـ وقد ضاقت الأرض برحبها على المساكين ، ومادت بعطفي شرقها وغربها عـلى

---

(33) ابن عذاري، البيان المغرب 93/4 - 94، وانظر العارضة 303/5 والأحكام 22/1.

(34) نفس المصدر .

(35) الأحكام 1/433.

(36) محمد بن جعفر الكتاني ، رسالة في المواساة ص 5 ، وانظر السلوة 198/3.

المحتاجين ؛ فحشر إلينا زمر منهم وعمهم البلاء ، وكنت بدار غربة ، في حال كربة ؛ فرأيت أن الذي يلزمني واحد منهم ، فأخذت اثنين ، وكنت أقوتهم كل يوم رغيفين ، إلا أن تأتيني زائدة من فائدة ، فيكون عليهم منها عائدة)[37].

وإزاء الغارات التي كانت تقوم بها القوات الصليبية في جنح الظلام على المدن الأندلسية ـ بقصد النهب والتخريب ، يساعدهم في ذلك المعاهدون المتواجدون بهذه المدن ـ قدم رئيس فقهاء الأندلس أبو الوليد بن رشد (الجد) إلى علي بن يوسف بن تاشفين مشروعاً كان مما تضمنه :

1 ـ إجلاء المعاهدين عن ديار الإسلام لنقضهم العهد ، ومساعدتهم لأعداء المسلمين .

2 ـ تسوير المدن تحصيناً لها ، وحفظاً لأمنها[38] .

فتقبل الخليفة المشروع، وأمر بتنفيذه في الحين ؛ فأجلي المعاهدون أينما كانوا ، فأكلتهم الأسفار ، وحاق بهم سوء مكرهم !

ووقع الشروع في بناء أسوار المدن ، لكن الأمناء لم يحسنوا التصرف في ذلك ، فضاعت أموال في هذا السبيل بدون جدوى ، وتهدم أكثر ما بني[39] .

ولما ولي أبو بكر بن العربي قضاء إشبيلية ، كان من مشاريعه الإصلاحية بناء سور المدينة ، فأنفق عليه من ماله الخاص ؛ وعندما نفد ما كان بيده ، اغتنم فرصة عيد الأضحى ، فدعا الناس إلى التبرع بجلود أضاحيهم لإتمامه ـ وهو أحق ما تنفق فيه ؛ لكن الحسدة ومرضى القلوب دفعوا بالعامة إلى الشغب ، وحرضوهم على التمرد والعصيان ، وأوعزوا إليهم أن يهاجموه في عقره ؛ فتسوروا عليه الدار ، ونهبوا كتبه وماله ؛ وكادوا يفتكون به ـ لولا أن

---

(37) نفس المصدر .

(38) البيان المغرب 4/92 - 93 .

(39) نفس المصدر .

تستر بحريمه ، وهي من النكبات التي أصابته ، فاحتسبها عند الله ! (. . ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ؛ واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على أهل الفسق الكـرب ؛ فتألبوا وألبوا ، وثاروا إلي ؛ فاستسلمت لأمر الله ، وأمرت كل من حولي أن لا يدفعوا عن داري ؛ وخرجت إلى السطوح بنفسي ، فثاروا علي ؛ ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار ! وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور :

1 ـ وصية النبي ـ ﷺ ـ أي بالكف عن القتل في الفتنة .

2 ـ الاقتداء بعثمان ـ حيث استسلم لأمر الله ، وأمر من حوله أن لا يدفعوا عنه .

3 ـ سوء الأحدوثة التي فر منها رسول الله ـ ﷺ ـ المؤيد بالوحي ، فإني خشيت أن يقال : إن الناس جاءوا مستغيثين به ، فأراق دماءهم)[40] .

انصراف ابن العربي عن القضاء والتحاقه بقرطبة :

وهكذا لم تمض سنة وبضعة أشهر[41] على ولايته القضاء ، حتى ثارت الغوغاء في وجهه ونكب ، فانصرف عن القضاء أو صرف عنه ، والتحق بقرطبة ـ وبها كثير من تلاميذه ومعارفه ؛ فانقطع للعلم والبحث ـ وقد استراح من أعباء القضاء التي كادت تنسيه كل شيء ! (. . إذا ولي القاضي عامين ، نسي أكثر ما كان يحفظ ، فينبغي أن يعزل ويتدارك نفسه)[42] . على أن أيامه كانت أيام عدل وإنصاف ، ونشر للأمن ، وبسط للطمأنينة : (. . وقد شاهدتم منا إقامة العـدل والقضاء ـ ولله الحمـد ـ بالحق ، والكف للنـاس

---

(40) العواصم من القواصم 137/2 .

(41) البيان المغرب 93/4.

(42) بغية الملتمس ص 83.

بـالقسط ؛ وانتشـرت الآمنـة ، وعصمت المنعـة ، واتصلت في البيضـة الهدنة . .)[43] .

ومن تـلاميـذه الـذين وقفـوا بجـانبـه ، وأخلصـوا لـه في جهـاده الإصلاحي ـ الحافظ المؤرخ أبو القاسم بن إبشكوال، وقد ولاه خليفة عنه في بعض جهات إشبيلية[44] .

وكان لابن العربي خاتم منقوش فيه : (محمد ابن العربي)[45] .

وولي قضاء إشبيلية ـ بعد أبي بكر بن العربي ـ عبيد الله بن خلف من أهل إليش ـ عمل بطليوس ، ويعرف بابن الموصـلي ، استقدم لـذلك من بلده بالثغر ، فقيل في ولايته شعر[46] .

---

(43) الأحكام 134/2 .

(44) التكملة ص 306 - 307 .

(45) العارضة 29/1 .

(46) التكملة ص 935 .

الفصل الثالث

تلاميذه - أسرته - وفاته

وما إن استقر بابن العـربي المقام بقرطبة ، حتى تواردت عليه وفود من الطلاب ، وأضحى بيته كعبة الواردين ، وملجأ الوافدين؛ وكانت مجالسه العلمية لا تكاد تنقطع ليل نهار، إلى جانب ما كان يقوم به من بحث ، وما يعانيه من تأليف .

ويصور لنا بعض تلاميذه هذه الحياة الصوفية التي كان يعيشها ابن العربي في خلوة العلم والبحث فيقول : (. . وكنا نبيت معه في منزله بقرطبة ، فكانت الكتب عن يمينـه وعن شماله ؛ وكان لا يتجرد من ثوبه ، وكانت له ثياب طويلة يلبسها بالليل ، وينام فيها إذا غلبه النوم ؛ ومهما استيقظ مد يده إلى كتاب ـ وكان مصباحه لا ينطفىء الليل كله)[1].

عودة ابن العربي إلى إشبيلية ، وتفرغه للبحث والتأليف :

ولم تطل إقامة ابن العربي بقرطبة ، ولعل انتقاله إليها كان مؤقتاً ـ ريثما

(1) انظر بقية الملتمس ص 83.

تهدأ العاصفة ، وتعود المياه إلى مجاريها ؛ فلم يلبث أن عاد إلى إشبيلية بلده ، وبنى بها مسجداً اكتظت جوانبه برواد المعرفة ، واتصلت حلقاته في التفسير ، والحديث، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، واللغة، والأدب، والأخبار، والسير ، وما إليها ؛ وهذه الفترة من أخصب فترات حياته ، وفيها اتم أكثر مؤلفاته .

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الكتب التي أقرأها ـ سواء بإشبيلية ، أو قرطبة ، أو سبتة ، أو فاس ، أو تلمسان ، أو سواها ؛ كانت من الوفرة بحيث يصعب على المرء عدها ، وجلها مما استورده من بلاد المشرق ؛ ويكفي أن نعرف أن أحد طلابه ، لازمه حتى استوفى عليه أكثر من مائة كتاب[2] .

وأورد ابن خير في فهرسته ـ وهو من تلاميذه ـ نحو مائة وخمسة وعشرين مؤلفاً ـ بأسانيدها المتصلة ، وهي كلها مما سمعه عليه[3] .

ولعل أهم هذه المؤلفات ـ وهو مما لم يذكره ابن خير في فهرسته ـ كتاب الأسرار في الفروع والأصول للدبوسي ، وربما كان أول مؤلف في الخلافيات دخل المغرب ؛ وينوه ابن العربي بشأنه ، ويذكر أنه لما أقرأه بفاس ، وتلمسان ، أعجبوا به ، وكثر حرصهم عليه ؛ ولكن أبا بكر كان ضنيناً به ، لا يكاد يخرج من يده ؛ مما دفع ببعض الطلاب إلى أن يشد الرحال إلى بغداد ـ ولم يكن غرضه إلا نسخ هذا الكتاب ، فانتسخه من المدرسة الحنفية ـ وهو عدة أجزاء يقع في نحو ألف ورقة ؛ واتفق أن ضاع قسم من نسخة ابن العربي ، فاستعان بنسخة تلميذه ـ رغم ما كان بها من تحريف : (وكان ذلك من جميل صنع الله معي)[4] .

وهذا العمر الطويل الذي قضاه ابن العربي في التدريس والتعليم ، جعل

---

(2) التكلمة ص 493.

(3) انظر الفهرسة ص ٥٤٤ .

(4) سراج المهتدين (مخطوطة خاصة) .

وانظر سراج المريدين ورقة (229 - 237).

تلاميذه وأصحابه في كل جهة ومكان ، ولا يكاد يخلو منهم بلد ؛ وإذا كنا لا نستطيع أن نوفي القول عنهم ، فلنقل كلمة عن المشاهير منهم .

أشهر تلاميذه :

ومن الذين تتلمذوا له ـ وكانوا في مصاف أشياخه :

1 ـ أبو القاسم محمد بن عبد العزيز الأنصاري ، أصله من دروقة ـ عمل سرقسطة ، سكن أبوه قرطبة ، وكان من أهل الحفظ للحديث ، توفي قبل (520 هـ)[5] .

2 ـ أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون من أهل أوريولة ، أجاز له ابن العربي ، وهو من مشايخ الأندلس الحفاظ (ت 520 هـ)[6] .

3 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن خلصة اللخمي ، من أهل إشبيلية ، سمع أبا بكر وصحبه ، وكان يجله ويثني عليه ـ لعلمه وتقدمه في صناعته ؛ له رسالة انتقد فيها كتاب (الانتصار) لابن السيد البطليوسي الذي رد فيه على ابن العربي[7] ، وهي ـ كما يقول ابن الأبار ـ من أجود الرسائل . (ت 521 هـ)[8] .

4 ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد المعروف بابن زرياب ، لقي أبا بكر وتناول منه مختصر ابن أبي زيد ، وكان من أهل العلم والفضل ، فقيهاً مشاوراً، (ت 522 هـ)[9] .

---

(5) التكملة ص 160، والمعجم في أصحاب الصدفي ص 112 .

(6) بغية الملتمس : 63 ، الصلة : 547 ، المعجم : 110 ، الوافي بالوفيات 45/3 .

(7) كتب ابن العربي حواشي على شرح ابن السيد لشعر أبي العلاء المعري ، ينتقده فيها ، ويتتبع عثراته ، فوضع ابن السيد كتابه «الانتصار» للرد عليه .

(8) التكملة : 160 ، الوافي بالوفيات 332/3.

(9) التكملة: 427.

5 ـ أبو نصر الفتح بن خاقان، أجاز له ابن العربي، وهو من أدباء الأندلس الأفذاذ، (ت 528 هـ)[10].

6 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي البقاء الأموي ، من أهل أندة ـ عمل بلنسية، ولي الأحكام بإشبيلية وفي جهات أخرى من الأندلس، كان فقيهاً فاضلاً ، ضابطاً لما يرويه ، (ت 535 هـ)[11] .

7 ـ أبو عبد الله محمد بن مغاور بن حكم بن مغاور السلمي ، من أهل إشبيلية ؛ كان فقيهاً عالماً بالمذهب ، محصلاً لرواياته ، بصيراً بعقد الشروط ، رأساً في الفتوى صدراً في الشورى، (ت 536 هـ)[12].

8 ـ أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي السرقسطي ، كان رحالة في طلب العلم، (ت 538 هـ)[13] .

9 ـ أبو الخطاب محمد بن عمر بن واجب القيسي من أهل بلنسية ، لقي أبا بكر عند قدومه على بلنسية سنة (522 هـ) ، فناوله وأجازه ، وكان نبيهاً نزيهاً ، ولي قضاء أوريولة وإليش، (ت 539 هـ)[14] .

10 ـ أبو مروان عبد الملك بن سلمة الأموي ، المعروف بابن الصيقل ، من أهل وشقة ، كان فقيهاً أديباً فصيحاً ؛ من أهل الفهم واليقظة ، مع الضبط والإتقان، (ت540 هـ)[15] .

11 ـ أبو القاسم محمد بن أبي بكر بن سميع ، من أهل برشانة ـ عمل

---

(10) المعجم: 133، وانظر في ترجمته: المغرب في حلى المغرب 254/1، ووفيات الأعيان 149/3، ونفح الطيب 29/7- 35.

(11) التكملة: 170.

(12) التكملة: 172.

(13) المعجم: 144 - 145.

(14) التكملة : 176 ، شجرة النور : 134 - 135 .

(15) التكملة : 611 ، غاية النهاية 468/1.

المرية كان من أهل النباهة **والوجاهة**، (ت 540 هـ)[16].

12 ـ أبو بكر بن جعفر بن الحسين الأموي من أهل أندة ـ عمل بلنسية ، كان رجلاً صالحاً ورعاً ، (ت 540 هـ)[17].

13 ـ أبو الحسين محمد بن واجب القيسي ـ والد أبي الخطاب (أحمد بن محمد) من أهل بلنسية ، استجاز لنفسه ولابنه أبي الخطاب ـ أبا بكر بن العربي ، وكان حافظاً للفقه يستظهر مختصر المدونة للبراذعي ، توفي في حدود سنة (540 هـ)[18] .

14 ـ أبو الحكم عبد الرحمن بن عبد الملك الأنصاري السرقسطي ، المعروف بأبي غشليان ، الراوية المسند ، لقي أبا بكر بن العربي بقرطبة سنة (518 هـ) ، فأجاز له ، (ت 541 هـ)[19] .

15 ـ أبو المعالي إدريس بن يحيى بن يوسف ، من أهل إشبيلية ؛ سمع من ابن العربي سنة (531 هـ) وقد أسن، وكان يتجول في البلاد للوعظ والتذكير ، فنفع الله به[20] .

16 ـ أبو محمد عبد الله بن علي الرشاطي ، من أهل أوريولة ، سكن المرية ، أجاز له ابن العربي ، وسمع سباعياته ، وكان من اهل الحفظ **والإتقان**، (ت 542 هـ)[21] .

وكل هؤلاء ـ كما نرى ـ أخذوا عنه ـ وكانت وفاتهم قبله ، وممن يدخل في هذا الإطار ـ أعني تلاميذه الذين سبقوه في الوفاة ـ :

---

(16) بغية الملتمس : 136 ، المعجم : 155 .

(17) التكملة 1/241 ـ طبع مصر .

(18) التكملة : 179 ، شجرة النور : 134 .

(19) بغية الملتمس : 355، المعجم: 247 .

(20) المعجم : 68 - 69 .

(21) البغية : 336، المعجم : 227 ، شجرة النور : 135 .

17 ـ ولده ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي ، كان من أهل النباهة والجلالة ، معنياً بالرواية وسماع العلم ، قتل خطأ يوم أن دخلت إشبيلية على المرابطين سنة (541 هـ) ، فثكله أبوه ، وحسن صبره عليه[22] .

ثم يأتي بعد هـؤلاء كل الذين تتلمذوا له ، وتأخرت وفاتهم عنه؛ ومن بينهم :

18 ـ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي الإمام الحافظ الضابط المتقن ، سمع من ابن العربي عند اجتيازه بسبتة ، وكتب عنه ـ كما يقول ـ فوائد حديثية ، وناوله كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني ، وحدثه بكتاب الإكمال لابن ماكولا ؛ وقرأ عليه مسألة الأيمان اللازمة من تأليفه ، وأجازه جميع مروياته ؛ وسمع منه بإشبيلية وقرطبة ، وحدث عنه بالرباعيات المروية عن البخاري ، (ت 544 هـ)[23] .

19 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي بن الأمين من أهل قرطبة ، كان من أهل الضبط والإتقان والتقدم في صناعة الحديث، (ت 544 هـ)[24].

20 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد العاصمي الفهمي من أهل المرية ، يعرف بابن أبي زيد ؛ كان عالماً بالعربية واللغة والأدب ، مع الاتصاف بالفضل والصلاح ، (ت 545 هـ)[25] .

21 ـ أبو عبد الرحمن مساعد بن أحمد بن مساعد الأصبحي ، ويعرف بابن زعوقة من أهل أوريولة ، حج سنة (549 هـ) ، روى عن كبار المشايخ ، فساوى بلقائهم مشيخته ، (ت 545 هـ)[26] .

---

(22) التكملة : 471، طبع مجريط.

(23) انظر الغنيـة لعياض : 133 - 139 ، والتعريف لولده 124 ، وأزهار الرياض للمقري 31/1.

(24) بغية الملتمس : 223، والمعجم : 63 - 64 .

(25) بغية الملتمس : 90 ، التكملة : 160 ، بغية الوعاة : 64.

(26) بغية الملتمس : 461 ، المعجم: 204 ، نفح الطيب 644/2 .

22 ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمروس بن أيوب ، من أهل شلب ؛ قرأ التلقين على ابن العربي في مجلس واحد ، وبقراءته سمع أبو بكر بن خير ، وذلك في سنة (532 هـ) ؛ كان فقيهاً مشاوراً حافظاً، (ت 546 هـ)[27] .

23 ـ أبو عبد الله محمد بن يحيي العاصمي الأنصاري من أهل المرية ـ عمل بلنسية ، سمع من ابن العربي ، وأجاز له سنة (522 هـ) ، تصدر ببلده (ت 547 هـ)[28] .

24 ـ أبو العباس أحمد بن حسن بن سليمان بن إبراهيم من أهل بلنسية ، سمع من ابن العربي وأكثر عنه ؛ وكان من أهل الفقه والمعرفة بعقد الشروط ، والعناية برواية الحديث، (ت 547 هـ)[29] .

25 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد من أهل دانية ، ويعرف بابن غلام الفرس ، كتب إليه ابن العربي ؛ وكان إماماً فاضلاً ، صاحب ضبط وإتقان، (ت 547 هـ)[30] .

26 ـ أبو الحكم عمرو بن زكرياء بن بطال البهراني من أهل لبة، ولي القضاء والخطبة ببلده (ت 549 هـ)[31] .

27 ـ أبو محمد عبد الله بن يحيى الأنصاري من أهل لرية ـ عمل بلنسية، كان له اعتناء بالحديث، (ت 550 هـ)[32] .

28 ـ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن خيرة من أهل قرطبة ، كان من أحفظ

---

(27) بغية الملتمس : 326 ، التكملة : 831 ، بغية الوعاة : 278.

(28) التكملة : 196.

(29) التكملة 56/1 ، وانظر الذيل والتكملة 91/1.

(30) التكملة : 193 — 195 ، شجرة النور : 142 .

(31) التكملة : 693.

(32) التكملة : 473.

الناس للرأي ، مع المشاركة في الأدب ، والتفنن في المعارف ، (ت 551 هـ)[33] .

29 ـ أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى التجيبي ، المعروف بابن الإقليشي ، كان عالماً عاملاً ، (ت 551 هـ)[34] .

30 ـ أبو يونس مغيث بن يونس الأنصاري المعروف بابن الصفار ، من أهل قرطبة ، وكان فقيهاً مشاوراً ، (ت 552 هـ)[35] .

31 ـ أبو العرب عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن غالب التجيبي البلنسي ، سمع ببلنسية من ابن العربي ـ ولعله عندما قدمها غازياً سنة (522 هـ) ، وكان عارفاً بالفقه ، بصيراً بعقد الشروط ، (ت 552 هـ)[36] .

32 ـ أبو عبد الله محمد بن صاف بن خلف الأنصاري من أهل أوريولة ، ولي قضاء بلده ، (ت 552 هـ)[37] .

33 ـ أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي من أهل إشبيلية ، ويعرف بالفلنقي ؛ كان إماماً في صناعة الإقراء عالي الرواية ، استوطن فاساً ، وأقرأ بمسجد الحوراء منها ، (ت 553 هـ)[38] .

34 ـ أبو الحسن محمد بن عبد العزيز بن واجب القيسي ، ولي القضاء بقسطنطانية وغيرها من الجهات الشرقية ، (ت 553 هـ)[39] .

35 ـ أبو حفص عمر بن محمد بن واجب القيسي البلنسي ، كان فقيهاً

---

(33) المعجم : 172 - 174 ، شجرة النور : 143 .

(34) الذيل والتكملة 1 ـ ق 2/543 ، بغية الوعاة : 171 ، شجرة النور : 154 .

(35) بغية الملتمس : 455 ، المعجم : 204 .

(36) الذيل والتكملة 5/94 .

(37) المعجم : 175 .

(38) التكملة : 206 ، غاية النهاية : 242 .

(39) التكملة : 207 ، شجرة النور : 134 .

حافظاً للمسائل بصيراً بالأحكام مشاوراً ، (ت 557 هـ)[40] .

36 ـ أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف بن فتحون من أهل أوريولة ، له رواية واسعة ، وعناية كاملة ، (ت 557 هـ)[41] .

37 ـ أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي من أهل المرية ، يعرف بابن ولم؛ كان من أهل الفهم واليقظة ، مشاركاً في الأدب وعقد الشروط ، ولي قضاء بعض جهات شاطبة ، (ت 557 هـ)[42] .

38 ـ أبو بكر محمد بن عبد الله بن سيدالة التجيبي ، من أهل شاطبة ، كتب إليه ابن العربي ، وكان عارفاً بالأخبار ، حافظاً لأسماء الرواة ، (ت 558 هـ)[43] .

39 ـ أبو علي حسين بن محمد بن حسين الأنصاري من أهل طرطوشة سمع الحديث عن ابن العربي ، وتصدر للإقراء[44].

40 ـ أبو عبد الله محمد بن عتيق ، من أهل المرية ، لقي أبا بكر وسمع سباعياته[45] .

41 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطي ، ويعرف بابن الصائغ ؛ رحل حاجاً ، فلقي جماعة من الشيوخ ، وولي الصلاة والخطبة بتوزور[46] .

42 ـ أبو مروان خطاب بن أحمد بن موسى بن خطاب الغافقي من أهل موله ـ عمل مرسية ، رحل إلى قرطبة فسمع بها من ابن العربي ـ أيام انتقاله

---

(40) التكملة : 655، شجرة النور: 135 .
(41) المعجم : 84.
(42) التكملة : 210.
(43) التكملة : 211 .
(44) التكملة : 26.
(45) التكملة : 182.
(46) المعجم: 249، معجم البلدان 296/5.

إليها من إشبيلية ، عني بالرواية وسماع الحديث ؛ وكان فقيهاً مشاوراً ، كتب بخطه علماً كثيراً[47] .

43 ـ أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد بن يحيي الثقفي ، من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة وكان من أهل العناية بالرواية ، حسن الخط ، معروفاً بالإتقان والضبط .[48]

44 ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن خلف المحاربي ، من أهل غرناطة ، سمع من ابن العربي عند اجتيازه بغرناطة ، وكان من أهل العناية بالرواية[48] .

45 ـ أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي ، ويعرف بابن الأشيري ؛ رحل إلى الأندلس ، فسمع من ابن العربي ، وكان فاضلاً ثقة ، (ت 561 هـ)[50] .

46 ـ أبو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المعروف بالعشاب ، من أهل المرية، شور ببلده؛ نزل فاساً ، وحدث بها ، (ت 562 هـ)[51] .

47 ـ أبو بكر محمد بن شريح بن محمد بن شريح ، من أهل إشبيلية ، سمع من أبي بكر بن العربي وصحبه في وجهته إلى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم ، والمقدمين فيه بذاته وبسلفه، (ت 563 هـ)[52] .

48 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبادة الأنصاري ، من أهل جيان ، كان مقرئاً ماهراً فاضلاً معدلاً ، يشارك في الحديث والمسائل ، (ت 564 هـ)[53] .

---

(47) التكملة: 42.
(48) التكملة : 563 .
(49) التكملة : 190.
(50) التكملة : 528 .
(51) المعجم : 331 .
(52) التكملة : 218.
(53) التكملة : 22 ، غاية النهاية : 162/2.

49 ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، من أهل مرسية ؛ سكن شاطبة ، ثم رحل إلى قرطبة ، وبها سمع من ابن العربي ؛ كان عارفاً بالسنن والآثار ، مشاركاً في علم القرآن وتفسيره ، حافظاً للفروع ، بصيراً باللغة والغريب ، (ت 566 هـ)[54] .

50 ـ أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن أبي ليلى الأنصاري ، من أهل مرسية ، كان عدلاً خياراً ، عارفاً بالنقل، موصوفاً بالإتقان وصحة التقييد ؛ بضاعته جمع الآثار ، مع مشاركة في الأدب وغيره، (ت 566 هـ)[55] .

51 ـ أبو عبد الله بن أحمد بن سعيد بن موجل ، من أهل بلنسية ، انتقل إلى إشبيلية قبل سنة (530 هـ) فنزلها ؛ وكان فقيهاً حافظاً ، حتى جعل أبو بكر بن الجد يغص من مكانه ، ويغض في شأنه ؛ وكان ابن العربي يثني عليه ، وهو أحد أصحابه المؤثرين لديه، (ت 566 هـ)[56] .

52 ـ أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري ، من أهل قرطبة ، وكان متقدماً في اللسان حافظاً، (ت 567 هـ)[57] .

53 ـ أبو محمد عاشر بن محمد بن عاشر الأنصاري اليناشتي ، سكن شاطبة ، وكان فقيهاً حافظاً للمسائل ، (ت 566 هـ)[58] .

54 ـ أبو بكر يحيي بن محمد بن هانىء التغلبي الغرناطي ، سمع من ابن

---

(54) البغية : 142 الديباج : 287 شجرة النور 149 .

(55) المعجم : 252 .

(56) المعجم : 237 ، النفح 158/2 .

(57) التكملة : 229 ، شجرة النور : 149 .

(58) الذيل والتكملة 5 ـ ق 99/1، الحلل السندسية 282/3 .

العربي وحج سنة (530 هـ) ، وأكثر من السماع ، وأوطن أوريولة وولي خطبتها، (ت 567 هـ)[59] .

55 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف الأنصاري ، المعروف بابن النعمة ، من أهل المرية ، سكن بلنسية؛ سمع من ابن العربي عند مقدمه على بلنسية غازياً سنة (522 هـ) بعد أن أجاز له ، وولي خطة الشورى ، ثم الصلاة والخطبة، (ت 567 هـ)[60] .

56 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج الأنصاري الخزرجي ، ويعرف بابن الفرس ؛ من أهل غرناطة ، شيوخه نيف وثمانون ، من أعلامهم أبو بكر بن العربي وآخرون ، (ت 567 هـ)[61] .

57 ـ أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبدالعزيز بن عقال الفهري البلنسي، كان فقيهاً حافظاً مفتياً ، قائماً على المدونة والعتبية ، قدم للشورى ببلده، (ت 567 هـ)[62] .

58 ـ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري ويعرف بابن الصقر ، اشتهر بالفقه والأدب ، مع نباهة القدر ، وبراعة الخط ، ولي قضاء إشبيلية . (ت 569 هـ)[63] .

59 ـ أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن خليل القيسي من أهل لبلة ، كان من أهل الرواية والدراية ، نزل مدينة فاس ، ثم انتقل إلى مراكش وأقرأ بها ، (ت 570 هـ)[64] .

---

(59) التكملة : 724.

(60) المعجم : 298 ، غاية النهاية 553/1، بغية الوعاة : 61 - 62.

(61) البغية : 142، المعجم : 185 ، شجرة النور : 150.

(62) التكملة : 723.

(63) التكملة : 276 ، الديباج : 286 ، شجرة النور : 151

(64) المعجم : 188.

60 ـ أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة، ويعرف بابن المواعيني، من أهـل قـرطبـة سكن إشبيليـة، عنـي بـالأدب، وكتـب للولاة، (ت 570 هـ)[65] .

61 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد يعرف بابن الغاسل ، من أهل غرناطة ، كان مقرئاً فاضلاً ، ومحدثاً حافلاً ، حسن الخط ، جيد الضبط ، وكان لا يزال على قيد الحياة سنة (570 هـ)[66] .

62 ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سهل الضرير، من أهل غرناطة، ويعرف بوجه نافخ، أجاز له ابن العربي، وكان من أهل المعرفة الكاملة بالعربية والآداب والتقدم في ذلك، (ت 571 هـ)[67] .

63 ـ أبو مروان مالك بن عبد الرحمن القشيري ، من أهل إشبيلية ـ فيما يظنه ابن الآبار ، وكان في عداد الأدبـاء النبهاء الحفاظ الأيقاظ[68] .

64 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هاشم السبتي، متأدباً بالعربية ، قائماً عليها[68] .

65 ـ أبو الوليد محمد بن عريب بن عبد الرحمن ، من أهل سرقسطة سكن مرسية ، وتصدر للإقراء بشاطبة ، وولي بها الصلاة والخطبة .[70] .

66 ـ أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن مخلد الغرناطي ، فقيه مشاور ، عريق في المجد والنباهة ، (ت 573 هـ)[71] .

---

(65) التكملة : 233 ، شجرة النور : 151 .

(66) التكملة : 235، شجرة النور : 151 .

(67) التكملة : 849 .

(68) التكملة : 390 .

(69) التكملة : 370 .

(70) المعجم : 187 .

(71) شجرة النور : 150 .

67 ـ أبو جعفر أحمد بن الحسن بن محمد القشيري ، من أهل قرطبة ، ويعرف بابن صاحب الصلاة ، كان من أهل الحديث والإتقان[72].

68 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المجاهد ، من أهل إشبيلية ، لازم أبا بكر بن العربي مدة ، ثم تخلف عنــه لاتصاله بالسلطان ـ كما أشرت إلى ذلك سابقاً؛ وكان ابن المجاهد ممن يشار إليه في وقته بالصلاح والورع والعبادة ، مع الحفظ الوافر للفقه والقراءات وغير ذلك، (ت 574 هـ)[73] .

69 ـ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن القيسي ، من أهل مرسية ورئيسها ، أجاز له ابن العربي ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية وإدراكه بقراءته، (ت 574 هـ)[74].

70 ـ أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، من أهل إشبيلية ، لازم ابن العربي وسمع منه كثيراً ، وأشرنا سابقاً إلى أنه أخذ عنه ما ينيف على (125) كتاباً ، أوردها بأسانيدها في فهرسته .

وكان مقرئاً مجوداً ضابطاً ، محدثاً جليلاً ، متفنناً أديباً ، نحوياً لغوياً ، واسع المعرفة، (ت 575 هـ)[75] .

71 ـ أبو عبد الله محمد بن عياض اليحصبي السبتي ، دخل الأندلس وسمع من ابن العربي ، وأجاز له ، تولى قضاء دانية وغرناطة ، وكان من الفقهاء النبهاء . (ت 575 هـ)[76] .

72 ـ أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عذرة الأنصاري ، من أهل

---

(72) التكملة : 1/74 ط مصر .

(73) التكملة : 240.

(74) التكملة : 238، شجرة النور : 152.

(75) التكملة : 240، الديباج : 289.

(76) التكملة : 371.

الجزيرة الخضراء ، كان فقيهاً مشاوراً ؛ تولى قضاء بلده وقضاء سبتة، (ت 576 هـ)[77] .

73 ـ أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي ، من أهل غرناطة ، ويعرف بابن القصير؛ وكان وجيهاً في بلده ، بضاعته الحديث ، كثير العناية بالرواية، (ت576 هـ)[78] .

74 ـ أبو محمد عبد الله بن مغيث الأنصاري من أهل قرطبة ، يعرف بابن الصفار، ولي قضاء الجماعات بقرطبة، (ت 576 هـ)[79] .

75 ـ أبو القاسم بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري من أهل قرطبة ، كان متسع الرواية ، شديد العناية بها ، ومر أن ابن العربي ولاه قضاء بعض الجهات بإشبيلية (ت 578 هـ)[80] .

76 ـ أبو الحسن محمد بن عبد العزيز الغافقي ويعرف بالشتوري ، من أهل قرطبة ؛ كان حافظاً لأخبار الأندلس ، معنياً بصناعة الحديث ، رحالة في سماعه ، مميزاً لرجاله ، بصيراً بطرقه ، حافظاً متقناً لهذا الشأن ؛ ولي قضاء شقورة بلده، (ت 579 هـ)[81] .

77 ـ أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم العبدري ، المعروف بالثغري ، يروي عن ابن العربي ، قال ابن الآبار : وروايته عنه صحيحة، (ت 579 هـ)[82] .

78 ـ أبو الحسن سليمان بن أحمد بن اللخمي الإشبيلي ، سمع من أبي

---

(77) التكملة : 656، شجرة النور : 153 ، وفي الديباج أنه توفي سنة (596) ـ ولعله تحريف.

(78) التكملة : 228.

(79) المعجم : 221 ، شجرة النور : 154.

(80) التكملة: 487، شجرة النور : 154.

(81) التكملة : 55 - 58 .

(82) التكملة : 246 .

بكر بن العربي صحيح مسلم ، وكان مقرئاً نحوياً ، ضابطاً مجوداً[83] .

79 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي من أهل مالقة ، كف بصره ـ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان من أهل الرواية والدراية ، عالماً بالقراءات واللغات وضروب الآداب ، حافظاً للسير والأخبار والأنساب، (ت 581 هـ)[84] .

80 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، ويعرف بابن اليتيم؛ أجاز له ابن العربي ، وكان حافظاً حافلاً ، عارفاً بالقراءات ، مشاركاً في الحديث والعربية، (ت 581 هـ)[85] .

81 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن أيوب بن تمام الأنصاري ، من أهل مالقة ؛ كان عالماً بالعربية واللغة والآداب ، وكانت له مشاركة في الفقة والحديث . (ت 581 هـ)[86] .

82 ـ أبو عبد الله محمد بن جعفر الأموي ، من أهل بلنسية ، تولى قضاء بلده (ت 581 هـ)[87] .

83 ـ أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن أبي العافية الأزدي ، من أهل غرناطة ، ويعرف بالكتندي ؛ كان أديباً ، كاتباً شاعراً، (ت نحو 583 هـ)[88] .

84 ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الشريشي ، ويعرف بابن لبال ولي قضاء بلده ، وكان من أهل الورع والعدالة ، (ت 583 هـ)[89] .

---

(83) التكملة : 706، غاية النهاية 311/1 .

(84) التكملة : 570 ، وفي البغية ص : 304 ـ أن وفاته كانت سنة (ت 583) ، ومثله للمقري 401/4 .

(85) التكملة : 673 ، وانظر غاية النهاية 121/3 .

(86) التكملة : 572، بغية الوعاة : 65 .

(87) التكملة : 255 .

(88) التكملة : 252، بغية الوعاة: 65 .

(89) التكملة : 683 .

85 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حبيش ، من أهل المرية ؛ رحل إلى قرطبة فسمع بها من أبي بكر بن العربي ـ أيام انتقاله إليها بعد نكبة القضاء ـ وكان حظياً لديه ، ينزل معه في بيته ، وقد سمعه يوماً يذكر الانصراف إلى وطنه (المرية)، فقال له : ما هذا القلق ؟ أقم حتى يكون لك في رحلتك عشر سنين كما كان لي ؛ كان عالماً بالقرآن ، إماماً في الحديث ، عارفاً بعلله ، واقفاً على أسماء رواته ونقلته ، مع صحة الضبط والاتقان لما قيده ، والصدق والثقة فيما رواه، (ت 584 هـ)[90].

86 ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز اليحصبي ، من أهل قرطبة ، أجاز له أبو بكر بن العربي ، وكان موصوفاً بالحفظ والمشاركة في الأدب مع العبادة والتواضع (ت 584 هـ)[91] .

87 ـ أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشقري ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن أبي ، كان شيخاً جليلاً ، معنياً بصناعة الحديث وروايته ، حدث الناس عنه وولي القضاء باستجة، (ت 585 هـ)[92].

88 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري من أهل قرطبة ، ويعرف بالشراط ، كان عارفاً بالقراءات وطرقها ، رأساً في تجويدها وإتقانها ، أسمع الحديث ، وعلم بالعربية والأدب، (ت 586 هـ)[93].

89 ـ أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيي بن الجد ، الفقيه الحافظ المستبحر، من أهل إشبيلية ؛ سمع على ابن العربي جامع الترمذي وقدم للشورى مع أبي بكر بن العربي ونظرائه من الفقهاء سنة (521 هـ) ، وتمادى

---

(90) بغية الملتمس : 340 ، التكملة : 573 ، غـاية النهاية 1/378.

(91) التكملة : 252.

(92) التكملة : 576.

(93)التكملة : 577 ، غاية النهاية 1/379.

على ذلك نيفاً وستين سنة في ازدياد سمو الرتبة واطراد تمكن الحظوة لدى الملوك . (ت 586 هـ)[94].

90 ـ أبو عبد الله محمد بن مالك الغافقي ، من أهل مرسية ، ويعرف بالمولى ؛ لقي أبا بكر بن العربي وسمع منه مسلسلاته ؛ وكل روايته عنه .

كان فقيهاً على مذهب مالك ، بصيراً به ؛ ولي قضاء بعض الجهات الشرقية، (ت 586 هـ)[95] .

91 ـ أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي من أهل شاطبة ، بقية مشيخة الكتاب ، وجلة الأدباء المشهورين في الأندلس ، مع الثقة وصدق اللهجة، (ت 587 هـ)[96] .

92 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف الحوفي ، من أهل إشبيلية ؛ ولي قضاء بلده مرتين ، وكان حسن السيرة ، شديد البأس على أهل الشر والذعارة (ت 588 هـ)[97] .

93 ـ أبو عمران موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري سكن تدلس ـ عمل بجاية ، رحل إلى الأندلس فسمع من أبي بكر بن العربي في سنة (535 هـ) . عني بالرواية أتم عناية ، لكنه كان عديم الضبط ، وقد أخذ الناس عنه، (ت 580 هـ)[98] .

94 ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسعود التجيبي من أهل إشبيلية ، كان من أصحاب ابن العربي ومختصاً به ، وكان يجلس لعقد الشروط في الجانب الشرقي في جامع إشبيلية[99] .

(94) البغية : 188 ، التكملة : 258.

(95) التكملة : 260 .

(96) المعجم : 254 ، زاد المسافر : 37.

(97) التكملة 1/87 ـ طبع مصر .

(98) التكملة : 378.

(99) التكملة : 492.

95 ـ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سابق ، من أهل إشبيلية ، كان موصوفاً بالفضل والصلاح[100] .

96 ـ أبو محمد عبد الله بن خلف المحاربي ، حدث الناس عنه ووصفوه بالصلاح[101] .

97 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن بونة العبدري من أهل مالقة ، ويعرف بابن البيطار؛ سمع من ابن العربي ، وأجاز له مؤلفاته ، (ت 590 هـ)[102] .

98 ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري من أهل مالقة ، ويعرف بابن الفخار ؛ سمع من ابن العربي واكثر عنه واختص به ، وكان صدراً في حفاظ أهل الأندلس ، مقدماً في ذلك ، معروفاً بسرد المتون والأسانيد ؛ مع معرفته بالرجل وذكر الغريب ، استدعي لحضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه، (ت 590 هـ)[103] .

99 ـ أبو الوليد زكرياء بن عمر بن أحمد الأنصاري، من أهل قرطبة؛ يروي عن ابن العربي ، وكان ذا حظ من الفقه والأدب ، (ت 590 هـ)[104] .

100 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد السلمي ، ويعرف بابن عروس ، كان من أهل التجويد والضبط والثقة ، مع الفضل والصلاح، (ت 590 هـ)[105] .

101 ـ أبو بكر يحيي بن عبد الجبار المالقي المعروف بالأبار، ولي قضاء

---

(100) التكملة 87/1 ط مصر .

(101) التكملة : 493.

(102) التكملة : 262.

(103) بغية الملتمس : 46 ، التكملة : 63 ، تذكرة الحفاظ : 1355 .

(104) التكملة : 72.

(105) التكملة : 263 ، غاية النهاية 81/2 .

بلده ، وكان جزلاً في أحكامه ، مهيباً ورعاً ، فقيهاً بصيراً بالشروط، (ت 590 هـ)[106] .

102 ـ أبو الحسن نجبة بن يحيى بن نجبة الرعيني ، من أهل إشبيلية ، وكان إماماً في العربية والقراءات ، مقدماً في ذلك مع المشاركة في الحديث (ت 591 هـ)[107] .

103 ـ أبو محمد عبيد الله بن محمد بن علي الحجري ، لقي ابن العربي بقرطبة وسمع منه، وجل روايته عنه، ويقال إنه قرأ عليه أكثر من مائة كتاب؛ استوطن سبتة، وشدت الرحالة إليه، (ت 591 هـ)[108].

104 ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فليح القصري ـ (نسبة إلى قصر عبد الكريم) ـ بشمال المغرب ، رحل إلى الأندلس فسمع من ابن العربي وجماعة من الشيوخ؛ ولي قضاء بلده ، وكان حياً سنة (591 هـ)[109].

105 ـ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرس الأنصاري ، من أهل غرناطة ، فقيه مشاور ، مع المشاركة في القراءات وعلوم الحديث، (ت 592 هـ)[110].

106 ـ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي ، من أهل قرطبة ، سمع من ابن العربي بإشبيلية بعد سماعه منه بقرطبة ؛ كان من أئمة العربية ، مع مشاركة في فنون جمة، (ت 592 هـ)[111].

107 ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي من أهل إشبيلية ،

---

(106) التكملة : 726.

(107) التكملة : 423، غاية النهاية 2/334.

(108) البغية : 325، التكملة : 494 - 497، شذرات الذهب 307/4.

(109) التكملة : 529.

(110) التكملة : 156، غاية النهاية 1/471.

(111) التكملة : 1/89 ط مصر ، جذوة الاقتباس : 71 ، بغية الوعاة : 139.

كان رجلاً صالحاً فاضلاً، (ت 592 هـ)[112].

108 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني ويعرف بابن قرقول ، كان رحالة في طلب العلم، حريصاً على لقاء الشيوخ ، فقيهاً نظاراً ، أديباً حافظاً ، بصيراً بالحديث ورجاله، (ت 596 هـ)[113].

109 ـ أبو القاسم محمد بن علي الهمداني ، من أهل وادي آش ، ويعرف بابن البراق ، كتب إليه أبو بكر بن العربي ، وكان محدثاً ضابطاً ، أديباً ماهراً ، مشاركاً متفنناً في معارف شتى، (ت 596 هـ)[114].

110 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنصاري ، المعروف بابن بداوة ، سمع من أبي بكر المسلسلات من جمعه ، وكان من أبرع الناس خطاً ، وأجودهم ضبطاً، (ت 598 هـ)[115].

111 ـ أبو الحسن علي بن عتيق القرطبي ، شيوخه ينيفون على (150) شيخاً، وكان بصيراً بالقرآن والحديث، (ت 598 هـ)[116].

112 ـ أبو العباس يحيي بن عبد الرحمن بن عيسى القرطبي ، ويعرف بالمجريطي ؛ ولي قضاء جيان ومرسية وغرناطة ، ثم قرطبة ، وكان معدوداً في رجالها ، وذوي النباهة فيها ، مع الجزالة والعدالة وإيثار الحق، (ت 598 هـ)[117].

113 ـ أبو الحسن عقيل بن محمد بن أحمد الخولاني الباجي، ويعرف بابن

---

(112) التكملة : 498.

(113) الذيل والتكملة : 177/4 ، جذوة الاقتباس 86 ، الرسالة المستطرفة 118 .

(114) البغية : 103 ، التكملة : 271 ، زاد المسافر : 109.

(115) التكملة : 275 ، الذيل والتكملة : 159/6.

(116) التكملة : 274 .

(117) التكملة : 726.

العقل ، تصدر للإقراء بشلب وخطب بها[118] .

114 ـ أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن فرج بن الزهري بن العطار الأودي ، من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ، وكان شديد العناية بلقاء الشيوخ والرواية عنهم .[119]

115 ـ أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن مفرج بن سعادة ، من أهل إشبيلية نزل تلمسان ، سمع من ابن العربي ، وأجاز له مؤلفاته ، كان مقرئاً فاضلاً محدثاً ضابطاً، (ت 600 هـ)[120] .

116 ـ أبو علي الحسن بن علي بن خلف الأموي من أهل قرطبة ، سكن إشبيلية ، وكان ميالا إلى الأدب ، خطب ببعض جهات إشبيلية (ت 602 هـ)[121] .

117 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الغماري ، من أهل الجزيرة الخضراء ، وأصله من بلاد غمارة بشمال المغرب ؛ روى عن أبي بكر بن العربي واستظهر عليه موطأ مالك وأجاز له ، وكان من حفاظ أهل العلم والعمل ؛ كف بصره وهو ابن اثنتي عشرة سنة، حدث الناس عنه، وسمعوا عليه الموطأ بلفظه ، وكان يوردها من حفظه ويقول : هكذا كنت أعرضه على أبي بكر بن العربي . توفي سنة اثنتين أو ثلاث وستمائة[122] .

118 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن مقدام الرعيني من أهل إشبيلية، كان من الأدب والزهد بمكان ، أخذ الناس عنه كثيراً، (ت 604 هـ)[123] .

---

(118) التكملة : 694.

(119) الذيل والتكملة : 4/181 ـ 182 .

(120) التكملة : 284.

(121) التكملة : 20.

(122) التكملة : 581.

(123) غاية النهاية : 1/104 ، شذرات الذهب 5/12.

119 ـ ولعل آخر من حدث بالسماع عن ابن العربي ، أبو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمن بن حسنون الحميري الكتامي ؛ من أهل بياسة ، تولى قضاء بلده ، وكان صاحب الصلاة والخطبة بها ؛ تصدر للإقراء والسماع حياته كلها ، وكان مقرئاً جليلاً ، ماهراً ضابطاً مجوداً ، عالي الرواية ، عمر وأسن حتى ضعف عن الكتابة، (ت 604 هـ)[124] .

120 ـ وآخر من حدث عنه بالإجازة ، أبو الحسن علي بن أحمد بن عيسى الغافقي الشقوري نزيل قرطبة ، أجاز له ابن العربي سنة (539 هـ) رحل الناس للأخذ عنه لعلو سنده . وكان ثقة صالحاً، (ت 616 هـ)[125] .

121 ـ أبو يوسف يعقوب بن عبد السلام القرشي الزهري راوي عارضة الأحوذي وعليها سماعه سنة (540 هـ)[126] .

وقد ألف ابن الأبار معجماً في أصحاب ابن العربي على غرار معجمه في أصحاب الصدفي ، والأسف أن هذا المعجم يعتبر مفقوداً إلى الآن .

ومهما يكن ، فإن هذه الجمهرة من مشاهير تلاميذه ، والوفرة الكاثرة من أصحابه ؛ تدلنا على مدى سعة شهرته في الآفاق ، وبعد مكانته العلمية التي شرقت وغربت ؛ مما أثار ضغينة الحاقدين والقاصرين عليه، وكأني به ـ وهو يردد مع أبي الطيب المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

شهرة ابن العربي وخصومه :

لم يمض قليل على عودة ابن العربي إلى وطنه حتى تألق نجمه ، وذاع صيته ، وغطى على كثير من مشيخة عصره؛ مما دفع ببعض منافسيه إلى النيل

---

(124) التكملة : 289 ، شجرة النور : 136 .

(125) التكملة : 677 ، شجرة النور : 136 .

(126) انظر ج 340/13 ـ ط دار العلم للجميع .

منه ، والحط من قدره ؛ فنفروا الناس من الأخذ عنـه والسماع عليه ، ورموه بالتزيد والإغراب في أحاديثه ورواياته[127] .

دخل ابو محمد التادلي إلى الأندلس للأخذ عن مشايخها ، فهم بالسماع من ابن العربي ، فصده الفقهاء عنه وأحالوه على أبي بكر بن طاهر راوية أبي علي الغساني ، قال ابن الأبار: وما أراه سمع منه ؛ فصحب عياضاً، ولقي أبا القاسم بن بشكوال ـ وهما من تلاميذ ابن العربي[128] .

ويذكر ابن مسدي في معجمه عن الحافظ ابن الجد وغيره ـ أن فقهاء إشبيلية حضروا يوماً بمجلس ـ وفيهم ابو بكر بن المرخي ، وكان ممن حضر معهم أبو بكر بن العربي ، فتذاكروا حديث المغفر ، فقال ابن المرخي : لا يعرف إلا من حديث مالك عن الزهري ؛ فقال ابن العربي : قد رويته من ثلاث عشرة طريقاً غير طريـق مالك . فقالوا : أفدنا هذا ، فوعدهم فلم يأت بشيء ؛ فأقاموا الدنيا وأقعدوها ، حتى قال قائلهم في ذلك أبياتاً كلها إفك وبهتان[129] .

وقد ذهب الناس في هذه القصة مذاهب شتى ، فمنهم من أنكرها من أصـلها وفي مقدمتهم الحافظ بن مسدي .

ومنهم من أثبتهـا ، وحـاول الـدفـاع عن ابن العربـي ؛ ومن بـين هؤلاء الحـافظ الذهبي ، فقد ذكر أن القصة ساذجة ، لا تدل على جرح صحيح ، والشعراء يخلقون الإفـك! قال : ولعل القاضي ابن العربي وهم ، وسرى فكره إلى حديث فظنه هذا ؟

وظلت قصة ابن العربي مع فقهاء إشبيلية لغزاً مغلقاً ، لم يهتد أحد إلى

---

(127) انظر الغنية: 135 .

(128) انظر التكملة 2 /921 ـ ط مصر .

(129) أوردها الذهبي في التذكرة 1297/4 ، والزرقاني في شرحه على الموطا 327/2.

وجه الصواب فيها ، حتى جاء الحافظ ابن حجر فأثبت أن القصة صحيحة ، وراويها عدل ثبت ، وأن ابن العربي لم يهم ولم يعجز ، وإنما الواهم العاجز أؤلئك الذين خطأوه لجهلهم ، وإنما ضن بإفادتهم ، لإنكارهم وتعنتهم ، وأورد ابن حجر الطرق الثلاث عشرة التي ذكرها ابن العربي وزاد عليها[130] .

ومن ألد خصوم ابن العربي أبو بكر الزنجاني ، فقد كان لا يجد فرصة للطعن عليه إلا اهتبلها، وبنى قبة من حبة؛ اتفق ذات يوم أن حضر الناس إلى الجمعة بالجامع الأعظم بإشبيلية ، فتغيب الخطيب لعذر قاهر ، فلم يكن بد من ان يقوم للصلاة قاضي البلد ـ وهو ـ إذ ذاك ـ أبو بكر بن العربي ؛ وعندما سكت المؤذن ، قام ليخطب ـ وهو الخطيب المصقع ـ فلم يجد حرفاً من الخطبة ؛ فارتج عليه ، فقال : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله فقالوها ؛ فقال: روينا عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: إذا قال العبد: لا إله إلا الله، اهتز عمود من نور ـ الحديث . ثم تلا آية الكرسي ـ إلى عليم ، وقال : روينا عن عكرمة وابن عباس أنهما قالا : العروة الوثقى : لا إله إلا الله . ثم قرأ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ ـ الآية .

وقال : اذكروا الله يذكركم ، فأقيمت الصلاة فصلى .

وما إن انتهى الناس من صلاتهم ، حتى وقف الزنجاني وقال : يا أهل هذا المسجد ، أعيدوا صلاتكم . ولكن أبا بكر بن الجد قام على الإثر ، فرد عليه وقال : يا أهل إشبيلية ، إن صلاتكم صحيحة ، وجمعتكم عاملة ؛ وان خطبة إمامكم تضمنت آيات من كتاب الله ، وجملاً من حديث رسول الله ، وأي كلام له بال أعظم من هذين ؟ فانصرف الناس عن جمعة[131] .

وقد حملته خصومته لابن العربي على التوجه إلى مراكش ، وتحمل أعباء السفر للسعاية به ، والمطالبة بتنحيته من منصب القضاء ؛ وظل يتردد على

---

(130) انظر الفتح 4/430.

(131) انظر بغية الملتمس ص 87 - 88 .

البلاط التاشفيني حتى أدركه أجله ـ غريباً عن أهله سنة (529 هـ) ، ثم سيق إلى إشبيلية ودفن بها[132] .

ولم يكن الزنجاني وحده في الميدان ، فقد كان هناك خصوم كثيرون يعملون في الخفاء ؛ فلم يلبث أن أثاروا عليه الغوغاء ، فهاجموه في عقر داره ، وكادوا يفتكون به ـ لولا أن تستر بحريمه ـ كما أومأت إلى ذلك سابقاً .

وكان أبو بكر بن العربي كثيراً ما يرفع عقيرته بالشكوى من حاسديه ، والمتربصين به : (. . إلا أني منيت بحسدة لا يفتئون ، ومبتدعة لا يفهمون ، قد قعدوا مني مزجر الكلب يبصبصون ، والله أعلم بما يتربصون)[133] .

وقد قيل يشقى الحاسدون بسعيهم
ألا إنما المحسود أشقى وأنصب
يريد بي الأعداء ما الله دافع
وفيض المعالي والجلال المهذب
ودون الذي يبغون علم يحفه
خلال لها في المجد سبل ومكسب
وباذل محض الود شيء سمعته
كما جاء في الأخبار عنقاء مغرب[134]

وهكذا عاش ابن العربي غريباً بين قومه ، يشكو الوحشة وهو في أهله وعشيرته : (ثم قدر الله أن عدت إلى مسقط رأسي ، فذهب أنسي ؛ وصرت غريباً بين قومي ، وقد كنت عريفاً بين الغرباء ، رفيعاً شهيراً ، موصولاً ممدحاً مقبولاً ، وذلك لفساد النيات ، وقلة الإنصاف ، واعتقاد المنافسة ، ونبذ التواضع للشرف ، والعناد للحق :

---

(132) انظر الصلة : 549 .

(133) انظر العارضة 3/1 .

(134) انظر بغية الملتمس : 85 .

ألـيس غـريـبـاً أن نـؤمل طـاعـة
ونـدعـو إلـيـهـا والـزمـان مـبـاعـد
وأنـت مـعـنى لا سـلو ولا أسـى
تـكـذبـك الـعـاوون واش وحـاسـد
غـريـب عـن الإخـوان في كـل فـرقـة
إذا عـظم المـطلوب قـل المـسـاعـد[135]

(ولو وسعتني الأرض ، لخرجت فيها ، لكن الفساد قد غلب عليها ، ففي كل واد بنو نحس)[136] .

أسرة ابن العربي :

أشرت في صدر هذا البحث إلى أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن العربي ، كان من وجهاء علماء إشبيلية، ومن أعيانها البارزين ؛ وزر للمعتمد بن عباد ، وكان من أهل الآداب الواسعة ، والتفنن والبراعة ، رحل مع ولده إلى المشرق ، وكان بيته منتدى للعلماء والأدباء ، وإليه يرجع الفضل فيما حصله أبو بكر من علوم ومعارف ، وما تهيأ له من لقاء الأكابر وفطاحل المشايخ ؛ وظل إلى جانبه يشد أزره، ويؤنسه في الوحدة : (.. أب في الرتبة ، وأخ في الصحبة ؛ يستعين ويعين ، ويسقي من النصيحة بماء معين..) [137] ، ويفسح له المجال للمجد والسؤدد ـ إلى أن أدركته الوفاة بالاسكندرية ـ وهو في طريقه إلى المغرب سنة (493 هـ). وأمه كريمة أبي حفص الهوزني ، فقد نعمت برؤيته بعد غياب طويل : (فإنه لم يرجعني إلا حق الوالدة)[138] . وجده أبو حفص عمر بن حسن الهوزني هذا، من كبار أئمة علماء الأندلس ومجتهديهم وهو الذي أدخل جامع الترمذي إلى الأندلس،

(135) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص).
(136) انظر الأحكام 417/1.
(137) شواهد الجلة (27 ـ أ).
(138) سراج المهتدين (مخطوط خاص) .

زاحم المعتضد بن عباد في الرئاسة، ففتك به، وقتله بيده، وهيل عليه التراب في قصره، (ت 460 هـ). وخاله أبو القاسم الحسن بن أبي حفص الهوزني، العالم الأديب، والفقيه المشاور؛ كانت له صلة وثيقة بالمرابطين، وهو الذي حرض يوسف بن تاشفين على الإطاحة بدولة بني عباد ـ أخذاً بثأر والده. (ت 512 هـ).

وحفيد خاله أبو الحسن علي بن عمر بن أبي القاسم الهوزني : الأديب الشاعر ، سنذكره في الوفد الإشبيلي الذي قدم البيعة لعبد المومن ، خدم أبا يعقوب وولده المنصور ، وكان كاتباً مجيداً ، وشاعراً متفنناً[139] .

أنجب أبو بكر بن العربي جملة أولاد، منهم:

1 ـ أبو محمد عبد الله ، وقد تحدثت عنه في جملة تلاميذه الذين توفوا قبله .

2 ـ أبو الحسن عبد الرحمن ، سمع أباه وشريح بن محمد ، ويروي عن أبي محمد بن عتاب ، وأبي الحسن بن مغيث ؛ وسمع الحديث المسلسل في الأخذ باليد من أبي محمد بن أيوب الشاطبي، وكان له اعتناء بالعلم ومداومة عليه؛ قال ابن الأبار: (. . إنه لم يبلغ مبلغ التحديث ـ فيما أحسب[140]) - ولذا لم أذكره في المشاهير من تلاميذه .

3 ـ أحمد ـ ذكرته بعض المصادر عرضاً[141] ولعله لم يكن له حظ من المعرفة .

ومن حفائده :

ــ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن العربي ، وأسماه في

---

(139) انظر المغرب 240/1، والمعجب : 176.

(140) انظر التكملة : 564، والمعجب : 221.

(141) انظر التكملة 603/2 ط مصر، والاتحاف 458/5.

النفح حفيد القاضي ابن العربي ، رحل إلى المشرق ، وجاور بالحرمين الشريفين ، وحج سبع حجج ؛ كان من الفضل والدين والتواضع ولين الجانب بمكان، (ت 617 هـ)[142].

ـ أبو الحسن علي بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحافظ أبي بكر بن العربي ـ كذا ذكره في الإتحاف، وقال فيه : ميقاتي متقن ، استوطن فاساً مدة ، ثم رحل عنها إلى مكناس ، وأسندت إليه رئاسة التوقيت بمنار الجامع الكبير[143] .

وفي الإعلام لعباس بن إبراهيم 147/4 : محمد الوقاد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري ـ ذكره في جملة من استوطن مراكش؛ وترجم الحضيكي في طبقاته لمحمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد نزيل تارودانت ، والوقادية من البيوتات العلمية الشهيرة بسوس؛ ومن الأسر التي تنتسب إلى ابن العربي ـ الكرامية ، وهي أسرة عريقة في المجد والفضل بسوس[144] ؛ ومن مشاهيرها : سعيد الكرامي السملالي ، وأخوه عبد الرحمن ، ويحيي بن سعيد المذكور[145] ، وسعيد بن سعيد بن داود الكرامي[146] ، وداود بن علي الكرامي السملالي[147] . ومن الأسر الشهيرة بالصحراء ـ المعافرة ، يتصل نسبهم بأبي بكر بن العربي المعافري ، ومنهم العالمة الأديبة خناثة بنت بكار الصحراوية[148] ـ زوج السلطان الأعظم المولى إسماعيل ، وهي التي أمرت ببناء قبر ابن العربي بفاس ـ على ما سنذكره بعد.

---

(142) التكملة : 603/2 ، والنفح 626/2.

(143) انظر ج 458/5.

(144) انظر سوس العالمة للمختار السوسي : 152 .

(145) سوس العالمة : 124.

(146) سوس العالمة : 178.

(147) سوس العالمة : 188، 211.

(148) انظر مجلة «دعوة الحق» س 17 ع 9 ص : 81.

ومن موالي أبي بكر بن العربي ـ أبو الخير بشرى ، من أهل إشبيلية ، يروي عن مولاه أبي بكر ، وحدث فأخذ عنه أبو القاسم محمد بن عامر بن فرقد[149] .

وفادة ابن العربي على عبد المؤمن بن علي :

قدر لابن العربي أن يرى سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين في أول شبابه ، وشاءت له الأقدار أن يشهد انهيار صرح الدولة المرابطية على يد الموحدين ـ في أخريات حياته ؛ وعندما اخذت وفود الأندلس تتهيأ لتقديم البيعة إلى الدولة الجديدة ، بادر وفد إشبيليـة إلى تقديم الولاء والطاعة ـ تحت رئاسة عالمها الأكبر أبي بكر بن العربي ، فحضر إلى مراكش في حدود ذي القعدة عام (542 هـ)[150] ؛ ويتكون الوفد من علماء وأعيان، وفضلاء وأدباء؛ وتذكر بعض المصادر بياناً بأسماء هذا الوفد، وترتبه كما يلي :

القاضي أبو بكر بن العربي ، الخطيب أبو عمر بن الحجاج ، الكاتب أبو بكر بن الجد ، أبو الحسن الزهري ، أبو الحسن بن صاحب الصلاة ، أبو بكر بن الشجرة ، الباجي ، الهوزني ، أبو بكر بن القاضي شريح ، عبد العزيز الصدفي ، ابن السيد ، ابن الزاهر[151] .

وصادف حضور الوفد الإشبيلي إلى مراكش ، انشغال عبد المؤمن بمحاربة محمد بن هود الماسي ، ثم قبائل برغواطة ؛ فانتظروه نحو عام أو أزيد[152] ، وسلموا عليه سلام الجماعة في عيد الأضحى من سنة (542 هـ)[153] ؛ ثم أذن بمقابلتهم ، فتقدموا للسلام عليه ، وألقى أبو بكر بن العربي خطبة بليغة كانت

---

(149) انظر التكملة 226/1 ط مصر .

(150) انظر القرطاس 141/2 ـ طبع الرباط .

(151) انظر الحلل الموشية : 111 .

(152) المصدر السابق .

(153) أنظر المرقبة العليا: 106، والنفح 30/2، وروض القرطاس 141/2، والاستقصاء 105/2 .

محل استحسان من عبد المومن[154] ، وتلاه أبو بكر بن الجد ، فأحسن وأجاد[155] ، ثم قام أبو الحسن بن صاحب الصلاة - خطيباً ناثراً وناظماً ، فأتى بالعجب ، وباهى به أهل الأندلس في ذلك الوقت[156] - وربما كان أصغرهم سناً ؛ ثم قدموا إليه بيعة أهل إشبيلية بخطوطهم ، فشكرهم واستحسن صنيعهم[157] .

سؤال محرج :

وفي أثناء المقابلة ، سأل عبد المومن أبا بكر بن العربي : هل رأى المهدي أو لقيه بمجلس الغزالي ببغداد ؟ وماذا قال له[158] ؟ فكان جواب ابن العربي : أنه لم يلقه ، ولكنه سمع به ، وأن الغزالي قال لا بد أنه سيظهر[159] ! وهو سؤال محرج - وربما كان عبد المومن ينتظر منه أن يقول : إنه لقيه بمجلس الغزالي، ليؤكد الأسطورة التي تقول: إن الغزالي دعا على المرابطين بزوال ملكهم - لما بلغه إحراقهم لكتابه (الإحياء)، وكان ذلك بمحضر المهدي وأنه قال له: إن ذلك سيكون على يده[160]، لكن جواب أبي بكر كان مبهماً وغير مقنع، وكل ما هناك أنه سمع كما سمع الناس وكفى.

ولا أدري كيف يتصور لقاء ابن العربي لابن تومرت بمجلس الغزالي - وابن تومرت لم يسافر إلى المشرق إلا في حدود سنة (500 هـ) أو (501 هـ)، وقد كان ابن العربي عاد إلى وطنه منذ سبع سنوات أو تزيد[161] ؛

---

(154) انظر الاستقصا 2/105 .

(155) انظر الحلل الموشية : 111 .

(156) نفس المصدر .

(157) انظر النفح 3/469 — 470.

(158) انظر الحلل الموشية : 112 .

(159) المصدر السابق .

(160) نفس المصدر .

(161) أورد هذه الأسطورة صاحب نظم الجمان ص 16 ـ 17، وتابعه على ذلك صاحب الحل الموشية ص 86 ـ 87.

والغريب أن يقع في هذا الوهم المقري في النفح[162]، وتابعه على ذلك محب الدين الخطيب في مقدمة[163] (العواصم من القواصم) !

وتضفي بعض المصادر على استقبال عبد المؤمن للوفد الإشبيلي ـ ألواناً من التقدير والتكريم ، فقد قدم لكل واحد من أعضاء الوفد هدايا سنية[163] ، وكتب منشوراً بتحرير أملاكهم[164] .

وفاة ابن العربي :

وعلى مقربة من فاس ، أدركت ابن العربي منيته[165] ، وفي (مغيلة) أو (رأس الماء) لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة يوم الخميس ، لثلاث خلت من ربيع الأول[166] سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (543 هـ)[167] .

وحمل ميتاً على الأعناق إلى فـاس حيث دفن من الغد خارج باب المحـروق بتربة القائد المظفر ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج ؛ رحمه الله رحمة واسعة ، وأعلى مقامه في جنة الخلد .

وقبره مزارة مشهورة[168] بفاس ، بنت عليه قبة حسنة ـ حفيدته خناثة بنت بكر الصحـراويـة جدة الملوك العلويين .

---

(162) انظر ج 2/27 ـ 28 .
(163) انظر ص 19 .
(164) انظر روض القرطاس 141/2، وتاريخ ابن خلدون 186/6، والاستقصاء 115/2، وشجرة النور : 137 .
(165) انظر الاستقصا 104/2 .
(166) الاستقصاء 105/2 .
(167) انظر أنس الفقير : 42 .
(168) انظر الاعلام للمراكشي 3/319

الفصل الرابع

آثاره

مما يدخل في التعريف بابن العربي ـ الحديث عن آثاره ومؤلفاته ، وقد خلف ثروة علمية ضخمة، ولكن ـ يا للأسف ـ قد ضاع معظم هذا التراث، وما بقي منه أكثره لم ير النور بعد .

ويمكن تصنيف مؤلفاته كما يلي :

أ ـ في التفسير وعلوم القرآن :

قسم ابن العربي علوم القرآن إلى أربعة أقسام :

التوحيد ـ الناسخ والمنسوخ ـ الأحكام ـ التذكير[1] ، وفسر كل واحد منها على حدة ، ولعل كتابه الكبير :

1 ـ (أنوار الفجر ، في مجالس الذكر) ـ استوفى كل هذه الأنواع ، وقد ألفه في عشرين سنة، وهو يقع في ثمانين مجلداً ، في كل مجلد ألف ورقة[2]

(1) انظر الأحكام 342/2.

(2) ذكره في القبس مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1916 ـ ك) .

(أي مائة ألف وستين ألف صفحة) . أملاه في مجالسه العامة التي كان يعقدها للتذكير والوعظ[3] ، فكان كلما فرغ من مقدار منه ، تناوله تلاميذه وأصحابه وتناسخوه ، فتفرق بأيدي الناس[4] .

وابن العربي توسع في هذا الكتاب، وأفاض في كثير من أبحاثه وموضوعاته ـ إلى حد أنه أملى في آية ﴿ألهاكم التكاثر﴾ مائة وثمانين مجلساً[5] .

واستوفى القول في آية ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ ـ في عدة مجالس[6] .

وتحدث طويلاً عن آية ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[7] .

ــ وبسط آية ﴿أو جاؤ وكم حصرت صدورهم﴾ ـ بسطاً كبيراً ـ في نحو مائة ورقة[8] .

ــ وتعرض لآية ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ ـ من ستة وجوه[9] .

ــ ومن الموضوعات التي أفاض القول فيها، خصائصه ـ ﷺ ـ ومعجزاته، وأنهاها إلى ألف معجزة[10] .

وظل كتاب أنوار الفجر موجوداً بالمكتبات المغربية إلى حدود أوائل القرن الثامن الهجري، ويذكر الشيخ يوسف الحزام المغربي ـ أنه رآه في خزانة

---

(3) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص).
(4) انظر مقدمة العواصم من القواصم لمحب الدين الخطيب ص 27.
(5) انظر الأحكام 2/333.
(6)انظر العارضة 12/105 ، وج 13/93.
(7) العارضة 13/93.
(8) الأحكام 1/195.
(9) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص) .
(10) العارضة 2/293، و12/175 ، و 13/152.

السلطان أبي عنان المريني بمدينة مراكش، وكان يخدم السلطان في حزم كتبه ورفعها، فعد أسفـاره فبلغت ثمانين سفرا[11].

ويذهب أبو العباس الصومعي في كتابه: (أخبار أبي يعزى)[12] إلى أن كتاب (أنوار الفجر) قد تلف في حياة مؤلفه، وتابعه على ذلك ـ أبو العباس بن عجيبة في تفسيره الكبير على الفاتحة[13]. ـ بينما الكوثري عندما تحدث في مقالاته عن أنوار الفجر قال: (والمعروف أنه موجود ببلادنا ـ يعني تركيا ـ: إلا أني لم أظفر به ـ مع طول بحثي عنه)[14].

2 ـ وتذكر فهارس الأسكوريال، والقرويين، أن هناك بعض أجزاء من تفسير القاضي أبي بكر بن العربي الذي يحمل عنوان: (القانون في التفسير)، وهو غير قانون التأويل، ولم يمكني ـ إلى الآن ـ الاطلاع عليها، وعسى الأيام تكشف عن هذا الكنز الثمين.

3 ـ صنوه (قانون التأويل)، أملاه سنة (531 هـ)[15]! وقد أخطأت عين الزمان بعض نسخه ـ والكتاب فريد في بابه، مهد له مؤلفه بمقدمة طويلة، لخص فيها رحلته إلى بلاد المشرق التي أسماها (ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة) ويبدو أنها ضاعت منه[16]، فأراد أن يثبت خلاصتها في صدر هذا الكتاب. [17]

ويذكر من الدواعي التي دفعته إلى تأليفه، أن بعض الذين كانوا يسمعون عنه في مجالس «أنوار الفجر» ـ نكتاً تتصل بموضوع قانون التأويل في القرآن،

---

(11) انظر الديباج لابن فرحون ص 283.

(12) مخطوط خاص.

(13) مخطوط خاص.

(14) انظر مقالات الكوثري ص 402.

(15) العارضة 11/49.

(16) قانون التأويل (مخطوطة خاصة) ورقة (أ ـ ب).

(17) وقد جردته وألحقته بهذه الدراسة.

ألحوا عليه في تأليف كتاب في هذا الباب، فاعتذر إليهم فما أعذروه: (. . إلى من صرفت إليه رغبته، واستمرت عليه عزيمته؛ في تحرير مجموع في علوم القرآن، يكون مفتاحاً للبيان؛ ويشير إلى الممكن من قانون في التأويل لعلوم التنزيل، يرشد المبتدي إلى ضالة الطلاب، ويفتح على المنتهي ما ارتج من الأبواب. .)[18].

ومن المصادر التي اعتمدها:

تفسير الثعلبي ـ تلخيصه للطرطوشي، كتاب الماوردي، مختصر الطبري، كتاب ابن فورك، كتاب النقاش، كتاب «المحيط» لعبد الجبار، تفسير الرماني ـ إلى مصادر أخرى عامة وخاصة[19].

والمؤلف بنى كتابه «قانون التأويل» على أساسين اثنين، هما:

1 ـ معرفة النفس ﴿وفي أنفسكم، أفلا تبصرون﴾[20].
2 ـ معرفة الرب «ومن عرف نفسه، عرف ربه»[21].

وهنا يورد آية ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ ـ إلى ﴿لم تمسسه نار﴾ ـ كنموذج تطبيقي في الموضوع، فيذكر أنها آية كريمة، وعلى مرتبة من العلم عظيمة؛ ضربها الله مثلاً للعلم والإيمان، كما ضرب للجهل والكفر مثلاً ما بعدها في قوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ ـ إلى ﴿فما له من نور﴾[22].

وبعد أن يحلل الآيتين تحليلاً دقيقاً، ويضرب لذلك الأمثال؛ ـ يأتي بما يعضده من شواهد السنة والآثار، ويزيد المعنى وضوحاً وجلاء؛ ومع كل هذا، فهو لا يكتفي من القارىء بتلك الصبابة التي ربما لا تروي غلته، بل يحيله على

---

(18) قانون التأويل (ورقة 1 ـ أ).
(19) قانون التأويل (11 ـ ب).
(20) قانون التأويل (13 ـ أ).
(21) نفس المصدر.
(22) قانون التأويل (23 ـ ب).

ذلك البحر الطامي الذي لا تعرف حدوده، ولا تدرك أعماقه: (وقد مهدنا لكم في سبيل هذه الآية - في إملاء (أنوار الفجر) - ما تستدلون به على أساليب كثيرة من الكلام في علوم القرآن، ووراء هذا وجوه من التأويل في الظاهر ومعاني الباطن؛ وهذا وسط منها في الحالين، فخذوا هذا دستوراً، واتخذوه قانوناً)[23].

ثم يذكر أقسام النفس الثلاثة: الأمارة، اللوامة، المطمئنة؛ ويشرح وظيفة كل منها، وما قد يحدث بين النفس والجسد من المنازعات؛ ويشير إلى الآيات الواردة في النفس والقلب والجوارح، ويذكر وجوهاً من التأويل؛ وهنا يهاجم الفلاسفة والصوفية في تعريفاتهم للروح، وكلاهما يحلق على مذهب الحلولية الذي يلتقي مع مذهب النصارى في اعتقادهم في عيسى[24].

ويعجب ابن العربي من الغزالي الذي حكى هذا القول، وشاركهم الرأي بأن الروح حادث يفنى كما يفنى الجسد؛ وهو إلى ذلك لا يشاطر أستاذه القول بأن الروح جوهر، بل المختار - عنده - أنه عرض لا جوهر، ووصف غير موصوف[25].

ثم يدخل إلى صميم الموضوع، فيفصل القول في علوم القرآن وأنواعها، ومختلف ضروبها؛ فيذكر في ذلك عدة تقسيمات، منها انقسامه إلى علم ظاهر، وعلم باطن؛ ويبادر إلى القول بأن هذا العلم - أعني علم الباطن - قد ضلت فيه أمم، وزلت به أقدام[26]؛ وفي هذا الصدد يذكر أن بعض أصحابه - من السالكين - سأله عن الحكمة في قوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر، فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾: فأضاف الضر إلى المس،

---

(23) قانون التأيل (25 - أ).
(24) قانون التأويل (28 - 33 - ب).
(25) قانون التأويل (34 - ب).
(26) قانون التأويل (40 - أ، 42 - ب).

والخير إلى الإرادة؛ فأجابه جواباً ضافياً، وأطال في شرح ذلك[27]؛ وتحدث ابن العربي عن التفسير الإشاري للصوفية، وينوه بكتاب اللطائف والإشارات للقشيري ـ على ما فيه من تمحل لبعض مقاصد الصوفية[28].

ومما يدخل في الباطن ـ علم الحروف المتقطعة في أوائل السور، ولابن العربي تفسير حسن في هذا الباب، ويرى أن لو كان الأمر مما ينال بالاجتهاد، ويجري بالظن، لقال فيه بقول من قال: إنها إشارة إلى تعجيز العرب[29]؛ ثم يذكر دور الاجتهاد في علوم القرآن، ويقسم العلوم إلى ضرورية ونظرية، وما فيه تكليف، وما ليس فيه تكليف؛ وما يكتفي فيه بالظن، وما لا بد فيه من القطع الجازم؛ وما دليله العقل، وما لا سبيل إلى معرفته إلا بالنقل الشرعي أو اللغوي[30].

ومن العلم النظري: معرفة الله وصفاته وأفعاله، والمعاد، وأحوال الآخرة؛ وهذا مما يبحث في أصول الدين، ومن العلم العملي ما يتصل بأحوال المكلفين فيرجع فيه إلى أصول الفقه[31].

والأنسب ـ في نظر ابن العربي ـ أن تقسم علوم القرآن إلى ثلاثة أقسام: توحيد، تذكير، أحكام ـ وهو الذي أشار إليه في أكثر كتبه[32].

4 ـ ثم هناك منبع آخر ثرٌّ يحيلنا عليه المؤلف كثيراً في باب التأويل[33]، وهو كتاب المشكلين ـ يعني مشكل القرآن، ومشكل السنة، وهذا الكتاب لم يقدر لنا أن نقف عليه، ولا يزال في ذمة التاريخ.

---

(27) قانون التأويل (41 ـ أ).

(28) قانون التأويل (43 ـ ب).

(29) نفس المصدر.

(30) قانون التأويل (44 ـ أ).

(31) قانون التأويل (44 ـ ب).

(32) قانون التأويل (48 ـ ب، 49 ـ أ).

(33) قانون التأويل (25 ـ ا 36 ـ 36 ـ ا 38 ـ أ).

ولم يفت ابن العربي أن ينبهنا إلى أهمية كتاب ابن فورك (مشكل القرآن) الذي رجع إليه كثيراً في هذا الباب، ويقول بأنه لم يؤلف مثله؛ على أنه يحذرنا من كتاب الرماني الذي ألفه في الموضوع، ويرى أنه مبتدع لا تجوز قراءة كتبه[34].

أما ما يتصل بالقسم الأول من علوم القرآن ـ وهو التوحيد، فزيادة على البحوث المستفيضة التي نجدها في الكتابين: (أنوار الفجر) و (قانون التأويل)، فقد ألف ابن العربي في الموضوع عدة مؤلفات؛ منها:

5 ـ (الأمد الأقصى، في أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى[35])، والكتاب أدخل في علوم التوحيد، منه في موضوع الأذكار؛ وقد قال الشافعي: إن جميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى؛ ويحدثنا ابن العربي في هذا الصدد ـ ومن عادته أن يستطرد للحديث عن رحلته إلى بلاد المشرق الموطن الأول لهذه الثقافات التي عاش لها ابن العربي ـ فيقول: (.. فقد كنت متشوقاً إلى قرع باب العلم بربي، متشوفاً إلى مطالعة حضرته، وما فيها من عجائب المعارف وفنون المعلومات؛ فوفق ـ بفضله ـ إلى سواء سبيله، ويسر العثور على دليله وميز جملة العلم من تفصيله.. فكان أفضل ما انتدبت إليه، وعقدت العزم عليه: التعرف بالله تعالى، والتفسير لأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فنظمت فيها شتيت تعليقي، وصدعت بتبيانها وعاء تحقيقي؛ وجلوت نكتاً طالما شددت إليها الحزام، وطبعت عليها الختام.. وقد سبق إلى هذا المعنى جماعة من المتقدمين، فجاؤوا مستأخرين ومستقدمين؛ ومنهم من أوعب فأطنب، ومنهم من هذب وقرب؛ وما استولى على المرغوب، ولا قرطس المطلوب؛ إلا بعض أشياخي، فإنه جمع فيه كتاباً صغير الحجم، استوعب فيه جملاً عظيمة، وأشار إلى أمور بديعة، هتك بها حجاب الإخفاء، وقام فيها بواجب الاحتفاء؛

---

(34) قانون التأويل (43 ـ أ).

(35) توجد نسخة منه عتيقة بالخزانة الحسنية ـ رقم (2872). وأخرى بالخزانة العامة بالرباط ـ ضمن مجموع رقم (2670 ـ ك) ـ مبتور الأخير.

وعلى كثرة ما جمعنا فيها، وأوثقنا من مبانيها، وأنخنا لمعانيها؛ فإنا على منواله نسج، وفي سبيله نستنهج؛ وربما اقتحم فيها - على سيرته - أموراً لا تطاق، وجاء بألفاظ يضيق عنها النطاق؛ سنفاوض منها فيما أمكن، ونعرض عما استبهم؛ - احتشاما لجنابه الرفيع، واغتناماً لبيانه البديع. .)[36].

وقد بناه على أربعة أقطاب:

أ - في أسماء الله - تعالى - على الجملة والتفصيل، وذكر مواردها، واختلاف الروايات فيها.

ب - في ذكر سوابق وفواتح لا بد من تقديمها، بياناً لما عسى أن ينبهم من أغراضه.

جـ - في شرح معانيها، وإيضاح مقتضاها.

د - في ذكر متممات. .

وكل قطب من هذه الأقطاب الأربعة، يشتمل على فصول وأصول، وتمهيدات وفروع وتقسيمات. . .

ويجمل الخطوط العريضة للمنهج الذي سار عليه فيقول: (. . . انتقينا من كلام العلماء كل غريبة، وأوردنا كل بديعة؛ وعقبناه من الاجتهاد، ما نتضرع إلى الله في أن يقرنه بالسداد؛ سالكين سبل الاستيفاء، ما يمكن به الوفاء؛ مع إيعاب، في خالص اللباب؛ واختصار لا يخل بالمراد، واقتصار على المهم والاقتصاد. .)[37].

6 - ومن أهم مؤلفاته - في موضوع التوحيد - (المتوسط)[38]، ضمنه خمسة أبواب:

---

(36) المخطوط السالف الذكر.

(37) نفس المصدر.

(38) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (2963 - ك).

ـ باب العلم بالله وصفاته، ووجه النظر إليه بمقدماته.
ـ النظر في خلق الأعمال وما يتصل به.
ـ القول في النبوات، وما يتبعها من ذكر المعجزات والكرامات..
ـ ذكر السمعيات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا بالشرع.
ـ القول في التفضيل والخلافة، وما إلى ذلك.

7 ـ ووضع على هذه العقيدة شرحاً أسماه (المقسط في شرح المتوسط)[39].

8 ـ وتذكر له بعض المصادر (التوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد)[40].

وله مؤلفات أخرى نحا فيها منحى المتكلمين، أرجأت الحديث عنها إلى موضوع علم الكلام.

9 ـ وألف ابن العربي في القسم الثاني من علوم القرآن كتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن)[41]، وهو مختصر في غاية التحرير والإتقان، اعتمده الزركشي في (البرهان)، ونوه به الحافظ السيوطي في (الإتقان)؛ وجاء في خاتمة الكتاب: (.. انتهى الحاضر في الخاطر من القسم الثاني في علوم القرآن ـ وهو الناسخ والمنسوخ ـ مختصر الألفاظ، موعب المعاني، منتزعاً من أيدي الأهوال، مخترعاً من كثرة الأوهال..)[42].

تحدث في مقدمة الكتاب عن النسخ ما هو؟ وهل هو جائز أم لا؟ ثم عن شروطه وأقسامه، وبعد هذا يشرع في شرح ما ورد في القرآن من النسخ ـ مرتباً ذلك حسب سور القرآن؛ وقد مهد لذلك بالحديث عن المكي والمدني، ثم أول

---

(39) ذكره في قانون التأويل (14 ـ أ).
(40) أنظر كشف الظنون 336/1 ، والاعلام لعباس بن إبراهيم 96/4.
(41) توجد نسخة منه عتيقة بالخزانة العامة بالرباط رقم (2024 ـ ك) .
(42) انظر المخطوط المذكور .

ما نزل، ثم تعداد آي السور، وما دخله النسخ منها وما لا[43].

ومن الموضوعات التي أجاد القول فيها ـ وهي من مبتكراته ـ ما هو من قبيل المخصوص، ويذكره المفسرون في جملة أقسام المنسوخ، مثل قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾.

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا﴾.

﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾.

ـ إلى غير ذلك من الآيات التي خصصت باستثناء أو غاية، وأخطأ من أدخلها في المنسوخ؛ ومن غريب النسخ، ما أشار إليه من أن آية ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾،

فآخرها: (إذا اهتديتم) ـ يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ ناسخ لأولها: (عليكم أنفسكم) ـ ولا نظير لها في القرآن[44].

وأن آية ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ـ ناسخ لمائة وأربع عشرة آية، ثم صار آخرها ناسخاً لأولها ـ وهو قوله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾[45]. وأغرب من ذلك ما ذكره في آية: ﴿خذ العفو وامر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين﴾، فإن أولها: (خذ العفو)، وآخرها (وأعرض عن الجاهلين) ـ منسوخ، ووسطها محكم ـ وهو (وامر بالعرف)[46].

10 ـ وألف في القسم الثالث من علوم القرآن ـ وهو الأحكام ـ كتابه أحكام القرآن ـ (الكبرى)[47]، وهو من الكتب القلائل في هذا الباب.

(43) نفس المخطوط، وانظر الإتقان 22/2.
(44) نفس المخطوط، وانظر الإتقان 24/2.
(45) نفس المخطوط.
(46) نفس المخطوط.
(47) طبع طبعتين.

منهجـه:

وطريقته: أن يذكر سورة القرآن وما فيها من آيات الأحكام، فيشرحها ويذكر ما فيها من مسائل؛ وهو يعتمد على اللغة، وعلى الحديث، وعلى ما كان من أفعال النبي - ﷺ - وصحابته، مستعيناً بقواعد أصول الفقه التي هي أعظم الطرق لاستثمار الأحكام.

وهو إلى ذلك - يوازن بين المذاهب، ويؤيد رأيه بالحجة والمنطق السليم؛ ينتصر لمذهب مالك في كثير من الأحيان، ويدافع عنه تارة بالتصريح، وأخرى بالتلويح؛ وربما قسا على بعض المذاهب وهاجمها بعنف، ولا يجد غضاضة في أن يقول لمالك - وهو مذهبه وإمامه - إنه ليس هناك، وينصف الذين خالفوه.

وهو شديد النفرة من الأحاديث الضعيفة ينتقدها، ويحـذر أصحابـه منها[48]، ويبتعد ما وسعه ذلك - عن الخوض في الإسرائيليات التي تورط فيها كثير من المفسرين[49].

وجاء في بعض النسخ أن المؤلـف فرغ من تأليف الأحكام سنة ثلاث وخمسمائة، ولعل الصواب سنة ثلاثين وخمسمائة (530 هـ)[50].

11 - وقد اختصره في مجلد، ويعرف بالأحكام الصغرى[51].

12 - وألف في القسم الرابع من علوم القرآن - وهو علم التذكير - (سراج المريدين[57])

---

(48) الأحكام 141/1، وانظر التفسير لمحمد حسين الذهبي 122/3.

(49) ج 11/1، والتفسير والمفسرون 121/3.

(50) ويدلنا على ذلك، ما ذكره المؤلف من أحداث سنة (528 - 529 هـ) منها ولايته القضاء، وصرفه عنها سنة (529 هـ).

أنظر الأحكام 134/2.

(51) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (274 - ك).

(52) توجد نسخة مصورة منه بدار الكتب المصرية رقم (348 20 ب). وذكر عباس بن إبراهيم صاحب الاعلام - أنه وقف على نسخة منه عليها خط المؤلف، وهي من الأهمية بمكان!

قال تعالى: ﴿وذكر، فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

وقد تناول فيه آيات الوعد والوعيد، والجنة والنار، وحكايات الصالحين، وسنن المهتدين. . .

وهو يميل في أسلوبه إلى السجع في كثير من الأحيان، وهذا نموذج منه:

(كيف تكون داعياً، وأنت في المعاصي ساعياً؟ أم كيف تكون مضطراً، وأنت للمخالفات وهتك الحرمات مختاراً؟ أم كيف تكون مظلوماً وأنت قد ظلمت؟ فإن أجبت في غيرك، أجب فيك غيرك؛ فالله أولى بالكل «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض».

وعلامته: العاقبة الجميلة له، والحالة الحسنة فيك: أن تكون ـ أبداً ـ مستجيراً بالله من نفسك وغيرك، مستغفراً له من ذنبك، مجتنباً لحقوق الخلق لا يتعلق بك، والله الموفق برحمته)[53].

ولعل ابن عطاء الله تأثر به في حكمه، على أن ابن العربي اعتمد كثيراً كتاب (التحبير، في علم التذكير) ـ للقشيري، وقد درسه طويلاً لتلاميذه[54]، وربما كان هو الذي أوحى إليه بتأليف هذا الكتاب.

ومن الموضوعات التي تناولها:

ـ العلم والمباهاة به[55] ـ المحافظة على آداب الشريعة[56] ـ الإمامة والشورى[56] ـ الرباط والمرابطة[58] ـ كيفية اللباس: جائزه ومحظوره، حسنه

---

(53) انظر العارضة 2/120 .

(54) انظر فهرسة ابن خير ص 296.

(55) العارضة 10/123.

(56) العارضة 2/77 ـ 78.

(57) العارضة 10/262.

(58) العارضة 1/68 .

وقبحه[59]؛ ـ ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة: متسقة المعاني، منتظمة المباني؛ ـ علم عظيم. . يقول ابن العربي ـ لم نجد له حملة، فجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه[60].

13 ـ ومما يتصل بعلم التذكير، موضوع العالم الأخروي؛ وقد ألف فيه ابن العربي كتابه (أحكام الآخرة، والكشف عن أسرارها الباهرة)[61]؛ تحدث فيها عن مشاهد يوم القيامة، وأحوال البعث والحشر والنشر. .

14 ـ وقد وقفت على جزء وسط ـ في التفسير ـ نسب للقاضي أبي بكر بن العربي يحمل عنوان (خامس الفنون)[62]، فسر فيه الآيات التي تحدثت عن أخبار الأمم السالفة التي أعرضت عن آيات الله، وتمردت عن شرائعه، فحقت عليها كلمة العذاب؛ وكانت عبرة للمعتبرين، وذكرى للمتفكرين.

وهو يستعمل في معالجة هذه الآيات أسلوب الوعظ والارشاد: تنبه أيها الغافل، فانظر وفكر، وفي الحوادث عبر. تتخلل ذلك بعض حكم، وأبيات شعرية فيها عبرة وذكرى:

ـ من استرعى الذئب ظلم.

شربت الإثم حتى زال عقلي
كذاك الإثم يذهب بالعقول

والجزء يبتدىء بقوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾[63] ـ الآية 4 من سورة الأنعام.

---

(59) العارضة 256/10.

(60) البرهان 36/1 .

(61) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط ـ ضمن مجموع رقم (928 ـ ك).

(62) انفردت الخزانة الحمزاوية بنسخة من هذا الكتاب، وبالخزانة العامة بالرباط شريط منه رقم (141) يحتوي على (292) صفحة من القطع الكبير، كتبت بخط مغربي واضح في أكثر صفحاته.

(63) انظر الصفحة الأولى من المخطوط السالف الذكر.

وينتهي بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين، فأنجيناه والذين معه برحمة منا، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ ـ الآية: 72 سورة الأعراف[64].

وبعد أن يذكر في صفة إهلاكهم ـ أن الله أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء إلا جعلته كالرميم ـ يشير إلى أنه ستأتي بقية القصة في سورة هود، مما يدل على أن هذا الجزء ستتلوه أجزاء، وربما تقدمته أجزاء أخرى في نفس الاتجاه؛ والمحتمل أن هذه الأجزاء ـ بمجموعها ـ تكون التفسير الكبير الذي يلمح إليه المؤلف في نهاية كتاب الأحكام، ويذكر أنه تلف منه وذهب به المقدار ـ: (. . وكمل القول الموجز في التوحيد، والأحكام، والناسخ والمنسوخ. . . وبقي القول في علم التذكير ـ وهو بحر ليس لمده حد، ومجموع لا يحصره العد؛ وقد كنا أملينا عليكم في ثلاثين سنة، ما لو قيض له تحصيل، لكان جملة تدل على التفصيل؛ ولما ذهب به المقدار، فسيعلم الغافل لمن عقبى الدار[65].

وقد يقوي هذا الاحتمال، ما جاء في آخر نسخة عتيقة من كتاب الأحكام: (كمل الجزء السادس والثلاثون من الأحكام، وبتمامه كمل جميع الديوان)[66].

وهذه التجزئة تدل على أن كتاب الأحكام، جزء من أجزاء (التفسير الكبير)، وليس هو كتاباً مستقلاً بنفسه؛ ودليل آخر: أنه لم تتقدمه خطبة ولا مقدمة، خلاف صنيع المؤلف في أكثر كتبه، والله أعلم بحقيقة الحال.

15 ـ ولابن العربي إلمام واسع بعلم القراءات، ومن مؤلفاته في هذا الميدان كتاب «المقتبس»[67].

---

(64) انظر اللوحة الأخيرة من المخطوط.

(65) انظر الأحكام 342/2 ـ الطبعة الأولى.

(66) انظر اللوحة الأخيرة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (427 ـ ك).

(67) ذكره في كشف الظنون ص 1972، ونسب له في هدية العارفين 90/2 ـ قصيدة في =

16 ـ و (شرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف)[68].

وهو شرح موسع، ذكر فيه أن نقل القرآن نقل تواتر يوجب العلم، وأن قراءاته نقلت نقل آحاد[69].

وقال في قول مالك: (قراءة نافع سنة ـ ليس معناه أن قراءة غيره ليست بسنة، بل المراد أن السنة في توسع الخلق في القراءة بهذه الوجوه: من همز وحذفه، والمد وتركه، والتفخيم والترقيق، والإدغام والإظهار، من غير ارتباط إلى شيء مخصوص منها)[70].

وهاجم القراء في اختلافاتهم، وما لهم في ذلك من جهالات..[71]

وإذا كان هذا إسهامه الضخم في المدرسة القرآنية، فماذا كان دوره في مدرسة الحديث يا ترى؟

ب) ـ في علوم الحديث:

وإذا كنت تحدثت عن إنتاج ابن العربي في التفسير وعلوم القرآن، فلنحاول أن نتعرف عما خلفه في ميدان الحديث؛ وأبادر إلى القول بأن ابن العربي من أئمة الحديث الذين بلغوا درجة التعديل والتجريح، والتزييف والتصحيح[72]، وآراؤه العديدة ـ في هذا الباب ـ تشهد بذلك؛ على أن الرجل خبر هذا الفن على أربابه، وعانى ما عانى في سبيل البحث عن شوارده ونوادره[73].

= القراءات، ثم عاد فنسيها في ص (103) ـ إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن العربي (ت 591 هـ) ـ ولعله حفيد أبي بكر بن العربي.

(68) انظر قانون التأويل (38 ـ أ).

(69) نفس المصدر.

(70) انظر البرهان للزركشي ١/212.

(71) نفس المصدر، وانظر بحث الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، المنشور بمجلة دعوة الحق س 10 ع 3 ص 73.

(72) انظر العارضة 260/1, 245/3, 4/6, 50, 8/ 265.

(73) انظر العارضة 245/3.

(وكانت ـ يعني أحاديث الحجامة في رمضان ـ أتعبتني، وكنت متردداً في الأمر لكثرة المعارضات في الروايات، حتى أخبرني أبو المطهر. .)[74].

(وهذا ـ أي حديث: من لم يجمع الصيام، فلا صيام له ـ حديث صحيح عزيز، لم يقع لأحد من أهل المغرب قبل رحلتي. . فظنوا أنه لا يوجد صحيحا)[75].

(وإنما عول أبو حامد على حديث اسم الله الأعظم في آية الكرسي. . ولم يصح، بل هو موضوع. .)[76].

(وقد رام الدارقطني ـ على إمامته ـ أن يصحح حديث القلتين فلم يستطع، واغتص بجريعة الريق فيها)[77].

(وحديث أبي سعيد في بئر بضاعة ضعيف أيضاً)[78].

و(الإفريقي من رواة الحديث ضعفه بعضهم، وحديثه مقبول عند البخاري)[79]ـ إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على علو كعبه في هذا المقام.

17 ـ ومن مؤلفاته الشهيرة في هذا الباب، بل من موسوعاته الكبرى في مختلف فنون الحديث ـ (عارضة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي)[80].

وفسر ابن خلكان الشطر الأول من هذا العنوان، بأن العارضة تعني

---

(74) نفس المصدر.

(75) العارضة 3/264.

(76) العارضة 13/34.

(77) العارضة 2/221 - 222.

(78) نفس المصدر.

(79) لعله يعني (المنذر) الإفريقي صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ.
انظر الاستيعاب لابن عبد البر 4/358، رقم (2571).

(80) وهو مطبوع في (13) جزء.

القدرة على الكلام[81]، وهو تفسير يخالف ما يفيده سياق كلامه في غير ما موضع من هذا الكتاب ـ من أنها تعني ما يعرض في الذهن من معاني الكتاب ـ (دون الطموح إلى استيفاء كلامه بالبيان، والإحصاء لجميع علومه بالشرح والبرهان)[82]، وعبارته في خاتمة الكتاب صريحة في ذلك:

(.. انتهى الحاضر في الخاطر، دون التشوف إلى ما بعده للناظر، فإن الاستيفاء الكلي، إنما يكون في القلب الخلي..)[83].

غرض الكتاب:

ويذكر المؤلف في مقدمة الكتاب ـ وهو يتحدث على الأغراض التي دفعته إلى تأليفه ـ أن طائفة من تلاميذه ألحوا عليه في تصنيفه، فلبى رغبتهم بعد لأي، وقد رأى الميدان خالياً من المجلين، فاقتحمه في كثير من التردد، واكتفى بعارضة تنم عن الغرض المقصود:

(.. فإن طائفة من الطلبة عرضوا عليّ رغبة صادقة في صرف الهمة إلى شرح كتاب أبي عيسى الترمذي، فصادفوا تباعداً عن أمثال ذي حتى قيض الله المنة، ويسر النية؛ وما كنت لأتعرض للتصنيف، ولا أرتقي إلى هذا المحل المنيف، لولا أني رأيت الأغفال تتعاور عليه..)[84].

منهجــه:

ومنهجه في هذا الكتاب أن يعرض للحديث من حيث:

أ ـ السند (طرق الحديث ورواته ورتبه: من صحة، وحسن، وضعف).

---

(81) انظر الوفيات 424/3.

(82) انظر العارضة 5/1، 24/2، 46، 79، 58/3، 71، 82، 87، 161، 162، 225، 230، 237، 240، 247، 249، 256، 257، 275، 300، 3/4، 20، 21، 33، 46، 273، 151/5، 313/6، 149/11.

(83) انظر العارضة 319/13.

(84) العارضة 4/1.

ب ـ لغته (غريب الحديث، وما فيه من نحو وعربية).
جـ ـ التوحيد (أسماء الله وصفاته).
د ـ الأحكام (فقه: عبادات، ومعاملات، وأصول).
هـ ـ الآداب (أخلاق الرسول، وما كان عليه السلف الصالح).

و ـ ويذكر ابن العربي أن أبا عيسى الترمذي ضمن كتابه (الجامع) أربعة عشر علماً، فأسند وصحح، وعدد الطرق، وجرح وعدل، وأسمى وأكنى، ووصل وقطع، وأوضح المعمول به والمتروك، وبين اختلاف العلماء في الرد والقبول لآثارهم، وذكر اختلافهم في تأويله.

قال: (. . . وسنورد فيه ـ إن شاء الله ـ بحسب العارضة ـ قولاً في الإسناد، والرجال، والغريب، وفناً من النحو، والتوحيد، والأحكام، والآداب، ونكتاً من الحكم، وإشارات إلى المصالح. .)[85].

شخصية ابن العربي:

وتبدو شخصية ابن العربي قوية في هذا الكتاب ـ كغيره من كتبه، فقد ناقش أبا عيسى في كثير من مسائل الكتاب، ودخل معه حتى في الشكليات: فرتب بعض أبواب الكتاب ترتيباً خاصاً، فجعل الفرع مع أصله، والنسيب إلى نسيبه:

(وقد ذكرها أبو عيسى ممتزجة، فحال بين جنس وجنس بغيره، وحال بين نوع ونوع بسواه؛ فطال النظر، وتعذر التحصيل. . فرأينا على سبيل التصريف، وضعها على الترتيب على سبعة أبواب. .)[86].

تاريخ تأليف الكتاب:

والكتاب من آخر مؤلفات ابن العربي، وأخطأ الذين ذكروا أنه أول ما كتب، والدليل على ذلك، أنه يحيل في هذا الكتاب على أكثر مؤلفاته:

---

(85) العارضة 1/ 6.
(86) العارضة 12/265 .

- «أنوار الفجر»، «الأحكام»، «الإنصاف»، «سراج المريدين»، كتاب «النيرين في شرح الصحيحين»، «التمحيص»، «العواصم من القواصم»، وسواها.

وجاء في آخر النسخة المطبوعة - وهي برواية تلميذه أبي يوسف القرشي الزهري:

(.. انتهت ما بين سماع وقراءة من أول الديوان إلى آخره، في شهر شوال عام أربعين وخمسمائة، كذا في الأصل المنتسخ منه..)[87].

وفيه أيضاً بخط المؤلف على ظهر كل سفر منه: (قرأه عليّ صاحبه أبو يعقوب بن عبد السلام القرشي الزهري سنة (540 هـ) - والحمد لله[88].

18 - «كتاب المسالك إلى موطأ مالك»[89]، ويسميه بعضهم «ترتيب المسالك، في شرح موطأ مالك».

الغرض من تأليفه:

يذكر المؤلف في مقدمته أن الذي حمله على تأليف الكتاب، أنه ناظر يوماً بعض جماعة من أهل الظاهرية الحزمية - على موطأ مالك فكل عابه، فقلت لهم: ما السبب الذي عبتموه من أجله؟ فقالوا: أمور ثلاثة:

- أحدها أنه خلط الحديث بالرأي.

- ثانيها أنه أدخل أحاديث كثيرة صحاحاً، وقال: ليس العمل على هذه الأحاديث.

---

(87) العارضة 340/13.

(88) نفس المصدر.

(89) يوجد بالخزانة الحمزاوية منه مجلدان الأول والرابع، وقد كتب المجلدان سنة (579 هـ)، وبالخزانة العامة بالرباط شريط رقم (24) انظر فهرس نوادر المخطوطات ص 107، وعرضت بمعرض الحسن الثاني لسنة (1971) - نسخة منه لنجيب الحاج الدمناتي.

- والثالث أنه لم يفرق بين المرسل، والموقوف، والمقطوع. .)[90].

وقدم بين يدي الكتاب بثلاث مقدمات:

أ - في التنبيه على فضل مالك ومناقبه. .

ب - في الرد على من أنكر القياس من الظاهرية الحزمية، وإثباته بالكتاب والسنة.

جـ - في معرفة الأخبار من المسند، والموقوف من المرفوع والبلاغ، والكلام في الرواية، والإجازة، المناولة، وحدثنا وأخبرنا: هل هما بمعنى واحد أم لا[91]؟.

19 - «القبس في شرح موطأ مالك بن أنـــس»[92] - وهو من آخر ما ألف في علم الحديث - كما يقول المؤلف[93]، وأملاه سنة (532 هـ)[94].

20 - كتاب «النيرين، في شرح الصحيحين»، يحيل عليه كثيراً في كتبه، وهو من المصادر التي اعتمدها الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري على صحيح البخاري[95].

21 - مختصره[96].

---

(90) انظر مقدمة المخطوط السالف الذكر.

(91) نفس المصدر.

(92) توجد بالخزانة العامة بالرباط منه نسختان، إحداهما تحت رقم (9116 - ك)، والأخرى رقم (25 - جـ).

(93) المصدر السابق.

(94) انظر مقدمة القبس.

(95) انظر بحث «مصادر مغربية في موسوعة «فتح الباري»» - لكاتب هذه السطور، المنشور بمجلة «دعوة الحق» س 17، ع 5 ,7.

(96) انظر العارضة 28/1, 91, 86/2، وقانون التأويل (31 - ب).

22 ـ «صريح الصحيح»[97] ـ ذكر فيه الصحيح ـ وإن لم تذكره كتب الصحيح.

23 ـ «إيضاح الصحيحين»[98].

ـ ومر في حديثنا عن إنتاج ابن العربي في علوم القرآن ـ كتاب المشكلين ـ: مشكل القرآن، ومشكل السنة، وشرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف.

24 ـ «تفصيل التفضيل، بين التحميد والتهليل»[99].

25 ـ «التفصي عن عهدة التقصي، لما في الموطأ من الأخبار والآثار»[100].

26 ـ شرح حديث الإفك.. قال فيه: (حديث الإفك نازلة عظيمة، ومصيبة شنيعة، شاء الله كونها، لتهلك بها أمة، وتعصم بها ملة، وتظهر الدفائن ويكشف النفاق)[101].

27 ـ «شرح حديث أم زرع» ـ ذكره في هدية العارفين[102].

28 ـ رسالة في طرق حديث: ليس من أم بر صيام في أم سفر، وفي رواة وأسانيد ابن العربي فيه[103].

---

(97) العارضة 6/78.

(98) أشار إليه في أحكام القرآن ـ وربما يعني به كتاب «النيرين على الصحيحين» أو مختصره.

(99) انظر كشف الظنون 1/810، والنفح 2/35 - 36.

(100) انظر العارضة 7/172.

(101) العارضة 12/47.

(102) انظر ج 2/90.

(103) توجد نسخة منها بالمكتبة الوطنية بمدريد ضمن مجموع (رقم 5349) ـ فيها (20) ورقة، تنقصها الورقة الأولى.
انظر مجلة «دعوة الحق» س 15 ع 2 ص 96.

29 ـ رسالة في أسانيد حديث عقبة بن عامر (ما منكم أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء. .)[104].

30 ـ «رسالة في أحاديث المصافحة» ـ وقد نقل ابن رشيد في رحلته عن الكلاعي ـ ما وقع لابن العربي من الوهم في هذه الأحاديث ـ على قلتها[105].

31 ـ مجلس الروضة ـ إملاء أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي[106].

32 ـ شرح حديث جابر في الشفاعة ـ ذكره في «هدية العارفين»[107].

33 ـ تأليف في خبر الواحد[108].

34 ـ المسلسلات[109].

35 ـ الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب[110].

36 ـ السلفيات ـ ذكرها في هدية العارفين[111].

37 ـ السباعيات ـ ذكرها في إيضاح المكنون[112].

38 ـ «رسالة الإحسان، إلى علماء تلمسان»[113] ـ تحدث فيها عن

---

(104) المصدر السابق.

(105) نفس المصدر.

(106) المصدر نفسه.

(107) انظر ج 90/2.

(108) الأحكام 239/1.

(109) انظر برنامج الرعيني ص 44، إيضاح المكنون 21/2، فهرس الفهارس 73/2.

(110) انظر إيضاح المكنون 323/2.

(111) انظر ج 90/2.

(112) ج 2/2.

(113) قانون التأويل (22 ـ أ) والعارضة 264/1.

رؤيته ـ ﷺ، ومراتب الوحي التي جاء بها جبريل عليه السلام.

39 ـ «الفوائد الخمسون»[114] ـ التي انفرد بإبلاغها عن الشريعة إلى أهل المغرب، فمنها حديث: من لم يجمع الصيام قبل الفجر، فلا صيام له. قال: تفرد برفعه يحيى بن أيوب ـ وهو حديث صحيح عزيز، ثم أورد إسناده[115].

جـ ـ في الفقه وأصوله:

والقاضي أبو بكر بن العربي من أئمة الفقه المجددين[116] ما في ذلك شك، وهو من الرواد الأول الذين أدخلوا علم الخلافيات إلى المغرب ـ كما يقول ابن خلدون[117].

ومن أوسع مؤلفاته في هذا الباب:

40 ـ «الإنصاف، في مسائل الخلاف» ـ عشرون مجلداً[118].

41 ـ «التلخيص في أصول الخلاف»[119].

42 ـ «تلخيص التلخيص»[120].

43 ـ وله: «التقريب والتبيين، في شرح التلقين»[121] ـ للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

---

(114) انظر العارضة 264/1 .

115) نفس المصدر .

(116) انظر الاستقصا 144/1.

(117) انظر المقدمة ص 809.

(118) الأحكام 126/1، وج 2 /282 ، والعارضة 266/3، 302 ، والنفح 36/2.

(119) الأحكام 96/1 ، وج 337/2 ، والعارضة 27/5.

(120) الأحكام 265/1 ، وج 288/2.

(121) توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بمدريد ، انظر «دعوة الحق» س 10 ع 2 ص 94 .

44 ـ «شرح غريب الرسالة»[122] ـ لابن أبي زيد القيرواني.

45 ـ «الرسالة الحاكمة، على الأيمان اللازمة»[123] ـ وقد ناقضها قاضي مكناس: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد المكناسي ـ برسالة أخرى أسماها «الخارمة للرسالة الحاكمة»[124].

46 ـ «النواهي عن الدواهي»[125] ـ رسالة رد فيها على ابن حزم ـ في مسائل تشريعية.

47 ـ «الطلاق المؤقت»[126].

48 ـ جزء في مسح الرجلين[127].

49 ـ كتاب ستر العورة[128].

50 ـ رسالة في جواز تقبيل يد الإمام العادل[129].

ومن مؤلفاته في أصول الفقه:

51 ـ «التمحيص» يحيل عليه كثيراً في كتبه[130].

52 ـ وقد لخصه في كتابه «المحصول، في علم الأصول»[131]، ومهد

---

(122) أنظر هدية العارفين 90/2، وأزهار الرياض 95/3.

(123) توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم (37 ـ ك).

(124) أنظر الروض الهتون لابن غازي ص 44، والاتحاف لابن زيدان 517/4.

(125) أنظر العواصم من القواصم 68/1 وص 94 ـ طبع الجزائر، والأحكام 308/1، والعارضة 104/4، وأزهار الرياض 99/3، وأعلام العرب (ابن حزم) ص 205.

(126) الأحكام 331/2.

(127) الأحكام 239/1.

(128) نفس المصدر.

(129) أنظر أحمد بابا، نيل الابتهاج ص 235.

(130) أنظر العواصم من القواصم 26/1، والعارضة 172/7.

(131) توجد نسخة منه في استنبول، وبالخزانة العامة صورة منه على الورق رقم (640).

لكتابه «المحصول» - هذا بمقدمات سماها سوابق:

أ ـ في وجه الحاجة التي يقع بها البيان، فالإنسان ـ كما يقول ابن العربي ـ مدني بالطبع، وقد سبق بها ابن خلدون، فهو مفتقر إلى غيره بالضرورة؛ لأنه خلق خلقاً لا يستقل بمعاشه، ولا يستبد بمنافعه، فهو في حاجة مستمرة إلى سواه.

ب ـ قسم علماؤنا العبارة إلى قسمين: حقيقة ومجاز..

جـ ـ اختلاف الناس هل في كتاب الله مجاز أم لا؟.

د ـ قسم بعض الناس الأسماء إلى لغوية وشرعية، وجعلها البعض الآخر ثلاثة أقسام..

هـ ـ اختلاف الناس في جريان القياس في اللغة، فمنهم من جوزه، ومنهم من منعه.

و ـ صيغة النفي ـ وهي لا إذا اتصلت بالنكرة ـ مما اختلف الناس في ذلك، فقيل إنها مجملة لا يسوغ الاحتجاج بها، وقيل إنها عامة؛ ومنهم من ذهب إلى أنها ظاهرة يجوز التمسك بها في الأحكام، والمسألة تتصور في كثير من الأدلة الشرعية، منها مثلاً قوله ـ ﷺ: لا صيام لمن لم يبيت الصيام..

ز ـ انقسمت الأسماء في اللغة ـ في دلالتها على المعاني ـ إلى قسمين:

أحدهما ما يدل على معنى واحد لا يشترك معه فيه سواه ـ وذلك كثير في اللغة، والثاني ما يدل على معنيين..

حـ ـ اللفظ الصريح إذا احتمل الشيء وضده، فلا يخلو إما أن يكون احتمالهما سواء، أو يكون في أحد المعنيين أظهر؛ فإن كان في أحد

المحتملين أظهر فهو الظاهر، ولا خلاف في صحة التعليق به في الأحكام، وإن كان الاحتمال واحداً فهو العموم.

ط ـ الكلام في اللغة ينقسم إلى اللفظ وإلى المعنى، أما اللفظ فهو المعبر عن المعنى، فلا غنى عنه على ما سبق بيانه؛ وأما المعنى، فهو المراد باللفظ وسنبرم فيه عقدين:

ـ العقد الأول في شرح اللفظ..

ـ الثاني في شرح المعنى ـ وهو المقصود في هذا الفن..

ثم لخص محصول أصول الفقه في اثني عشر باباً وخاتمة:

1 ـ الأوامر.
2 ـ النواهي.
3 ـ العموم والخصوص.
4 ـ المحكم والمتشابه.
5 ـ المنطوق والمفهوم.
6 ـ الأفعال ـ يعني أفعاله ـ ﷺ.
7 ـ الأخبار.
8 ـ التنزيل للتأويل.
9 ـ الإجماع وكيفية حصوله.
10 ـ القياس وأقسامه.
11 ـ الناسخ والمنسوخ.
12 ـ الترجيح بين الأدلة ـ الذي هو معضلة الأصول.

ـ ثم خاتمة في الاجتهاد ومراتب الفتوى.

منهجه:

وقد اختصر كثيراً من قواعد الأصول في هذا الكتاب، قال في كتاب النواهي: ومسائله كمسائله ـ يعني الأمر ـ كفة كفة، ووزناً وزناً.. وابن العربي

يقرر الأصول على مستوى سائر المذاهب، وهو يميل كثيراً لنصرة مذهب مالك ويدافع عن رأيه بالحجة والبرهان؛ وناقش الشافعي في مسائل بناها على أصول لم تسلم له، وهو كرد فعل لما قام به إمام الحرمين وتلميذه الغزالي من نصرة المذهب الشافعي وتقديمه على سواه.

ومن القواعد التي انتقدها على الإمامين: الغزالي وإمام الحرمين ـ قاعدة: هل الأمر يحمل على الفور أو على التراخي؟ وقد قالا بالتراخي؛ لأنه إنما يجوز بشرط سلامة العاقبة كالرامي إلى الهدف، قال ابن العربي: وهذا مما لا نرضاه.

ويذكر في مسألة النهي عن الشيء هل يدل على فساده؟ ـ: «أن العلماء اختلفوا فيها وأرباب الأصول من المالكية، جهلوا مذهب مالك وقالوا: إن له قولين، والصحيح من مذهبه ـ أن النهي على قسمين..

مصـادره:

وأهم المصادر التي اعتمدها ابن العربي في هـذا الكتاب، الإرشـاد للباقلاني، والبرهان لإمام الحرمين، والمنخول، والمستصفى ـ للغزالي، وسواها.

53 ـ «نزهة المناظر» ـ أشار إليه في العارضة(132).

54 ـ «مفتاح المقاصد» ـ ذكره في هدية العارفين(133).

55 ـ رسالة «الكافي، في أن لا دليل على النافي»(134).

ونسب له بعض المفهرسين ـ خطأ ـ «بغية الآمل، في شرح الحاصل» وتوجد نسخة منه في الخزانة الحمزاوية(135).

وحجتنا في إسقاط هذا الكتاب من قائمة مؤلفات ابن العربي:

---

(132) انظر ج 2/144 .

(133) انظر ج 2/90.

(134) انظر أزهار الرياض 3/95 .

(135) أخذت منه صورة على ميكروفيلم للخزانة العامة بالرباط رقم (640).

1 ـ أنه لا يتناسب مع روح ابن العربي ـ كما لا يخفى.

2 ـ أن «الحاصل» المشروح هو للقاضي تاج الدين محمد بن حسين الأرموي (ت 656 هـ) وقد اختصره من محصول شيخه الإمام الرازي[136].

3 ـ يشير صاحب الشرح إلى مصادر جد متأخرة، كتعليق أبي القاسم بن زيتون التونسي (ت 691 هـ)[137]وسواه.

(د) في علم الكلام:

عرض ابن العربي ـ في كثير من كتبه ـ لأبحاث مستفيضة في علم الكلام، وهو يلتمس أكثر من عذر لعلماء الكلام ـ في التجائهم إلى الأدلة العقلية، وضرب الملاحدة بسلاحهم[138].

ومن مؤلفاته في التوحيد ـ على طريق المتكلمين:

56 ـ «الوصول إلى معرفة الأصول»[139] ـ يعني أصول الدين..

يقول في مقدمته: (.. أما بعد، فإن العلم طويل المادة، والعمر قصير المدة، والتكليف شديد الوطأة، والإيمان بالغيب عظيم الحرمة، وثوابه الخلود في الجنة؛ وأولى ما نظر فيه الناظرون، وفكر في معانيه المفكرون، علم تكسب به الحقائق والعهود، ويعرف به الخالق المعبود، وينال منه ـ سبحانه ـ المقام المحمود؛ كما جعله لأوليائه حلة، ونصب على وحدانيته أدلة؛ وأول ما يجب على العاقل البالغ، القصد إلى النظر الصحيح، المفضي إلى العلم بحدوث العالم؛ ومقصود هذا العلم، إقامة البرهان على وجود الباري وصفاته وأفعاله..)[140].

---

(136) أنظر كشف الظنون ص 1615 ، ورحلة التجاني ص 368 .

(137 أنظر شجرة النور : 193 .

(138) أنظر قانون التأويل (34 ـ ب) .

(139) توجد نسخة منه بخزانة ابن يوسف بمراكش ـ ضمن مجموع رقم (525) .

(140) أنظر نفس المخطوط .

وقد رتبه على خمسة أبواب، وتحت كل باب فصول، وربما عبر عن الفصل بالقول.

1 ـ الباب الأول في أسماء مقامات العلماء. . .

2 ـ الباب الثاني في أن العلم قبل العمل، قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾.

ـ القول في تقسيم النظر. .

ـ القول في الاستدلال. .

ـ القول في إثبات الجوهر. .

ـ القول في الأعراض. .

ـ القول في إثبات صانع العالم. .

3 ـ باب في ما يستحيل على الله. . .

4 ـ باب بيان أن الله ـ تعالى ـ سميع بصير. .

ـ القول في صفات الله تعالى.

5 ـ باب اثبات الكلام لله تعالى.

ـ فصل واعلم أن كلام الله تعالى ـ على مذهب أهل السنة ـ واحد لا يتصف بالتعدد.

ـ فصل كلام الله منزل على الأنبياء، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، ليس حالاً في مصحف، ولا قائماً بقلب. .[141].

ـ القول في خلق القرآن. . اختلف الناس في هذا الباب اختلافاً عظيماً، فذهب أحمد بن حنبل وسليمان بن جرير ـ إلى أن ما كان من القرآن أمراً ونهياً فهو مخلوق، وما كان منه من علم الله، فلا يقال فيه مخلوق ولا غيره؛ وذهب يحيى بن معين ومن وافقه من أصحاب الحديث ـ إلى أن القرآن كلام الله

(141) المصدر نفسه .

وكتابه، وهو محدث غير مخلوق؛ قالوا: ولم نسمع أحداً ذكر أن القرآن مخلوق.

ــ القول فيما يجب في أحكام الله ـ تعالى.

ــ جواز رؤية الله تعالى.

ــ فصل وأما نبينا ـ عليه السلام، فمذهب شيخنا أبي الحسن ـ أنه رأى ربه بعيني رأسه؛ قال ابن العربي: ومذهب الشيخ أبي الحسن ـ ليس على دليل واضح[142].

ــ فصل، قال بعض العلماء: النظر السائغ استعماله في معرفة الله تعالى ـ يكون بمعنى انتظار، قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام﴾، وبمعنى اعتبار، قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. وبمعنى التعطف والرحمة، قال تعالى: ﴿. . إلى ربها ناظرة﴾. قال: وكل هذه المعاني لا يصح في معنى النظر إليه سبحانه، فلم يبق إلا أن يكون بمعنى الرؤية[143].

وختم هذا الفصل ـ وهو آخر فصول الكتاب ـ بمن رووا حديث الرؤية عنه ـ عليه السلام، فذكر منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبا أمامة الباهلي، وعبد الله بن مسعود، وجرير بن عبد الله، وجابر ابن عبدالله، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وعدي بن حاتم الطائي، وأبا هريرة، وأبا سعيد الخدري، وأبا موسى الأشعري، وأنس بن مالك[144].

57 ـ «الغرة، في نقض الدرة»[145] ـ رسالة رد فيها على ابن حزم، ونقض رسالته «الدرة» ـ في الاعتقاد.

---

(142) نفس المصدر.

(143) نفس المصدر.

(144) نفس المصدر.

(145) انظر العواصم من القواصم 68/1.

58 ـ «العواصم من القواصم»[146] ـ وموضوعه فتنة صفين، وما نشأ عنها من اختلاف وعقائد.. وعرض في ثنايا الكتاب لكثير من مسائل علم الكلام، وهاجم الفلاسفة ورد على نحو 20 فرقة، منها:

المشبهة، المرجئة، المعتزلة، الشيعة، الكرامية، الباطنية، الماديون، الإباحيون، المعطلة، الإمامية، الإسماعلية، الصابئة، العباسية، العثمانية، الإخوانية، الروافض، اليهود، النصارى.

ومن آراء ابن العربي في هذا الكتاب ـ العقل والشرع صنوان، وقد سبق بذلك ابن رشد الفيلسوف.

ولعل ابن خلدون وابن تيمية، تأثرا كثيراً بابن العربي ـ في آرائهما الفلسفية.

هـ ـ في الزهد وآداب الصالحين:

تتلمذ ابن العربي للغزالي بعدما تجرد، وراض نفسه على طريق القوم، فسمع عليه كتاب «الإحياء» وقال له من لفظه، وكتب إليه بخطه: (.. إن القلب إذا تطهر من علاقة البدن المحسوس، وتجرد للمعقول، وتكشفت له الحقائق وهي أمور لا تدرك إلَّا بالتجربة لها عند أربابها بالكون معهم، والصحبة لهم..)[147].

ويحدثنا ابن العربي عن أول لقاء له بأبي حامد ببغداد فيقول: (.. حتى ورد علينا ذا نشمند، فنزل برباط أبي سعيد بإزاء المدرسة النظامية ـ معرضاً عن الدنيا، مقبلاً على الله تعالى؛ فمشينا إليه، وعرضنا أمنيتنا عليه؛

(146) طبع بالجزائر في جزأين، وأعاد نشر القسم الثاني منه ـ محب الدين الخطيب سنة (1371 هـ)، وقدم الأستاذ عمار طالبي إلى جامعة الجزائر رسالة عن: «آراء ابن العربي الكلامية، ونقده للفلسفة اليونانية ـ مع تحقيق الكتاب» نال بها درجة دكتوراه. وطبع في جزأين بمطابع الشروق ـ بيروت.

(147) انظر العواصم من القواصم 20/2.

وقلت له: أنت ضالتنا التي كنا ننشد، وإمامنا الذي به نسترشد؛ فلقينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة؛ فلما طلع ذلك النور، وتجلى ما كان تغشانا من الديجور؛ قلت: هذا مطلوبي حقاً، هذا بأمانة الله منتهى السالكين، وغاية الطالبين. . .)[148].

وتذكر بعض الروايات أنه لقيه مرة أخرى ببادية الشام، قال: (. . رأيته بالبرية ـ وبيده عكازة، وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة؛ وقد كنت رأيته ببغداد يحضر درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر العلماء وأفاضلهم، يأخذون عنه العلم؛ قال: فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له: يا إمام، أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا؟ فنظر إليّ شزراً وقال: لما طلع بدر السعادة، في فلك الإرادة، أو قال سماء الإرادة؛ وجنحت شمس الوصول، إلى مغارب الأصول:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى تصحيح أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي[149]

وهي رواية لم نجدها في كتبه، وتبدو عليها مخايل الصنعة.

ولم يقتصر على الغزالي وحسب، بل طوف على كثير من البلدان، وتعرف على رجالات هذا الفن وصحبهم، ودخل في طريقهم: (. . وأفنيت عظيماً من الزمان في طريقة الصوفيين، ولقيت رجالاتهم في تلك البلاد أجمعين؛ وما كنت أسمع بأحدهم يشار إليه بالأصابع، أو تثنى عليه الخناصر، أو تصيخ إلى ذكره الآذان، أو ترفع إلى منظرته الأحداق؛ ـ إلاَّ رحلت إليه قصياً، أو دخلت إليه قرياً. .)[150].

---

(148) انظر قانون التأويل (9 ـ ب).

(149) انظر ابن العماد، شذرات الذهب 13/4.

(150) انظر قانون التأويل (12 ـ أ).

ومن الشيوخ الذين لقيهم ابن العربي ـ بعد الغزالي: ـ

ـ عطاء المقدسي، شيخ الفقهاء والصوفية ـ كما يسميه، لقيه بالمسجد الأقصى ـ حيث دار بينهما حديث البكاء والتباكي؛ قال أبو بكر: قال لي: أين أعين البكاء، وأين أسباب الاشتياق إلى المولى، لا إلى اللوى؟ وأصل البكاء إنما هو على فقد المحبوب، أو نزول المكروه، وأي محبوب أعظم من الله وطاعته؟ وأي مكروه أصعب من سخط الله؟[151].

وهو القائل:

إذا لمت عيني اللتين أضرتا
بجسمي وقلبي قال (لي) لم القلبا
فإن لمت قلبي قال عيناك جرتا
علي الرزايا ثم لي تجعل الذنبا[152]

ـ وأبو الحسن أحمد بن عبد القادر بن يوسف الصوفي، وقد أنشده في مشاهدة جلال الله، واستحضاره في سره ونجواه، حتى لا يرى سواه:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري
وآخر يرعى ناظري ولساني

إلى أن يقول:

تمكن من قلبي جلالك إنني
أراك على كل الجهات تراني[153]

ـ والنجيب الصوفي التركي[154].

---

(151) انظر سراج المريدين ـ مصورة دار الكتاب المصرية ـ اللوحة (57).

(152) انظر الأحكام 304/1.

(153) انظر سراج المريدين ـ المصورة السابقة.

(154) انظر العارضة 21/9.

ـ وأبو عثمان سعيد بن حسان الطليطلي، جاور بالمسجد الأقصى أعواماً، وسار في بلاد المشرق أربعين سنة ـ حتى بلغ أقصى الشرق؛ وصحب كل شيخ للصوفية، فكان مقدماً في الصناعة[155].

ولم يزل ـ كما يقول ـ (أطلب هذا الفن (التصوف) في مظانه، وفي مراجعة شيوخه فيه، حتى وقفت على حقيقة مذهبه)[156].

ولعل أصرح عبارة تدل على ممارسته لهذا الفن، وأنه كان له أصحاب ومريدون، قوله: «.. ولقد سألني بعض أصحابي من السالكين، عن قول صاحب الحقائق: ما الحكمة في قول الله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاَّ هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾؛ فأضاف الضر إلى المس، والخير إلى الإرادة؟ فأمليت في ذلك على طريق القوم..»[157]، وأفاض القول في شرح ذلك.

على أنه هاجم كثيراً من آراء الصوفية، فانتقد نظريتهم في المعرفة، وأنكر ما يدعى بالفيْض أو الأشراق؛ كما انتقد منهجهم في التأويل، وشدد النكير على التفسير الإشاري الذي اعتبروه الأساس في تأويل القرآن؛ كما وقف موقفاً صارماً مما يدعى بالعشق الإلّهي، ولم يسلم من نقده حتى شيخه الغزالي: (.. فلما وعيت هذا سماعاً وكتابة عنه وقراءة، رجعت إليه متأملاً بصادق البصيرة؛ وعرضته على قواعد النظر في المعقول والمنقول، ونظرت في أفراده ثم جمعه.. وبعد النظر الطويل الذي هذه إشارته، خرجت عن هذه الغمرة التي أوجبها استرسال مثله في هذه الألفاظ القلقة، التي لا يصح أن يكون فيها إذن لأحد ليذكرها، فضلاً عن أن يحققها ويسطرها، وهي أخلاط غالبة على الفؤاد، ومعاني حائدة عن سنن السداد)[158].

---

(155) العارضة 35/9 .

(156) قانون التأويل (40 ـ ب) .

(157) المصدر نفسه .

(158) نفس المصدر .

وقال في كتابه «معيار العلوم»: إنه أدخل فيه أغراضاً صوفية، فيها غلو وإفراط، وتطاول على الشرع[159].

وفي نفس الوقت يعتبر بأن هناك متصوفة معتدلين، أمثال الحارث المحاسبي (ت 243 هـ)، وأبي القاسم القشيري (465 هـ)، فهؤلاء ليسوا من المتصوفة الغلاة، ويمكن أخذ رأيهم بالاعتبار.

وربما مال ابن العربي في أخريات حياته إلى العزلة والانقباض عن الناس: (.. ورأى اليوم علماء القراء، والمخلصون من الفضلاء ـ أن الانكفاف عن اللذات، والخلوص لرب السماوات ـ اليوم ـ أولى؛ لما غلب على الدنيا من الحرام، واضطر إليه العبيد من المعاش، من مخالطة من لا تجوز مخالطته، ومصانعة من تحرم مصانعته؛ وحماية الدنيا بالدين، وصيانة المال بتبديل الطاعة بدلاً عنه؛ فكانت العزلة أفضل، والفرار من الناس أصوب للعبد وأعدل)[160].

ويرى أن الزهاد والعباد، صنف رابع من أصناف العلماء الذين حفظوا الدين، ونصحوا له: (تجردوا للخدمة، ودأبوا على العبادة، واعتزلوا الخلق، وهم في الآخرة كخواص الملك في الدنيا)[161].

واعتمد كثيراً من مفاهيم الصوفية في الزهد، والتوبة والصبر؛ وفي هذا الصدد يذكر أن القرب قرب الأديان، لا قرب البلدان والأبدان؛ : وفي مثله تنشد الصوفية:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت: وما تغني ديار قريبة إذا لم يكن بين القلوب قريب[162]

---

(159) العواصم من القواصم 1/83.
(160) الأحكام 1/139 - 140 .
(161) انظر العواصم من القواصم 1/83 .
(162) الأحكام 1/139 - 140 .

ومن هنا اختلف المتأخرون في شأن ابن العربي - (مترجمنا) - فبعضهم جعله من السالكين الواصلين، ومن أهل الخصوصية العارفين[163]؛ تتلمذ له أبو الحسن بن حرزهم[164]، وأبو يعزى يلنور[165]، وآخرون؛ ولبسوا عنه المرقعة[166]، كما لبسها هو عن شيخه الغزالي؛ قال أبو الحسن بن حوزهم: ألبسني القاضي أبو بكر بن العربي، قال: ألْبسني أبو حامد الغزالي، قال: ألبسني إمام الحومين أبو المعالي، عن أبي طالب مكي، عن أبي القاسم الجنيدي، عن السرى السقطي، عن معروف الكرخي - إلى آخر السلسلة، وقد أوردوها بسندهم المتصل[167].

بينما آخرون ينفون عنه الخصوصية، وقالوا: إنه ليس بذاك[168]؛ والواقع أن ابن العربي - وإن تتلمذ لشيوخ التصوف كالغزالي وأضرابه، وصحب العباد والزهاد، وفضل العزلة والانقباض عن الناس - لفساد الزمان؛ فقد كان سنياً، وعالماً سلفياً[169]، لا يحيد عن الشريعة قيد أنملة؛ وإذا لم يكن العلماء أولياء، فليس لله من ولي؛ وتبدو على بعض مؤلفاته نفحة صوفية، ولكنها - في جوهرها - من سير الزاهدين، وآداب الصالحين، والزهد - طبعاً - غير التصوف.

---

(163) انظر الكتاني، سلوة الأنفاس 198/3.

(164) انظر أنس الفقير ص 42

(165) انظر أخبار أبي يعزى - للصومعي (مخطوط خاص).

(166) تأمله مع ما ذكره ابن العربي في العارضة ج 276/7 - من أن لبس المرقعة كان شعار الصالحين، وسنة المتقين، حتى اتخذته الصوفية شعاراً، فجعلته من الجديد، وأنشأته مرقعاً من أصله، قال: وليس هذا بسنة، بل بدعة عظيمة، وأدخل في باب الرياء!.

(167) انظر أنس الفقير: 93 - 94.

(168) وفي مقدمتهم: أبو زيد الفاسي، أنظر السلوة 198/3.

(169) أنظر مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب ع342/7.

59 ـ ومما يدخل في هذا الباب: كتاب «سراج المهتدين»[170] الذي قال في مقدمته: إنه حذا فيه حذو القضاعي في «الشهاب» ـ في المواعظ والآداب، وقد صدره بأحاديث قدسية، وحكم نبويّة؛ آثر أن تكون من صحيح الحديث المستقيم، لا من واهيه السقيم ـ على حد تعبيره[171].

وتتخلل الكتاب عدة فصول في الآداب والمواعظ، تضمنت كثيراً من الأحاديث والآثار، أشار في بعضها إلى أسماء الله الحسنى، كالمحب ـ وهو الاسم الثالث والأربعون، وتحدَّث عن المحبة في الشرع ـ وقال: (. . وأول ما ألقي عليكم فيها (المحبة) ـ معشر المريدين، أن الشرع لم يرد بلفظ المحبة ـ وقد عددت الصوفية للمحبة أسباباً خمسة، فزعمت أنها موجودة في الله تعالى)[172].

ثم انتقد هذا القول، وشنع عليهم كل التشنيع. . ثم تكلَّم عن معنى الرضى ـ وهو الاسم الرابع والأربعون، ثم عن الراعي، والوالي، والسائح، والزكي، والشفيع، والمتواضع، والطيب، والعظيم، والمفلح، والمتبتل، والخاشع. . . وشرحها جميعها شرحاً موسعاً، وختم الكتاب بأدعيته ـ ﷺ ـ في سائر أحواله، وباستعاذاته عليه السلام؛ وهو غير سراج المريدين الذي تحدثنا عنه في القسم الرابع من علوم القرآن ـ وهو التذكير، ووقع بعضهم في التباس، فجعلهما كتاباً واحداً[173]؛ ولعل كتاب «سراج المهتدين» هو آخر ما كتب ابن العربي، وقد أحال فيه على أكثر كتبه، ومن بينها «سراج المريدين».

---

(170) أعارني نسخة منه بعض أصدقائي الكتبيين الأفاضل، فأفدت منها كثيراً، وتوجد نسخة بالخزانة العامة تحت رقم (1473) وفيها بعض بتر.

(171) المصدر السابق.

(172) نفس المصدر.

(173) وممن وقع في هذا الوهم: الدكتور عمار طالبي، انظر رسالته «آراء أبي بكر بن العربي ـ الكلامية» ج76/1.

ومن مؤلفات ابن العربي في هذا الباب:

60 ـ «كتاب الفقراء» ـ أي المتصوفة، ذكره في أحكام القرآن[174]، والعارضة[175].

61 ـ كتاب الذكر ـ أشار إليه في الأحكام[176].

62 ـ «العقد الأكبر، للقلب الأصغر» ـ ذكره المقري في النفح[177]، والبغدادي في «هدية العارفين»[178].

63 ـ «العوض المحمود» ومن أجزائه «محاسن الإنسان» ـ ذكره في العارضة[179]، وورد ذكره في «قانون التأويل» باسم «رسالة محاسن الإحسان، في جوابات أهل تلمسان»[180].

و ـ في التربية والتعليم:

ولابن العربي نظرية خاصة في التربية والتعليم، أشار إليها في كثير من كتبه؛ وتتلخص في أن الطفل ينبغي أن يلقن ـ أول ما يلقن ـ الكتابة، والحساب، والشعر الفصيح، وعوامل الإعراب، وبعض قواعد التصريف؛ ثم يحفظ كتاب الله، والسنة الصحيحة، ولا يخلط بين علمين وأكثر، ولا يقصر نفسه على بعض العلوم: «.. والذي يجب على الولي في الصبي المسلم ـ كان أباً أو وصياً أو حاضناً أو الإمام ـ إذا عقل أن يلقنه الإيمان، ويعلمه الكتابة والحساب؛ ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويعرفه العوامل في

(174) انظر ج 92/1.

(175) انظر ج 285/12، وص 300.

(176) انظر ج 409/1.

(177) انظر ج 242/2.

(178) انظر ج 90/2.

(179) انظر ج 123/9، وص 130.

(180) انظر الورقة (22 ـ أ).

الإعراب وشيئاً من التصريف؛ ثم يحفظه إذا استقل واستبد ـ في العشر الثاني ـ كتاب الله، وهو أمر وسط متساو بين: أهل المشرق والمغرب؛ ثم يحفظ أصول سنن الرسول ـ وهو نحو من ألفي حديث في الأبواب، نظمها البخاري ومسلم، هي عماد الدين؛ ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن، ومعني كلماته؛ ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب، فالباطل فيه كثير.. ولا يفرط في علم الفرائض، فإنه أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين؛ ولا يخلي نفسه من الأنساب، وشيء من الطب.. ولا يفرد نفسه ببعض العلوم، فيكون إنساناً في الذي يعلم، بهيمة فيما لا يعلم.. إذا أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه، سيعتمد على ما هو أوكد ويجعل الباقي تبعاً..)[181].

وينحي باللائمة على الطريقة التقليدية التي اتبعها المغاربة في التعليم فيقول:

(.. ويا غفلة بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، يقرأ ما لا يفهم، وينصب في أمر غير أهم..)[182].

وقد نوَّه ابن خلدون بطريقة ابن العربي ولخصها فيما يلي: (.. ولقد ذهب أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته ـ لعله يعني به قانون التأويل ـ إلى طريقة غريبة في وجه التعليم، وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم ـ كما هو مذهب أهل الأندلس؛ قال: لأن الشعر ديوان العرب، ويدعو إلى تقديمه وتقديم العربية في التعليم ـ ضرورة فساد اللغة؛ ثم ينتقل منه إلى الحساب، فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنَّه يتيسر عليه بهذه المقدمة؛ ثم ينظر في أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الجدل، ثم الحديث وعلومه، ونهى ـ مع ذلك ـ أن

(181) انظر العواصم من القواصم 2/212 - 213 .
(182) انظر قانون التأويل (84 ـ أ).

يخلط في التعليم علمان، إلا أن يكون قابلاً لذلك - بجودة الفهم والنشاط. .)[183].

قال ابن خلدون: (هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر - رحمه الله - وهو لعمري مذهب حسن، إلاّ أن العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال. .)[184]. ثم بين وجهة نظر أهل المغرب في تقديم تعليم القرآن على غيره - مهما كان - قال: (ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن - إيثاراً للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن؛ لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ، وانحل من ربقة القهر؛ فربما عصفت به رياح الشبيبة، فألقته بساحل البطالة؛ فيغتنمون في زمان الحجر، وربقة الحكم - تحصيل القرآن، لئلا يذهب خلواً منه؛ ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم، وقبوله التعلم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي (أبو بكر بن العربي) - أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق[185].

وربما اقتبس ابن العربي طريقته مما شاهده بالشرق من أساليب التعليم، ومما أخذ به نفسه من الإقراء والتدريس خلال سبعين سنة أو تزيد؛ ويذكر عن بعض الطرق التي شاهدها بالمشرق فيقول: (. . كنت أحضر عند الحاسب بتلك الديار المكرمة - وهو يجعل الأعداد على المتعلمين الحاسبين - وأفواههم مملوءة من الماء حتى إذا انتهى إلقاؤه وقال: ما معكم؟ رمى كل واحد بما في فيه وقال ما معه، ليعوده على خزل اللسان عن تحصيل المفهوم عن المسموع؛ قال: وللقوم - في التعليم - سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم - إذا عقل - بعثوه إلى المكتب، فإذا عبر المكتب، أخذه بتعلم الخط والحساب والعربية؛ فإذا حذقه كله، أو حذق منه ما قدر

(183) انظر المقدمة ص (1013 - 1014) .

(184) المقدمة ص ((1014).

(185) المقدمة : (1014 - 1015) .

له؛ خرج إلى المقرىء، فلقنه كتاب الله، فحفظ منه كل يوم ربع حزب، أو نصفه، أو حزباً؛ حتى إذا حفظ القرآن، خرج إلى ما شاء الله من تعلم العلم أو تركه؛ ومنهم ـ وهم الأكثر ـ من يؤخر حفظ القرآن، ويتعلم الفقه والحديث، وما شاء الله؛ فربما كان إماماً ـ وهو لا يحفظه، وما رأيت بعيني إماماً حفظ القرآن ولا رأيت فقيهاً يحفظه إلاَّ اثنين؛ ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه، وعلقت القلوب اليوم ـ بالحروف، وضيعوا الحدود . .)[186].

ومن مؤلفات ابن العربي في التربية والتعليم:

64 ـ «كتاب آداب المعلمين» ـ ذكره الشوشاوي في كتابه «الفوائد الجميلة، في الآيات الجليلة»[187].

65 ـ «مراقي الزلف» ذكره ابن عرضون في «مقنع المحتاج في آداب الأزواج»[188]، ويذكر ابن العربي في كتابه «مراقي الزلف» ـ وهو يحدد منهجه في تربية الطفل وتعليمه فيقول: (. . اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصور؛ وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن علم الخير وعود خيراً نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة؛ وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم ومؤدب له؛ وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه. . فعليه أن يصونه ويؤدبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء؛ ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية . .)[189].

---

(186) انظر الأحكام 301/2.

(187) (مخطوط خاص).

(188) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1026 ـ ك).

(189) انظر ص : 452 ـ من نفس المخطوط.

وابن العربي يلتقي في كثير من آرائه التربوية والتعليمية مع شيخه الغزالي في «الإحياء»[190]، وكتاب «مراقي الزلف» من مؤلفات ابن العربي التي هي في حكم المفقود، لكن ابن عرضون احتفظ لنا بفصول مهمة منه ـ في «مقنعه»[191] .

ز ـ في اللغة والأدب:

وإلى جانب كون ابن العربي مقرئاً مفسراً، وفقيهاً محدثاً، وأصولياً جدلياً، ومتكلماً فيلسوفاً، ومربياً معلماً؛ كان نحوياً لغوياً، وأديباً شاعراً[192].

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

ومن رجالات اللغة والأدب الذين أخذ عنهم بالمشرق، الإمام أبو زكرياء التبريزي تلميذ أبي العلاء المعري، سمع عليه دواوين اللغة والشعر كان يحضر عنده ببغداد ـ وهي تقرأ عليه[193].

وابن العربي كان ميالاً للأدب منذ حداثة سنه، يحفظ الشعر، ويدرك حكمه ومراميه؛ ـ حدث أن تكسر بهم المركب ـ وهم في طريقهم إلى المشرق ـ على مقربة من برقة، فرمى بهم البحر إلى بيوتات بني كعب بن سليم ـ على ساحل ليبيا[194] ؛ فألفوا الأمير وصحبه في لعبة الشطرنج، وكان للفتى (ابن العربي) حذاقة في هذا الفن، فقربوه إليهم، وأعجبوا به؛ وقد أنشد ابن عم الأمير ـ وهو يدير بيادقه ـ قول المتنبي:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه   وفي الهجر فهو ـ الدهر ـ يرجو ويتقي

---

(190) انظر ج 1/56 - 66 .

(191) انظر صفحات (452, 456) من المخطوط السالف الذكر .

(192) انظر المطمح : 72 ، والمغرب 1/255 .

(193) انظر فهرسة ابن خير ص 415-416.

(194) انظر تاريخ ابن خلدون 6/144.

وقال: لعن الله أبا الطيب، أو يشك الرب؟ فانبرى له الفتى وقال: ليس كما ظن صاحبك ـ أيها الأمير، إنما أراد بالرب ـ هنا ـ الصاحب؛ يقول: ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال، وبلوغ الغرض من الآمال ـ على ريب؛ فهو في كله على رجاء لما يؤمله، وتقاة لما يقطع به ـ كما يقول:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى   فأين حلاوات الرسائل والكتب؟[195]

66 ـ ومن مؤلفات ابن العربي في هذا الباب ـ حواش[196] على شرح ابن السيد لديوان أبي العلاء «سقط الزند»، ولعلها أول ما كتب ابن العربي، وقد انتقد فيها ابن السيد وصحح أخطاء وقع فيها؛ منها: ما يرجع إلى الرواية الصحيحة في شعر أبي العلاء، وقد اعتمد ابن العربي رواية التبريزي الإمام الحجة. ومنها ما يرجع إلى الوزن، وقد جاءت أبيات مكسورة لا يستقيم لها وزن. ومنها ما أوغل فيه من مذاهب الفلاسفة والمتكلمين ـ وما كان أغناه عن ذلك! ـ إلى جانب ما شان النسخة من تحريف أفسد المعنى في كثير من الأبيات.

وقد رد ابن السيد هذه المآخذ كلها ـ في رسالة أسماها «الانتصار» جاء في مقدمتها: (. . وقد وجد (ابن العربي) في الشرح أبياتاً قد أفسدها ناسخ الديوان، بالزيادة والنقصان؛ ونبت العين، عما كان فيها من الشين؛ فنبه عليها في طرر الكتاب، وبين فيها وجه الصواب؛ وكذلك وجد لحناً من الناسخ في بعض الأحرف، فظنه من قبل المؤلف المصنف؛ كما وجد بعض خلاف في الألفاظ ورواية الأبيات، فأثبته في هامش الكتاب. .)[197].

فابن السيد ـ كما ترى ـ يحاول أن يرجع أكثر ما وجه إليه من نقد إلى تحريف الناسخ، أو اختلاف في أوجه الروايات؛ لكن أحد تلاميذ ابن

(195) انظر قانون التأويل (5 ـ ا).

(196) انظر فهرسة ابن خير ص (419).

(197) انظر مقدمة الانتصار بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ، والحركة اللغوية في الأندلس ـ ألبير حبيب مطلق ص : 86 :2 .

العربي ـ وهو أبو عبدالله بن خلصة تصدى له، وألف رسالة في الرد عليه ـ منتصراً لأستاذه ابن العربي؛ قال ابن الأبار: وهي من أجود الرسائل، وقد حملت عنه[198].

67 ـ اختصار إصلاح المنطق ـ لابن السكيت، ومر آنفاً أن ابن العربي سمع على التبريزي: ـ بعض دواوين اللغة، منها إصلاح المنطق بشرح التبريزي نفسه[199].

68 ـ «ملجئة المتفقهين، إلى معرفة غوامض النحويين»[200].

69 ـ «إلجاء الفقهاء، إلى معرفة غوامض الأدباء»[201].

70 ـ «لمحة البارق، في تقريظ لواحظ السابق» ـ وهي رسالة عارض بها رسالة «الساجع والغريب» ـ لأبي القاسم الكلاعي؛ وهي من نوع الموري، وهو أسلوب من أساليب النثر الفني، يكون ظاهره خلاف باطنه[202].

71 ـ «أخبار سابق البربري»[203].

72 ـ كتاب شعراء الأندلس[204].

ـ أما عن شاعرية ابن العربي، فهو معدود من الشعراء المجيدين، وشعره مبثوث في كتب السير والتراجم؛ ولنقتصر في هذا العرض المقتضب على نماذج منه:

---

(198) انظر التكملة ص 160 .

(199) انظر فهرسة ابن خير ص : 415 - 416 .

(200) انظر العارضة 47/2 ، والأحكام 67/1 ، 91 ,236 ,250 ,276 ,284 ، وج 67/2.

(201) انظر الأحكام 317/2.

(202) انظر أحكام صنعة الكلام ص : 190 ـ تحقيق رضوان داية .

(203) انظر فهرسة ابن خير ص 704.

(204) انظر الأعلام لعباس بن إبراهيم 94/4 ـ نشر المطبعة الملكية .

ـ يحدثنا ابن العربي عن بعض محاوراته مع أدباء عصره فيقول: دخل عليَّ الأديب ابن صارة ـ وبين يدي نار علاها رماد، فقلت له: قل في هذه، فقال:

شابت نواصي النار بعد سوادها وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال: أجز، فقلت:

شابت كما شبنا وزال شبابنا فكأنما كنا على ميعاد[205]

ومن شعره ـ وقد ركب مع أحد أمراء الملثمين، وكان ذلك الأمير صغيراً، فهز عليه رمحاً كان في يده ـ مداعباً:

يهز علي الرمح ظبي مهفهف لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث[206]

قال المقري: وقد اختلف حذاق الأندلس من أهل الأدب في معنى الرمح الثاني والثالث، فقيل: القد واللحظ، وقيل غير ذلك[207].

ومن ألطف ما قال ـ وقد كتب كتاباً فأشار عليه بعض من حضر أن يتربه فأجابه في الحين (مرتجلاً) ـ :

لا تشنه بما تذر عليه فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذي يذر عليه جذري في وجنة حسناء[208]

وله ـ وهو معنى بديع:

أتتنى تؤنبني بالبكا فأهلاً بها وبتأنيبها
تقول ـ وفي نفسها حسرة أتبكي بعين تراني بها

---

(205) انظر أزهار الرياض 83/3 ، والفتح 31/2 ، والحلة السيراء 6/1 - 7.
(206) انظر المغرب في حلى المغرب 255/1.
(207) انظر أزهار الرياض 89/3 .
(208) المغرب 255/1 ، والابتهاج للبلغيثي 256/1.

فقلت إذا استحسنت غيركم   أمرت جفوني بتعذيبها[209]

وقال في الصديق الوفي:

من لي بمن يثق الفؤاد بوده   وإذا ترحل لم يزغ عن عهده[210]

ومن قصيدة له مطولة يخاطب بها إخوانه ببغداد:

صبرت وصبري في الملمات أعجب   وللصبر في ظهر النوائب مركب
ذكرت اصطباري في الملمات عدة   وملجأ من فات الطبيب التطبب

إلى أن يقول:

سلام على بغداد في كل منزل   وحق لها مني السلام المطيب
فوالله ما فارقتها عن قلى لها   وكيف ـ ولي فيها مجال ومرحب
وكانت كحب كنت أهوى وصاله   وإنصافه يدنو به ويقرب
ولكنها الأقدار يوماً إلى الفتى   بما ظل يهواه ويوماً تنكب[211]

وقال من قصيدة أخرى:

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر   خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره   ولم يخبط الظلماء بالأنجم الزهر
ولم يرض بالأرض البسيطة مسحباً   فسار على الجوزا إلى فلك يجري
وحث مطايا قد مطاها بعزه   فأوطأها قسراً على قنة النسر
فصارت ثقالاً بالجلالة فوقها   وسارت عجالاً تتقي ألم الزجر
وجرت على ذيل المجرة ذيلها   فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسري
ومرت على الجرباء توضع فوقها   فآثار ما مرت به كلف البدر

حتى يقول:

سقى الله مصراً والعراق وأهلها   وبغداد والشامين منهمل القطر[212]

(209) أزهار الرياض 3/88 ، والنفح 2/30 .

(210) انظر الأحكام 2/116.

(211) انظر بغية الملتمس : 84 .

(212) انظر المطمح : 72 - 73 ، والنفح 2 / 34 ، وأزهار الرياض 3/93.

وله في المسجد الأقصى:

أما والمسجد الأقصى ... وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو ... ق بين جوانبي رقصا[213]

وقال من قصيدة له في معارضة ابن حزم الظاهري:

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا ... عنه العدول إلى رأي ولا نظر
قلت اخسئوا فمقام الدين ليس لكم ... هذي العظائم فاستحيوا من الوتر[214]

ومن شعره الإلّهي:

إليك إله الخلق قاموا تعبداً ... وذلوا خضوعاً يرفعون لك اليدا
بإخلاص قلب وانتصاب جوارح ... يخرون للأذقان يبكون سجدا
نهارهم صوم وليلهم دعا ... وأخراهم رعي، ودنياهم سدى[215]

وقال من قصيدة أخرى:

كن للإله كما كان لك ... ولا تبتهل بمدار الفلك[216]

ومن ذلك ما نسبه إليه الشيخ أبو حيان:

ليت شعري هل دروا ... أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى ... أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا ... أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى ... في الهوى وارتبكوا[217]

والصواب أنها من نظم الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، وهي

(213) انظر النفح 338/5.

(214) انظر العارضة 114/10.

(215) انظر بغية الملتمس: 86 ـ 87، والتكملة: 565.

(216) انظر العواصم من القواصم: 92 ـ 93.

(217) انظر النفح 43/2.

ثابتة في ديوانه: (ترجمان الأشواق)[218].

هذا، ونثر القاضي أبي بكر بن العربي - (الفني) لا يقل عن شعره، فهو في المستوى الرفيع؛ ومر آنفاً - في جملة مؤلفاته - «لمحة البارق، في تقريظ لواحظ السابق» - وقد جاء فيها قوله: (.. وقد كان بالمشرق بآخرة، من جعل هذا الفن مفخرة، فلله - أخي - صابره فأقبره؛ فإن ذلك اقتصر على المسألة والجواب، وهذا تفنن في جمل من الأبواب، وأكثر فما عدم السداد والصواب..)[219].

وذكر له صاحب «إحكام صنعة الكلام» - خطبة من نوع السجع المشكل - وهو ما يأتي متفق اللفظ، مختلف المعنى - وربما أشكل؛ وقد افتتحها بقوله: (الحمد لله مودع الأشياء بين الكاف والنون، المسبحة له البحار والنون[220]؛ الواحد الذي لا تجد له ضريباً، والمنزل من خلال المزن ضريباً[221]؛ الذي كشف الخطوب الكامنة وأبان، وأوضح لأوليائه طريق الهداية وأبان، وسبحت بحمده هضبات متالع وأبان[222]؛ أحمده ما لاح في الأفق فرقد، ورتع ظليم على البسيطة وفرقد..)[223].

وهي طويلة نجتزىء منها بهذا القدر[224].

على أننا نجد في ثنايا كتبه ألواناً من النثر المسجوع، ولا سيما في مقام التذكير:

---

(218) انظر ص 11.

(219) انظر أحكام صنعة الكلام ص 190.

(220) النون الثانية: الحوت.

(221) ضريب الثانية: الثلج.

(222) أبـان الأخيرة: جبل أسود.

(223) فرقد الأولى: النجم، والثانية: البقرة أو الوحشي منها.

(224) انظر أحكام صنعة الكلام ص: 247.

(. . فكيف تكون داعياً، وأنت في المعاصي ساعياً؟ أم كيف تكون مضطراً، وأنت للمخالفات وهتك الحرمات ـ مختاراً؟ أم كيف تدعوه مظلوماً وأنت ظلمت؟ فإن أجبت في غيرك، أجيب فيك غيرك. . .)[225].

وأدب ابن العربي في حاجة إلى دراسة خاصة، وأرجو أن تتاح لي الفرصة للعودة إلى الموضوع مرة أخرى.

حـ ـ في الرحلات والسير:

يعتبر ابن العربي أول من وضع أسس الرحلات بالغرب الإسلامي[226]، فهو أول مغربي وصف رحلته إلى المشرق وصفاً دقيقاً تتبع مراحلها، وذكر البلاد والمشاهد التي زارها؛ ودون الأحداث التاريخية التي عاشها، والحركات العلمية والحضارية التي شاهدها. . ولم يقتصر على ذكر الشيوخ ورواياتهم كما فعل أصحاب البرامج والفهارس.

73 ـ وكتابه «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة» ـ طراز فريد، نوه به كثيرون، في مقدمتهم ابن خلدون[227].

والكتاب يعتبر مفقوداً إلى الآن، وربما ضاع على عهد المؤلف ـ كما تفيده عبارته:

(. . فلما شذ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سبق في علم الله من التدبير؛ رأينا أن نجدد ما سلم من الرقاع الموجودة مع ما حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل ما تأوب وسرى. .)[228]

---

(225) انظر العارضة 120/3.

(226) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي ـ للعالم الروسي (أ. ي) كراتشكو فسكو جـ 297/1 ـ 298.

(227) انظر المقدمة ص 1017.

(228) قانون التأويل ورقة (أ ـ ب).

وقد أثبت خلاصته في مقدمة كتابه «قانون التأويل»، ـ كما أشرت إلى ذلك ـ آنفاً.

74 ـ وجرد أوراقاً منه أسماها «شواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان»[229] ـ جاء في مقدمتها: (.. ولما سبق خير القضاء برحلتي إلى تلك المشاهد الكريمة، وحلولي في تلك المقامات العظيمة؛ دخلتها ـ والعمر في عنفوانه، والغصن بأفنانه، والكتاب مختوم بعنوانه، ومعي صارم لا أخاف نبوته، وحصان لا أتوقع كبوته؛ أب في الرتبة، وأخ في الصحبة؛ يستعين ويعين، ويسقي من النصيحة بماء معين؛ وزوى الله ـ بفضله ـ عن قلبي كل بطالة، وكشح عن فؤادي كل جهالة؛ فجنيت من كل شجرة زهرة، ووعيت من كل صنف غورة، وكشفت عن كل خفاء غوره، وافتقرت من كل فن فقره؛ حسبما فسرته وأوضحته، وشرحته وبينته، وقررته ونزلته؛ ـ في كتاب: «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة»، وذكرت فيه لقاء الأعيان لنا، وسير الفضلاء معنا؛ ولحظهم لجانبنا بناظر التعظيم، ومقابلتهم ورودنا بالتجليل والتكريم.. وأتبعناهم جملاً من طرائفهم، ولمعاً من فرائدهم، ما تتأرج به أصائل الأيام، ويجلو نوره ديجور الظلام؛ وكان ذلك أمراً يطول النظر فيه، ويذهل الشادي بخواتمه عن مباديه؛ فاستخرت الله تعالى ـ على تجريد هذه الأوراق ـ بـ «شواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان)[230].

وقد ضمنها بعض رسائل شبه رسمية، منها:

1 ـ رسالة أبي محمد بن العربي والد القاضي أبي بكر ـ إلى الخليفة المستظهر بالله، تحدث إليه فيها عن أعمال المرابطين، وخدماتهم للإسلام.. تقع في 75 سطراً، وهي مؤرخة برجب سنة (590 هـ).

2 ـ مرسوم الخليفة:

---

(229) توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ـ ضمن مجموع رقم (1020 ـ د).

(230) انظر مقدمة المخطوط السابق.

أصدر الخليفة مرسوماً بتاريخ رجب (591 هـ)، يتضمن التقليد الرسمي للأمير يوسف بن تاشفين.

3 ـ مرسوم آخر:

وأصدر الوزير الأول ابن جهير مرسوماً آخر باسم الخليفة ـ وهو مطول، يعرض بالتفصيل لكل النقاط التي جاءت في الخطاب المرفوع إلى مقام الخليفة، ويوصي الأمير ابن تاشفين بابن العربي وولده أبي بكر... (.. فليعتمد الأمير ـ أطال الله بقاءه ـ مصالح أمورهما، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهما؛ وليبوئهما حسن موضع النيابة عنه، وليبدلهما صفحة الإقبال منه).

4 ـ رسالة الغزالي يحض فيها ابن تاشفين على التمسك بالعدل..

5 ـ فتوى الغزالي في شأن الذين قاموا ضد ابن تاشفين وقالوا: إنه لا تجب طاعته لكونه ليس من قريش، ولا له عهد من الخليفة.

6 ـ رسالة الطرطوشي ـ وهي مطولة في نحو عشر صفحات، يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته، وإشاعة العدل بين رعاياه.. وهو في ضمن ذلك يعزز رأي الغزالي في فتياه.

وقد تحدثت سابقاً عن هذه الرسائل ومغزاها السياسي.

75 ـ «أعيان الأعيان» ـ ذكره في «قانون التأويل»[231].

76 ـ «فهرسته»[232].

77 ـ «معجم مشيخته» ـ كذا سماه ابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفي»[233]، ولعله هو الذي يعنيه ابن خير بقوله: (كتاب فيه جملة من

---

(231) ورقة (10 ـ ب) وانظر طبقات الداودي 165/2، وإيضاح المكنون 105/1، والنفح 232/2، والسلوة 198/3.

(232) انظر فهرسة ابن خير: 411، وفهرس الفهارس 229/2.

(233) ص 242، وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي: 1272.

شيوخ الحافظ القاضي ابن العربي، وهم أحد وأربعون رجلاً، خرج عن كل واحد منهم حديثاً(234).

وهو غير فهرسته(235)، لأن ابن خير ذكر كلا منهما على حدة ـ وهو بصدد تعداد ما يرويه عن ابن العربي.

78 ـ «مذكراته اليومية» ـ ويسميها «زمام المياومة»(236).

ـ ومن مؤلفات ابن العربي في السيرة النبوية:

79 ـ خصائصه ومعجزاته ـ ﷺ، وقد أنهاها إلى ألف معجزة، أدرجها في تفسيره الكبير «أنوار الفجر»(237).

80 ـ «تنبيه الغبي، على مقدار النبي»(238).

81 ـ كتاب النبي ـ جمع فيه أسماءه ـ ﷺ ـ من الكتاب والسنة(239).

82 ـ نعله ـ ﷺ ـ وما ورد في ذلك(240).

83 ـ «تبيين الصحيح، في تعيين الذبيح»(241).

أدرجه أبو العباس العزفي في كتابه «الدر المنظم»(242).

---

(234) انظر فهرسة ابن خير: 166.

(235) خلاف ما ذهب إليه الدكتور عمار طالبي في كتابه: «آراء أبي بكر بن العربي الكلامية» ص 82، وانظر فهرسة ابن خير: 166، وص 411، وص 442.

(236) انظر العارضة 307/3، وجـ 138/10.

(237) العارضة 293/2، وجـ 175/12، وجـ 152/13.

(238) الأحكام 25/2، 74.

(239) الأحكام 191/2.

(240) العارضة 272/7.

(241) الأحكام 195/2، إيضاح المكنون 224/1.

(242) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم (14695)، وبالخزانة الحسنية: 816، وبالخزانة اليوسفية رقم (883).

ـ ونسب له بعضهم ـ خطأ ـ «مختصر السيرة النبوية»، والصواب أنه لأبي العباس أحمد بن فارس ـ برواية القاضي أبي بكر بن العربي[243].

وفاتني أن أذكر بعض مؤلفات ابن العربي في موضعها المناسب، وهي كما يلي:

84 ـ كتاب «الحق» ـ ذكره في العارضة[244].

85 ـ «كتاب النكاح»[245].

86 ـ «عدلاء الحديث» ذكره في سراج المريدين»[246].

87 ـ «خبر الواحد» ـ ذكره في الأحكام[247].

88 ـ «ترك الوافد، ونهل الوارد» ـ أشار إليه في العارضة[248].

89 ـ «تقويم الفتوى، على أهل الدعوى» ذكره في الأحكام.

90 ـ «مسائل الصحبة والعزلة» ـ أشار إليه في «قانون التأويل»[249].

91 ـ «السياسات»[250].

92 ـ «الاستيفاء»[251].

---

(243) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع (250 ـ ك) وهو مبتور الأخير. وانظر خلال جزولة للمختار السوسي 78/2 - 79.

(244) انظر ج 51/4.

(245) ضمنه فرائضه وسننه وآدابه، توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم (79 ـ مجاميع).

(246) انظر ص 36.

(247) انظر ص: 577 ـ الطبعة الثانية.

(248) انظر ج 125/2.

(249) انظر ورقة (10 ـ أ).

(250)انظر السلوة 200/3، والأعلام لعباس بن إبراهيم 11/3.

(251) ذكره الونشريسي في «عدّة الفروق» ص 294.

ألوان من آراء ابن العربي:

ابن العربي مفكر جريء، وصاحب عقل حصيف، له إنتاج خصيب، وذو ألوان شتى من الثقافة؛ فهو مفسر، ومحدث، ومقرىء، ومتكلم، وفقيه، وأصولي، ونحوي، ولغوي، ومتأدب؛ وله في كل فن من هذه الفنون آراء بعضها عن استقلال شخصي، وبعضها عن مقارنة واختيار وترجيح..

ومرت طائفة من آرائه في تحليل بعض كتبه، وهذه أنماط أخرى تتصل بالنحو والبلاغة، والقراءات، والفقه، والكلام.

- في النحو:

لغة أكلوني البراغيث

يذكر علماء النحو أن الفعل إذا أسند إلى اسم ظاهر - مثنى أو جمعاً، وجب تجريده من علامة التثنية والجمع، وجاء عن بعض العرب: (أكلوني البراغيث) قالوا: وهي لغة غير مشهورة، ونسبها بعضهم إلى طيىء، والبعض الآخر إلى ازدشنوءة[252]؛ ويرى ابن العربي أنها لغة فصيحة مليحة، وقد افتقر سيبويه إلى أن يستشهد فيها[253] بأكلوني البراغيث، والقرآن وعامة الحديث يشهد لها[254].

- في البلاغة:

الفصل بعد لا..

يقول علماء البلاغة: إنه لا يجوز الفصل بعد لا، فلا تقول: لا، يغفر الله لك؛ والصواب - عندهم - أن تقول: لا، ويغفر الله لك دفعاً لإيهام

---

(252) انظر الأشموني ج 48/2.
(253) انظر كتاب سيبويه 39/1.
(254) انظر العارضة 71/9.

خلاف المراد[255]؛ وهذه الواو - في رأيهم - أحلى من واوات الأصداغ - كما يقول الصاحب بن عباد[256].

وابن العربي يرد عليهم بحديث أخرجه مسلم في مناقب سلمان، جاء فيه قوله - ﷺ: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فأتاهم أبو بكر فقال: إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لـك - يا أخي[257].

قال أبو بكر بن العربي: في هذا الحديث فائدة حسنة، وهي اتصال كلمة لا جواباً في النهي مع الدعاء، والعامة تكرهه؛ فإن قالته زادت الواو، فتقول: لا - ويرحمك الله، والحديث حجة صحيحة في الرد عليهم[258].

- في القراءات:

والقراءات غير متواترة، ذهب القراء إلى أن القراءات متواترة، وصرح بذلك أبو المعالي في البرهان، وتبعه المازري في شرحه؛ وخالفهم ابن العربي في ذلك، وقال بعدم تواتر القراءات، وأيده في ذلك أبو الحسن الإبياري أحد شيوخ ابن الحاجب، وأطال أبو سعيد بن لب في ذلك[259].

ويرى ابن العربي أنه يجوز تحسين القراءة والقرآن، والترجيع بـه والعيش به، وأخذ الأجرة على قراءته، ولا أطيب منها ولا أحل[260].

---

(255) انظر شروح التلخيص 67/3 - 69.
(256) انظر علوم البلاغة للمراغي ص 170.
(257) انظر صحيح مسلم 173/7.
(258) انظر العارضة 307/3.
(259) انظر جامع المعيار للونشريسي ج 50/12 - 107.
(260) انظر العارضة 243/13، الأحكام 215/2، والقرطبي 110/1.

واختار تفضيل بعض الآي على بعضها البعض[261].

في الفقه:

- لا يزار قبر ينتفع به غير قبره - ﷺ[262]، وقد يتنافى هذا مع ما نقله عنه العبدوسي من أن الخروج إلى زيارة قبور الصالحين والعلماء - جائز - طال السفر أو قصر[263].

- يجوز إرسال الريح في المسجد، وشدد النكير عليه العقباني[264].

- ويرى ابن العربي أن يمين الغضب لا تلزم[265]، لما روي: لا يمين في غلاق[266].

- وأفتى أن المرأة ذات الأقراء لا تصدق في أقل من ثلاثة أشهر، قال عمر الفاسي: وبفتوى ابن العربي جرى العمل[267].

- ويرى وجوب الزكاة في التين - لأنه مقتات مدخر، كما يرى وجوب الزكاة في الزيتون[268].

ذكاة أهل الكتاب:

ولابن العربي رأي خاص في ذكاة أهل الكتاب، قال: ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق دجاجة ثم يطبخها، هل تؤكل معه، أو تؤخذ منه طعاماً؟ فقلت: تؤكل، لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه - وإن لم تكن هذه

---

(261) انظر القرطبي 110/1.

(262) انظر النوازل الكبرى 48/11، وإظهار الكمال 52/1.

(263) انظر مرآة المحاسن ص 104.

(264) نيل الابتهاج ص 57.

(265) انظر النوازل الكبرى 14/4 - 18.

(266) في سنن ابن ماجه: لا طلاق ولا عتاق في إغلاق - يعني في غضب. انظر ج 630/1.

(267) انظر النوازل الكبرى 278/4.

(268) الأحكام 323/2.

ذكاة عندنا، ولكن الله أباح طعامهم مطلقاً؛ وكل ما يرونه حلالاً في دينهم، فإنه حلال في ديننا ـ إلاَّ ما كذبهم الله فيه[269].

وقد أيد قول ابن العربي هذا ـ الإمام الحفار وقال: بأنه واضح لا غبار عليه، ومن انتقده لم يفهم مراده[270].

ـ في علم الكلام:

سلفية ابن العربي.

قد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن ابن العربي كان سلفي العقيدة والتفكير، فهو يذهب ـ في أكثر آرائه ـ إلى ما عليه الجماعة والسلف وأهل السنة؛ فقد خالف المعتزلة، وهاجم الفلاسفة وغلاة المتصوفة، وأهل الأهواء والمبتدعة. . وكتابه «العواصم من القواصم» أكبر شاهد على ذلك، ولا نطيل بإيراد آرائه فيه[271].

هل كان ابن العربي جبرياً؟

نسب إليه بعضهم القول بالجبرية[272]، والجبرية ـ كما نعلم ـ القول بأن الإنسان مجبر على أفعاله، وأنه لا استطاعة له أصلاً، وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة[273].

والذين اتهموا ابن العربي بالجبرية، ربما استروحوا ذلك من قوله ـ وقد

---

(269) الأحكام 230/1.

(270) انظر النوازل الصغرى 258/1، والفكر السامي 116/1 ـ 119.

(271) ونحيل القارىء على كتاب «آراء أبي بكر بن العربي الكلامية» ـ للدكتور عمّار طالبي.

(272) انظر أزهار الرياض 85/3.

(273) انظر الفرق بين الفرق ص 211، والمِلل والنِحَل 85/1.

مهد لآيـة ﴿يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ - : (إن الله لا يخلق الخلق باجاً (شكلًا) واحداً، ولا أوجدهم على صفة واحدة، بل قدر من الصفات والحالات؛ ثم قسمها على الموجـودات، فجعل فيهـا الزيـادة والنقص، والمحبوب والمكروه، والحسن والقبيح، بحسـبمـا رتبه في معاني الدين والدنيا، وأنزله منزلتين: سفلى وعليا، وساق الخلق إلى ذلك قسراً؛ وأخبر عن كل ما خلق منهم بما جعل فيهم[274] . .) أو أنهم اعتمدوا في حكمهم - على ما أورده في كتابه «الأحكام» إذ يقول: (إن الأعمال كلها لله، خلق وتقدير، وعلم وإرادة، ومصدر ومورد، وتصريف وتكليف)[275] .

والذي تفصح عليه كتبه، وتنادى به آراؤه، هو القول بالكسب لا بالجبر؛ فقد جاء في كتابه «العواصم من القواصم»: (إن العبد مكتسب غير فاعل)[276] - وهي عقيدة أشعرية لا غبار عليها.

ويؤيده ما في كتابه «القانون في التفسير»: (. . إن الله - سبحانه - خالق أعمالنا، مخترع أعيانها وأعمالها - ونحن مكتسبون لها؛ قادرون عليهـا، مختارون لها، غير مجبورين عليها، ولا مضطرين إليها؛ وإن المكتسب منا قادر على الحقيقة لما خلق الله كسباً له، وأنه مأمور باكتساب الطاعة إذا كان عاقلًا بالغاً؛ ممدوح مثاب عليها إذا اكتسب، مذموم معاقب على تركها؛ ويقال للمكتسب إنه مطيع عاص على الحقيقة، عادل ظالم على الحقيقة إذا اكتسب عدلًا وظلماً؛ وكل ذلك مخلوق لله - تعالى، وهي مضافة إلى الله تعالى بالوصف العـام؛ والخلق والفعل مضاف إلى المكتسبين بالـوصف الخاص - وهو كونه ظلماً للظالم منا، وجرماً للمجرم؛ خلاف مذهب القدرية والجبرية - وهو الصواب)[277] .

---

(274) العـارضة 93/13.

(275) انظر ج 119/1.

(276) انظر ج 95/1 - طبع الجزائر.

(277) مخطوط القرويين رقم (926) - ورقة (68). وانظر العارضة 141/8 - 142.

فهذا نص صريح نجد فيه ابن العربي يهآجم القدرية والجبرية، ويزيف مزاعمهما؛ فكيف يصح أن ينسب إلى الجبرية والقول بها. .؟!

قولة ابن العربي: إن الحسين قتل بسيف جده.

وشنعوا على ابن العربي قولته التي مؤداها: «أن الحسين قتل بشريعة جده»[278] ـ وهو لم يقل ذلك بغضاً في آل البيت، ولا تحيزاً إلى الجانب الأموي؛ وإنما أراد أن يقول: كان على الحسين أن يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه: ابن عباس، ويأخذ برأي شيخ الصحابة: ابن عمر ـ إيثاراً للعافية، وحرصاً على وحدة المسلمين: (. . فلو أن عظيمها وابن عظيمها، وشريفها وابن شريفها «الحسين» وسعه بيته ـ ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق. . لم يلتفت إليهم؛ وحضره ما أنذر به النبي ـ ﷺ ـ وما قاله في أخيه، ورأى أنها خرجت عن أخيه ـ ومعه جيوش الأرض، وكبار الخلق يطلبونه؛ فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ـ وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه. . ؟)[279].

ويدلنا على ما كان لابن العربي من حب صادق في آل البيت ـ رغم ما قاله في جانب الحسين ـ هذه الكلمة التي يبكي فيها سبط الرسول، وما أصاب عترته ـ ﷺ من أهوال ومصائب، كانت قاصمة الظهر للمسلمين: (. . فيا أسفاً على المصائب مرة، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرة؛ وإن بوله يجري على صدر النبي ـ ﷺ ـ ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن؛ يا لله، ويا للمسلمين. . . ! أردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد، فأرقنا دم الحسين، فجاءت مصيبة لا يجبرها سرور الدهر. . .[280] !

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب؟[281]

---

(278) انظر الإعلام لعباس بن إبراهيم 101/4 ـ 102 ـ نشر المطبعة الملكية.

(279) انظر العواصم من القواصم 171/2 ـ 174.

(280) نفس المصدر.

(281) انظر «درر السمط في خبر السبط» ـ لابن الأبّار، طبع تطوان.

وبعد، فهذه دراسة، حاولت فيها إبراز أهم الجوانب من حياة الإمام القاضي أبي بكر بن العربي - بالقدر الذي أسعفت به المصادر، وعولت - أكثر - على آثاره، وما يرويه هو بنفسه، وأرجو أن أكون وفقت إلى ما أردت، وعلى الله قصد السبيل.

القسم الثاني

استخراج وتحقيق مختصر
"ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة"



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ينتظم كتاب «الرحلة، للترغيب في الملة» ـ جانبين:

جانباً علمياً، تحدث فيه مؤلفه عن الشيوخ الذين أخذ عنهم، ودون رواياتهم؛ وعن المراكز الثقافية بالمشرق العربي، وفيما مر به من أقطار إفريقيا، ووصف ذلك وصفاً دقيقاً؛ وهذا الجانب هو الذي أثبت خلاصته في مقدمة «قانون التأويل» ـ عندما ضاع منه أصل الكتاب، ولأهميته ارتأينا أن نجرده، ونقوم بتحقيقه ـ تكملة للدراسة التي وضعتها عن القاضي ابن العربي.

وجانباً آخر ـ وأعني به الجانب السياسي، تناول فيه أعماله السياسية، والدور الذي قام به هو ووالده في دار الخلافة ببغداد من أجل الوحدة الإسلامية؛ واستصدرا ـ في هذا الصدد ـ من الخليفة العباسي المستظهر بالله مراسيم وتوصيات، وعززا ذلك بفتاوى وخطابات من علماء الإسلام تزكي أعمالهما، وتوصي بالاعتناء بشأنهما، وإنزالهما المنزلة اللائقة بهما؛ وقد جرد هذا الجانب في أوراق خاصة تحمل عنوان: «شواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان»، تحدثت عنها بشيء من التفصيل في قسم الدراسة.

النسخ الخطية وعملنا في التحقيق:

يقوم تحقيق هذا المختصر على نسختين:

1 ـ نسخة خطية بمكتبة حاجي سليم آغا ـ بإستانبول ـ ضمن مجموع يحمل رقم (449)، وهي نسخة كاملة كتبت في العشر الأول من ذي القعدة سنة (741 هـ)، ونرمز إليها بحرف (أ) ـ وقد جعلتها الأصل.

2 ـ نسخة خطية للكتاني ـ وهي ناقصة، والموجود منها ما يتصل بالرحلة، مع بعض فصول من كتاب «قانون التأويل» وأرمز إليها بحرف (ب).

أما عملي في التحقيق، فقد حاولت توثيق النص وإخراجه على الوجه اللائق، وأثبت في الحاشية ما بين النسختين من فروق، واكتفيت بشرح ما يحتاج إلى شرح من ألفاظ وعبارات ـ وما أكثرها في أسلوب ابن العربي!.

وعرفت بمعالم وأعلام وردت في النص، وأحلت على مصادرها؛ وذيلته بفهارس تضمنت:

1 ـ فهرس الموضوعات.
2 ـ فهرس الأعلام.
3 ـ فهرس الكتب الواردة في المتن.
4 ـ فهرس القبائل والشعوب والطوائف.
5 ـ فهرس البلدان والأماكن.
6 ـ فهرس مصادر التحقيق.

المحقق

مختصـــــر
«ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة»
للقاضي أبي بكر بن العربي

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

قال الإمام أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي ـ قدس الله روحه، ونور ضريحه[1] ـ: إن الله ـ سبحانه ـ له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر؛ ـ يسر لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتبنا بيانه في كتاب «ترتيب الرحلة، للترغيب في الملة»[2]، فلما شذ[3] في معرض المقادير، واستلبته الحوادث[4] بما سبق في علم الله من التدبير؛ رأينا أن

---

(1) جملة (ونور الله ضريحه) ساقطة في ب.

(2) نسبه الغبريني ـ خطأ ـ في كتابه «عنوان الدراية» ص 168 إلى محيي الدين بن العربي الحاتمي، ووقع شرف الدين المغيلي (ت 746 هـ) في وهم: ـ أن كتاب «قانون التأويل» هو نفس كتاب «ترتيب الرحلة»، فاختصره على هذا الأساس؛ وجاء في مقدمته قوله: ولما قضيت أربي من اختصار «سراج المريدين»، ظفرت بتصنيف آخر للقاضي أبي بكر بن العربي سماه «ترتيب الرحلة في طلب العلم»، ويوجد هذا المختصر بالخزانة الحسنية ضمن مجموع رقم (12852).

(3) شذ: تفرق وذهب.

(4) تشير بعض المصادر إلى أن ابن العربي لما تسورت عليه الغوغاء داره أيام قضائه ـ بإشبيلية، استلبت متاعه، وأحرقت كتبه، وربما كان من بينها كتاب «ترتيب الرحلة». انظر بيوتات فاس الكبرى ص: 61.

نجدد[5] منه ما سلم في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر؛ ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل ما تأوب وسرى؛ وحجة لمن قال: قد تعدى من تمنى، أن يكون مثل من تعنّى!

ذكر ابتداء طلب العلم:

عجباً لقوم يقادون بالحكمة إلى الحكمة[6]، وإلى العلم بالسلاسل؛ وآخرين مهملين ـ بالعدل ـ على الاسترسال في الشهوات، والتخلي في غمرة البطالات[7]؛ ولما خلق الإنسان من نتن وقذر[8] بسابق القدر، ثم حلي بعقل وسمع وبصر[9]؛ كانت الرذيلة صفة لازمة، وعادت الفضيلة مكتسبة ـ وقد خلق على الفطرة[10]؛ وصار من أصل يكون عليه، وفرع يقاد[11] إليه؛ وكان من حسن قضاء[12] الله، أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند

= وذهب الدكتور إحسان عباس إلى أن ضياعه كان بالقدس، ولا ندري ما مستنده في ذلك؟

أنظر بحثه المنشور بمجلة «الأبحاث اللبنانية» س 21 ج 1 ص 59 .

(5) نجرد : أ ، نجدد : ب ـ وهي أنسب .

(6) ـــ الحكمـة الأولى ـ بالتحريك ـ : حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه .
أنظر النهاية لابن الأثير (حكم) 1/419 - 420 .

(7) لعله يشير إلى حديث : «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود .
قال الغزالي : المراد بالسلاسل : الأسباب ، وأطال في ذلك .
أنظر فيض القدير ـ للمناوي 4/302 - 303 .

(8) تلميح ألى قوله ـ تعالى : ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا﴾ ـ الآية : 2 ، سورة الإنسان .

(9) بسمع وبصر وعقل: أ ، بعقل وسمع وبصر : ب ـ وهي أنسب .

(10) يشير إلى حديث : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .
أخرجه أبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث الأسود بن سريع .
أنظر فيض القدير 5/33 - 34 .

(11) يقاد : أ ، يعاد : ب .

(12) قضاء : أ ، قدر : ب .

ريعان النشأة؛ رتب لي أبي ـ رحمه الله ـ معلماً لكتاب الله، حتى حذقت القرآن الكريم[13] في العام التاسع.

ثم قرن بي[14] ثلاثة من المعلمين، أحدهم لضبط[15] القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله فيه[16]، ونبه الصادق ـ ﷺ ـ عليها في قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف[17] ـ في تفصيل فيها. والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحسبان؛ فلم يأت علي ابتداء الأشد[18] في العام السادس عشر من العدد، إلا ـ وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة، بما يتبعها[19] من إدغام وإظهار، وقصر ومد، وتخفيف وشد، وتحريك وتسكين، وحذف وتتميم، وترقيق وتفخيم[20]؛ وقد جمعت من العربية فنوناً، وتمرنت[21] فيها تمريناً؛ منها: كتاب الواضح[22]، والجمل[23]، والإيضاح

(13) كلمة (الكريم) ساقطة في ب.

(14) لي : أ ، بي : ب ـ وهي أنسب.

(15) لضبط : أ ، بضبط : ب.

(16) من شيوخ ابن العربي في القراءات السبع : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان المقرىء، وقد أخذ عنه بحضرة إشبيلية.
أنظر ابن بشكوال، الصلة : 532 - 533.

(17) أخرجه بهذا اللفظ أحمد والترمذي من حديث أبي، وقد اختلفوا في معنى الأحرف اختلافاً بيناً، ومن هنا أفرده ابن العربي بتأليف خاص. أنظر العارضة 60/11، والعواصم من القواصم 193/2.

(18) الأشد ـ بفتح فضم ـ مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة ـ إلى معان أخرى.
أنظر لسان العرب، وتاج العروس (شدد).

(19) يتبعها : أ ، يتبع فيها : ب.

(20) أنظر الرعاية لمكي بن أبي طالب ص: 219 ـ 235. والتيسير للداني ص: 30 - 32، 41 - 45، 55 - 58، 69، 71. والإقناع لابن الباذش 1 / 238، 253، 342، 345، 460 - 484، 485، 491، 545، 548.

(21) تصرفت: أ، تمرنت: ب ـ ولعلها أنسب.

(22) الواضح لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت 379 هـ).
انظر القفطي انباه الرواة 18/3، وفهرسة ابن خير: 311، وكشف الظنون 1999/2.

(23) الجمل لأبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي، وقد اهتم به الأندلسيون =

للفارسي[24]، وكتابا[25] النحاس[26]، والأصول لابن السراج[27] والدريود[28]؛ وسمعت كتاب الثمالي[29]، وكتاب الصناعة الأصلي الذي أنهاه الخليل إلى سيبويه، ثم[30] تولى سيبويه نظمه وترتيبه[31].

وقرأت من الأشعار جملة، منها: الستة[32]، وشعر الطائي[33]،

= والمغاربة بعامة ، ووضعوا عليه شروحاً وتعاليق ، منها : إصلاح الخلل ، الواقع في كتاب الجمل لأبي محمد البطليوسي ، انظر فهرسة ابن خير ص : 308, 345.

(24) كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، انظر فهرسة ابن خير ص : 309 ، وإنباه الرواة 16/2 .

(25) كتابا : أ ، كتاب : ب .

(26) لعله يعني بكتابي ابن النحاس : الكافي، والمقنع، وقد اشتهرا بالأندلس . انظر فهرسة ابن خير ص : 309 ، وإنباه الرواة 100/1 .

(27) انظر فهرسة ابن خير ص 307 - 308 ، وإنباه الرواة 145/3 ، وكشف الظنون 111/1 .

(28) تصغير درود وهو عبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم القرطبي (ت 324 هـ) ، له كتاب في النحو شرح به كتاب الكسائي ، واعتنى به الأندلسيون ودرسوه ، انظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص 323 ، والضبي بغية الملتمس ص : 331 ، وابن خير الفهرسة : 314 ، وابن الابار التكملة 1 / 778 ، والسيوطي بغية الوعاة ص 283 .

(29) الثمالي ـ بضم الثاء وفتح الميم ـ نسبة إلى ثمالة : بطن من الأزد ، ويعني به أبا العباس المبرد (ت 285 هـ) ، ومن مؤلفاته في النحو «المقتضب» وهو من الكتب النحوية التي اعتنى بها الأندلسيون .

أنظر طبقات الزبيدي : 108 ، وفهرسة ابن خير ص : 307 .

(30) جملة (ثم تولى سيبويه) ساقطة في ب .

(31) أنظر عن كتاب سيبويه واهتمامات الأندلسيين به ـ : فهرسة ابن خير ص : 305 - 307 .

(32) يعني بالأشعار الستة : شعر امرىء القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وعنترة ، وزهير ، وطرفة ـ برواية الأصمعي ،وشرحها جماعة من الأندلسيين ، منهم : الأعلم الشنتمري ، وعاصم بن أيوب البطليوسي . أنظر فهرسة ابن خير ص : 388 - 389, 398 .

(33) يعني به أبا تمام .

والجعفي[34]، وكثيراً[35] من أشعار العرب والمحدثين.

وقرأت من اللغة كتاب ثعلب[36] وإصلاح المنطق[37]، والأمالي[38]، وغيرها؛ وسمعت جملة من الحديث على المشيخة[39].

وقرأت في علم الحسبان المعاملات[40] والجبر[41] والفرائض

---

(34) أراد به أبا الطيب المتنبي.

(35) ويسيراً : أ ، وكثيراً : ب ـ ولعلها أنسب.

(36) وسماه ابن خير كتاب اختيار فصيح الكلام ، وهو لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ).

انظر طبقات الزبيدي ص 155-167، وفهرسة ابن خير: 336-339، وبغية الوعاة: 172-174.

(37) إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت (ت 244 هـ).

انظر طبقات الزبيدي : 221 - 223 ، وفهرسة ابن خير ص : 330 - 333 وص : 415 - 416 ، وبغية الوغاة : 418 - 419.

(38) الأمالي لأبي علي القالي (ت 356 هـ) ، كان للأندلسيين اعتناء خاص به ، ولأبي عبيد البكري شرح عليه أسماه « اللآلي ، على الأمالي»، كما له كتاب «التنبيه على أوهام أبي علي».

انظر فهرسة ابن خير ص 326.

(39) ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن العربي ببلده إشبيلية ـ وكان عالي الرواية ـ أبو زيد محمد بن محمد الحميري ، قال أخذت عنه سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، أي قبل رحلته بعام.

انظر الصلة ص 527.

(40) عرفها ابن خلدون بأنها تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه للعدد من المعاملات ، قال : ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الأندلس تآليف فيها متعددة ، من أشهرها : معاملات الزهراوي ، وابن السمح ، وأبي مسلم بن خلدون من تلاميذ مسلمة المجريطي . المقدمة : 872.

(41) الجبر والمقابلة هو الاسم الذي أطلقته كتب الحساب العربية على طريقة حل المعادلات . انظر دائرة المعارف الإسلامية 274/6.

ـ عملاً[42]؛ ثم كتاب إقليدس[43] وما يليه إلى الشكل القطاع[44]، وعدلت بالأزياج الثلاثة[45].

ونظرت في الأسطرلاب[46]، وفي مسقط النقطة ونحوه[47].

يتعاقب عليَّ هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى أذان[48] العصر، ثم ينصرفون عني وآخذ في الراحة إلى صبح اليوم الثاني[49]، فلا تتركني نفسي ـ فارغاً من مطالعة أو مذاكرة أو تعليق فائدة؛ وأنا بغرارة[50] الشباب أجمع من هذه[51] الجمل ما يحمل وما لا يحمل، والقدر يخبأها عندي

---

(42) قال ابن خلدون : هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعددت ، ومن أحسن ما ألف فيها كتاب القاضي أبي القاسم الحوفي ، وقد شرحه أبو عبد الله السطي كبير مشيخة فاس . انظر المقدمة ص 873 .

(43) ويسمى كتاب الأصول وكتاب الأركان ـ وهو أبسط ما وضع فيها للمتعلمين . المقدمة : 874 ، وانظر الفهرست لابن النديم .

(44) القطاع ـ بفتح القاف وتشديد الطاء ـ قطعة من الدائرة رأسها : إما على مركزها ، وإما على محيطها .
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص 120 .

(45) الأزياج : صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه.
انظر المقدمة : 879 - 880 .

(46) الاسطرلاب : كلمة يونانية الأصل ، أطلقت على عدة آلات فلكية ، وقد اهتم به الأندلسيون اهتماماً زائداً ـ ويسمى نوع منه بـ (العبادية) نسبة إلى عباد ملك إشبيلية . (ت 484هـ) انظر دائرة المعارف الإسلامية 114/2 - 116 .

(47) انظر في أنواع الاسطرلاب المرجع السابق 117/2 - 118 .

(48) صلاة : أ ، اذان : ب ـ وهي أنسب .

(49) كذا في النسختين ، ولعل الأنسب : التالي ـ بالتاء واللام .

(50) بغرارة : أ ؛ بغزارة : ب .

(51) من هذه : أ ، هذه ـ بإسقاط (من) : ب .

للانتفاع بها في الرد على الملحدين، والتمهيد لأصول الدين[52]؛ ثم حالت هذه الحالة الخاصة بالاستحالة العامة عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانين وأربعمائة[53]، ووقع علينا من تلك الحوادث ما كان مدة أسف فوقنا، وصاب بأرضنا شؤبوب[54] فتنة، فأطال ما دارت سحابه بنا؛ فانصدع الالتئام، وتبدد ذلك النظام، وكان لنا خيرة[55] وللإسلام، ولم يمكن[56] بأرضنا المقام.

ذكر الرحلة في طلب العلم:

فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا ـ والأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تنزع لنا[57]؛ وفي علم الباري ـ جلت قدرته ـ أنه ما مر عليّ يوم من الدهر كان أعجب عندي، من يوم خروجي من بلدي، ذاهباً إلى ربي؛ ولقد كنت مع غزارة[58] السبيبة[59]، ونضارة الشبيبة[60]؛ أحرص على طلب العلم في الآفاق، وأتمنى له حال الصفاق[61]؛ وأرى أن التمكن من ذلك في جنب

---

(52) يأتي للمؤلف أنه عندما دخل بيت المقدس حاور أصحاب الديانات ومختلف الطوائف: (وكنا نفاوض الكرامية، والمعتزلة، والمشبهة، واليهود وخاصمنا النصارى).

(53) انظر في دخول المرابطين إشبيلية: المعجب ص 140 - 143، والبيان المغرب 122/4، والروض القرطاس 75/2، وتاريخ ابن خلدون 385/6.

(54) شئبوب الفتنة: شدة اندفاعها.

(55) حسرة: أ، خيرة: ب ـ وهي أنسب.

(56) يمكن: أ، يكن: ب.

(57) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾.

(58) غزارة: أ، غرارة: ب.

(59) السبيبة: الخصلة من الشعر.

(60) الشبيبة: أ، السبيبة: ب.

(61) صفق الرجل: ذهب، ومنه حديث لقمان بن عاد حين وصف أخاه: (صفاق آفاق) ـ أي يضرب في الأرض مكتسباً، والصفاق: الكثير الأسفار.

ذهاب الجاه والمال، وبعد الأهل بتغير[62] الحال؛ ربح في التجارة، ونجح في المطلب.

وكان الباعث على هذا التشبث[63] ـ مع هول الأمر ـ همة لزمت، وعزمة نجمت[64]، ساقتها رحمة سبقت.

ولقد كنت يوماً مع بعض المعلمين، فجلس إلينا أبي ـ رحمة الله عليه ـ يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه، مع عظيم أشغاله[65]؛ وجلس بجلوسه من حضر من قاصديه، فدخل إلينا[66] أحد السماسرة ـ وعلى يديه رزمة كتب، فحل شناقها[67]، وأرسل وثاقها، فإذا بها[68] من تأليف السمناني[69] شيخ[70] الباجي؛ فسمعت من جميعهم[71] يقولون: وهذه كتب عظيمة، وعلوم جليلة، جلبها الباجي من المشرق؛ فصدعت هذه الكلمة كبدي، وقرعت خلدي؛ وجعلوا يوردون في ذكره[72] ويصدرون، ويحكون[73] أن فقهاء بلدنا لا يفقهون[74] عنه ولا يعقلون؛ وناهيك من أمة

(62) بتغير : أ ، بتغيير : ب .

(63) السبب : أ ، التشبث : ب ـ وهي أنسب .

(64) نجمت : أ ، لجمت : ب ـ ومعنى نجمت : ظهرت وطلعت .

(65) أشغاله : أ ، اشتغاله : ب.

(66) كلمة (إلينا) ساقطة في ب .

(67) الشناق : الحبل أو الخيط الذي يربط به .

(68) بها : أ ، هي : ب .

(69) هو أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني ، من أئمة الأشاعرة (ت444 هـ) أنظر ابن أبي الوفاء ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية 12/2 ، والصفدي ، نكت العميان ص 273 .

(70) والباجي : أ ، شيخ الباجي : ب ـ وهي أنسب .

(71) جميعهم : أ ، من جميعهم : ـ بزيادة (من) : ب .

(72) جملة (يوردون في ذكره) ساقطة في ب .

(73) ويحكون : أ ، ويحكمون : ب .

(74) يفهمون : أ ، يفقهون : ب ـ وهي أنسب .

يجلب إليها هذا القدر[75] الطفيف، فلا يكون أحد[76] منهم يضاف إليه إلا بصفة العاجز الضعيف؛ ونذرت في نفسي طية: لئن ملكت أمري لأهاجرن إلى هذه المقامات، ولأفدن على أولئك الرجالات، ولأتمرسن بما لديهم من العقائد والمقالات؛ واستمررت عليها نية، واكتتمتها[77] عزيمة غير مثنوية[78]؛ فلما وقعت هذه الحال، كنت ـ مع تفاقم الخطب وتعاظم الأمر، الواردين عليّ نعمة سابغة، ونقمة بالغة؛ أتسلى بما كان في طيتي من الرحلة، فترى كل من فقد نعمة يبتئس، وإذا نظرت إليّ وجدتني[79] أتأنس.

فخرجنا مكرمين، أو قل مكرهين؛ آمنين، وإن شئت خائفين؛ وفررت منهم لما خفتهم[80]، فوهب لي ربي حكماً وجعلني[81] من العالمين[82]، وكتبني في[83] أتباع من قال: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾[84].

ذكر ما لقيته في العلم من المتمرسين[85] والعلماء الراسخين ـ في أثناء رحلتي المشار إليها:

فكان أول بلد دخلت مالقة[86]، فألفيت بها[87] أمة رأسهم

---

(75) القدر: أ، الضرر: ب.

(76) أحد منهم: أ، منهم أحد: ب.

(77))٧٧٧(واكتتمتها: أ، وأكننتها: ب.

(78) غير مثنوية: أ، غير ذات مثنوية ـ بزيادة (ذات) ـ ب.

(79) وجدتني: أ، وحدتي: ب.

(80) منكم لما خفتكم: أ، منهم لما خفتهم: ب ـ وهي أنسب.

(81) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين» ـ الآية: 21 سورة الشعراء.

(82) العالمين: أ، العالين: ب.

(83) من: أ، في: ب ـ وهي أنسب.

(84) الآية: 99 ـ سورة الصافات.

(85) المرسلين﴾ ـ أ، المتمرسين: ب ـ وهي أنسب.

(86) مالقة: من المدن الساحلية بالأندلس، أنظر: الروض المعطار ص 177، ومعجم البلدان 43/5، وصبح الأعشى 218/5.

(87) بها: أ، فيها: ب.

الشعبي[88]، أشهر ما عنده نسبه، وعنده رواية ومسائل؛ ولديه حشمة، وله عند الأمراء جاه؛ ثم طفرت[89] من[90] أغرناطة[91] إلى المرية[92]، فرأيت بها رجالات المسائل والقراءات، وأدباء متوسطي المنزلة ـ بين درجتي التقصير والكمال؛ ـ في أيام قلائل لبثت بها لم أخبر[93] حالهم، فربك أعلم بهم، إلا أني جالست قاضيها ومقرئها ابن شفيع[94]؛ وركبت البحر محفوزاً[95]، فأرفأنا إلى بجاية[96]، فرأيت فيها جماعة من أهل المسائل؛ ولقيت محمد بن عمار الميورقي[97] رأساً فيهم، (مشاركاً)[98] في معارف وحديث، ومسائل وأدب،

(88) أبو المطرف عبد الرحمان بن قاسم، كان فقيهاً ذاكراً للمسائل، شوور ببلده في الأحكام، وكانت وفاته سنة (497 هـ).
انظر ابن بشكوال الصلة: 329، وبغية الملتمس: 35، والنباهي المرقبة العليا: 107، قال: وجرت بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي ـ عند اجتيازه على مالقة ـ مناظرة في ضروب من العلم.
(89) الطفرة: الوثبة في ارتفاع.
(90) من: أ، إلى: ب.
(91) أغرناطة: أ، غرناطة: ب ـ وهي مدينة بينها وبين وادي آش ـ أربعون ميلا.
انظر الروض المعطار ص: 23، ومعجم البلدان 195/4، وصبح الأعشى 213/5.
(92) المرية: من مدن الأندلس الشاطئية، بناها الناصر لدين الله سنة (344 هـ).
انظر الروض المعطار: 183 - 184، ومعجم البلدان 195/4، وصبح الأعشى 119/5.
(93) اخبر: أ، اختبر: ب.
(94) أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع، شيخ صالح، مقرىء حاذق مجود.
انظر الصلة: 355، وبغية الملتمس: 373، وغاية النهاية: 394/1.
(95) محفوزاً: أ، مجوزاً: ب.
(96) بجاية من المدن الساحلية بالقطر الجزائري.
انظر البكري، «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»: 82، وتاريخ ابن خلدون 43/6.
(97) الكلاعي أبو عبد الله، كان عالماً متفنناً، قال ابن الأبار: سمع منه أبو بكر بن العربي في رحلته إلى المشرق سنة (485هـ) ـ ووصفه بالعلم، انظر التكملة 403/1، والنفح 60/2.
(98) كلمة (مشاركاً) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

وربما كانت عنده في الأصول إشارة على منوال[99] الباجي ونظرائه؛ ولقيت خاصة دولتها، ورأيت رأس وزعتها[100] القاسم بن عبد الرحمان رواء وروية، وإتقاناً في الأدب، وقوة في الصناعة الكتابية؛ جمال قطره، أو قل: جلال عصره؛ قصدنا إلى منزله[101] ـ وهو على محل من الدولـة عظيم، وفي رؤسائها مقدم زعيم؛ في حجرة بخان السلطان كنا تبوأناها، ولم ير عليه في ذلك غضاضة، كما يفعله من كان في المعلوات فراضة[102]؛ فسألنا عن حالنا وطريقنا ومقصدنا، وتفاوضنا معه ـ والحديث يسحب ذيله، ويولج في نهاره ليله، وهو في أكثر كلامه ينتحي قيله[103]؛ والكلام ـ كما جاء في المثل ـ ذو شجون[104]، وفيه الصفاء والأجون[105]، ولا يستنكر[106] فيه الجد والمجون؛ حتى وقعنا في حديث[107] جريج، فقلت له: سمعت التنوخي[108] شيخ

---

(99) ثبت في ب زيادة (لا تومىء إلى المراد منسوجة) ولم نثبتها في الصلب، لأنها لا تناسب المقام.

(100) وزعتها : أ ، رزمتها : ب ، والوزعة جمع وازع ـ وهو الموكل بالصفوف العسكرية يتقدم الصف فيصلحه ، ويقدم ويؤخر .

(101) منزلنا : أ ، منزله : ب ـ ولعلها أنسب .

(102) فراضة : أ ، قراضة : ب ـ والفراضة بالفاء ـ فضلة ما يفرض الفارض من خبز وغيره ، بمعنى أنه ما له في المعلـوات إلا نصيب يسير .

(103) لم نقف على ترجمة القاسم بن عبد الرحمان هذا ، ولعله ينتمي إلى بني قيلة الأنصار .

(104) ولفظ المثل : الحديث ذو شجون ـ أي ذو طرق ، يضـرب في الحديث يتذكر به غيره ، وأول من قال هذا المثل : ضبة بن أد .
انظر مجمع الأمثال للميداني 197/1 .

(105) الأجون : التغير ، فالآجن ضد الصافي .

(106) يستنكر: أ، يستكثر: ب.

(107) يعني قصة جريج الراهب الذي اتهمته امرأة بأنه أبو الطفل الذي وضعته ، فجيء بمهد الصبي ، فخاطبه قائلاً : يا بابوس من أبوك ؟ فقال الصبي : الراعي فلان ، والبابوس : الصبي الرضيع .
والحديث أخرجه الشيخان : البخاري ومسلم ـ مع اختلاف يسير .

(108) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن مهدي ، من أهل إشبيلية ، يعرف بابن الأخضر ، وكان من أهل المعرفة باللغة والآداب . (ت514 هـ) .
أنظر الصلة 404، وبغية الملتمس: 412.

العربية عندنا يقول: ليس في كلام العرب اسم فيه فاء الفعل وعين الفعل حرفاً واحداً إلا قوله في هذا الحديث يا بابوس.

فقال على البديهة: وأين هو من دد[109]؟ فأعجبني[110] استدراكه في بلده ـ وهو فتى ـ على شيخ بلدي في معرفته وسنه؛ وكان ذلك مما رغبني في تحصيل العربية وضبط غريب الحديث، وقرأنا فيها كتاب[111] أبي داود رواية التمار[112].

ثم خرجنا[113] عنها متساحلين، نقطع البحر قطع القفر وحالة مصحرين؛ نطوي السباسب[114]، طي التجار السبائب؛ فلقيت ببونة[115] ـ فقيهها المسمى بسعد[116] من أصحاب السيوري[117] شيخ متوسط في الطريقة.

---

(109) والدد محذوف اللام (ددو) ومعناه : اللهو واللعب .

(110) فأعجبني : أ ، فعجبني : ب .

(111) يعني به سنن أبي داود ـ وهو من السنن الأربعة المشهورة .

(112) هو محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار ، المشهور بابن داسة ، وروايته هي المشهورة بالمغرب ، كما نجد عند ابن عبد البر في التمهيد .

وانظر في روايات سنن أبي داود ـ فهرسة ابن خير : 102 - 107 .

(113) خرجت : أ ، خرجنا : ب ـ وهي أنسب .

(114) السباسب جمع سبسب : المفاوز ، والسبائب جمع سبيبة : الخصلة من الشعر ، ولعله يعني بها ـ هنا ثياب التجارة .

(115) بونة ـ وتعرف بعنابة : مدينة ساحلية بالقطر الجزائري ، وكانت تعد من أكبر الموانىء الشرقية .

أنظر البكري : 54 ,82 ,84 ، ومعجم البلدان 512/1 .

(116) لم نقف على ترجمته .

(117) أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث، كان فقيهاً متضلعاً، زاهداً ديناً. (ت 460 هـ).

انظر المدارك 665/8، ومعالم الإيمان 181/3، والديباج 122/2، وشجرة النور 97/1.

ودخلنا تونس[118] فكان بها قوم دون هذا[119] الشيخ في المرتبة، وعندهم صلاح وإقبال على الأعمال.

ثم دخلت سوسة[120] والمهدية[121] فلقيت بهما جملة من أصحاب السيوري وغيرهم من فقهاء القيروان[122]، كابن حبيب[123]، وحسان[124]، واللبيدي[125]، وأبي الحسن بن الحداد[126] في القراءات والأدب والكلام؛ ومن أصحاب ابن القديم[127] جملة، وكان متكلماً مخصوصاً به؛ فلما لمح

(118) تونس: عاصمة القطر التونسي اليوم، انظر المؤنس في أخبار إفريقية وتونس: 7-8، والحلل السندسية 559/3، ومعجم البلدان 60/2، واتحاف أهل الزمان 1/ 146- 147.

(119) ديون هذا الشيخ: أ، دون الشيخ ـ بإسقاط كلمة (هذا): ب.

(120) سوسة: مدينة معروفة بتونس، اشتهرت منذ القدم بالصناعة وإليها تنسب الثياب السوسية.
انظر معجم البلدان 173/3، والحلل السندسية 295/2.

(121) المهدية: مدينة ساحلية بتونس، بناها عبد الله المهدي رأس العبيديين.
انظر معجم البلدان 229/5 - 232.

(122) القيروان: مدينة بتونس اختطها عقبة بن نافع أيام معاوية.
انظر معجم البلدان 420/4، والحلل السندسية: 244.

(123) لعله يعني به محمد بن حبيب المهدوي القلانسي، شاعر تميم بن المعز الصنهاجي.
انظر خريدة القصر 162/1، 164.

(124) أبو علي حسان البربري المهدوي، مفتيها وفقيهها.
انظر شجرة النور: 126.

(125) أبو بكر محمد بن عبد الرحمان اللبيدي، كان من أهل العلم والأدب، معظماً في الناس بنفسه وأبيه.
انظر ترتيب المدارك 69/8، والحلل السندسية: 340.

(126) علي بن محمد بن ثابت الخولاني الحداد الإمام المقرىء، حضر ابن العربي عليه كتابه (الإشارة) وشرحها له وغير ذلك من تآليفه.
انظر شجرة النور: 118، ورحلة التجاني 320، ومعجم البلدان 231/5.

(127) كذا في النسختين، ولعل الصواب (ابن الصائغ)، ومن أصحابه الذين أخذ عنهم ابن العربي ـ أبو عبد الله المازري.
انظر شجرة النور: 136.

لي هذا الكوكب بطريقة القيروان، واستنارت لي فيها بنوع من البرهان، واستبرأتها بواضح من[128] الدلالات غض النبات والأفنان[129]؛ قلت: هذا مطلبي، فأخذت في قراءة شيء من أصول الدين، والمناظرة فيها مع الطالبين، ولزمت مجالس[130] المتفقهين، وكان فيها الأدب على حالة وسطى.

فلما حان وقت إقلاع المركب[131] في البحر إلى ديار الحجاز[132]، اعتزمنا فركبناه بعد أن وعيت جملاً من المعلومات، تفسيرها في موضعها مسطور؛ فركبناه وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا (البحر)[133] بزوله[134]، ويغرقنا في هوله؛ فخرجنا من البحر، خروج الميت من القبر؛ وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب[135] بن سليم ونحن من السغب، على عطب؛ ومن العري، في أقبح زي؛ وقد قذف البحر[136] بزقاق[137] زيت مزقت الحجارة هيئتها، ودسمت الأذهان وبرها وجلدتها؛ فاحتزمناها أزراً، واشتملناها ألفافاً؛ تمجنا الأبصار، وتخذلنا الأنصار؛ فعطف أميرهم علينا عرق كان فيه[138] من الحضرية[139]، وخفرنا[140] بحرمة أورثتها عنده[141] سجية

---

(128) كلمة (من) ساقطة في ب .

(129) النبات والافنان : أ ، الافنان والنبات : ب .

(130) مجالس : أ ، مجلس : ب .

(131) المراكب : أ ، والمركب : ب ـ ولعلها أنسب .

(132) يبدو من سياق المولف أن اتجاه رحلته كان إلى الحجاز ـ وربما لاداء فريضة الحج ، ويعضده قوله ـ بعد ـ (فقد رحلت طالب علم وحج).

(133) كلمة (البحر) ساقطة في أ ، ثابتة في ب ، والمعنى يقتضيها .

(134) الزول: العجب، انظر عن هول البحر ـ الأحكام ص 811 ، ورحلة ابن جبير ص : 9.

(135) انظر عن بني كعب ونزول ابن العربي عليهم ببرقة ـ تاريخ ابن خلدون 144/6 .

(136) كلمة (البحر) ساقطة في ب .

(137) بزقاق : أ ، زقاق : ب .

(138) كلمة (فيه) ساقطة في ب .

(139) الحضر : أ ، الحضرية : ب ـ وهي أنسب .

(140) خفره: أجاره ومنعه وأمنه.

(141) عنده : أ ، عنه : ب .

مصرية؛ إذ كان نشأ في ديار الاسكندرية[142]، ودرت عليه هنـاك الدرة الدينية؛ فأوينا إليه فآوانا، وأطعمنا الله على يديه وسقانا[143]، واحتملنا[144] وكسانا؛ لأمر[145] حقير طفيف، وفن من العلم طريف[146]؛ وشرحه: أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه ـ وهو يدير أعواد الشاه، فعل السامد اللاه[147]؛ فدنوت منه في تلك الأطمار[148]، وسمح لي بيادقته إذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للأغمار[149]؛ ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم؛ إذ كان علق بنفسي بعض ذلك مـن بعض القرابة في خلس البطالة، مع غلبـة الصبوة[150] والجهالة؛ فقلت للبيادقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزراً[151]، وعظمت في عيونهم بعد أن كنت نزراً[152].

وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام فاستدعاني، فدنوت (منه)[153] وسألني[154]: هل لي بما هم فيه بصر، فقلت: لي فيه بعض نظر، سيبدو[55]

(142) مدينة في مصر من أكبر ثغور البحر الأبيض المتوسط ـ وهو مركز تجاري وثقافي، أسسه الاسكندر الكبير (ت 331 ق م).
أنظر المسالك والممالك للاصطخري ص 40، وياقوت الحموي، ومعجم البلدان 183/1 - 188، ودائرة المعارف الإسلامية 132/2 - 141.

(143) وسقانا: أ، وأسقانا: ب.

(144) واحتملنا: أ، وأخيلنا: ب.

(145) لأمر: أ، بأمر: ب.

(146) طريف: أ، خفيف: ب.

(147) سمد: رفع رأسه وصدره تكبراً، واللاهي: الغافل.

(148) فدنوت منه في تلك الأطمار: ا، فدنوت إليه في زي من الأطمار: ب.

(149) الأغمار ـ جمع غمر: الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(150) غلبة الصبوة: أ، غلبة موقع الصبوة: ب.

(151) شزر إلى الرجل: نظر إليه بجانب عينه مع إعراضه عنه.

(152) النزر: القليل الذي لا يؤبه به.

(153) كلمة (منه) ساقطة في أ.

(154) فسألني: أ، وسألني: ب ـ وهي أنسب.

(155) سيبدو: أ، وسيبدو: ب.

لك ويظهر؛ حرك تلك القطعة ففعل، وعارضه صاحبه؛ فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى؛ حتى هزمه الأمير، وانقطع التدبير[156]، فقالوا: ما أنت بصغير! وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير ـ منشداً:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي[157]

فقال: لعن الله أبا الطيب، أو يشك الرب؟ فقلت له في الحال: ليس كما ظن صاحبك ـ أيها الأمير، وإنما أراد بالرب[158] ههنا الصاحب؛ يقول[159]: ألذ الهوى ما كان العاشق فيه من الوصال، وبلوغ[160] الآمال، على ريب؛ فهو في وقته كله بين رجاء لما يؤمله، وتقاة لما يقطع به، كما قال:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب[161]؟

وأخذنا نضيف إلى ذلك[162] من الأغراض، في طرفي الإبرام والانتقاض، ما حرك منهم إلى مبرتي داعي الانتهاض؛ وأقبلوا يتعجبون مني، ويسألونني[163] كم سني، ويستكشفونني[164] عني؛ فبقرت لهم

---

(156) اختلف الفقهاء في لعب الشطرنج: فأجازه جماعة، ومنعه آخرون. انظر شرح المواق على قول خليل: (وإدامة شطرنج)، وقارنه مع ما في عارضة الأحوذي 137/7، وحاشية الرهوني على الزرقاني 359/7.

(157) انظر ديوان أبي الطيب بشرح البرقوقي 57/3.

(158) كلمة (ههنا) ساقطة في ب.

(159) تقول: أ، يقول: ب ـ وهي أنسب.

(160) وبلوغ الآمال: أ، وبلوغ الغرض من الآمال ـ بزيادة (الغرض ن) ب.

(161) قائله أبو حفص الشطرنجي، انظر شرح البرقوقي على ديوان المتنبي 58/3.

(162) جملة (إلى ذلك) ساقطة في ب.

(163) ويسألوني: أ، ويسألونني: ب ـ وهي أولى.

(164) ويستكشفوني: أ، ويستكشفونني: ب ـ وهي أنسب.

حديثي[165]، وذكرت لهم نجيثي[166]؛ وأعلمت الأمير بأن أبي معي فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مثواه؛ فخلع علينا خلعه، وأسبل أدمعه؛ وجاء كل خوان، بأفنان الألوان[167]؛ فقال لنا: لا تسرفوا، فإن الشبع بإثر الجوع معطب، وكأني بكم لم ينزل بكم سغب؛ وأقمنا عنده حتى ثابت إلينا نفوسنا، وذهب عنا بؤسنا[168]؛ وسألنا الإقامة عنده على أن يصير لنا صدقات بني سليم كلها، فأبينا إلا الاستمرار على العزيمة الأولى، والتصميم إلى المرتبة الكريمة التي كانت بنا أولى؛ ففارقناه[169] على ضنانة[170] بنا، وحرص علينا؛ وإلى الآن يرد[171] عليّ ذكره وسلامه، وينال كل من ذكرني عنده بره وإكرامه؛ فانظر إلى هذا العلم الذي هو إلى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب، كيف أنقذت من العطب؟! وهذا الذكر يرشدكم - إن عقلتم - إلى المطلب. وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر[172]، فألفينا بها

(165) بقر الشيء : شقه ، أي أفصح لهم عن خبره .

(166) النجيث : السر المخفي .

(167) يتشكك حسين مؤنس في هذه القصة ، ويرى أنه مبالغ فيها ؛ واعتقد انه لا داعي إلى هذا الاستغراب - ما دام شيخ بني كعب على جانب من الحضارة - كما يقول ابن العربي ، إذ هو نشأ بالديار المصرية ، وفي الاسكندرية بالذات ؛ على أن القصة أوردها ابن خلدون ، وهو أدرى بظروفها وأحوالها .
انظر التاريخ 144/6 ، وارجع إلى بحث الدكتور مؤنس المنشور بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية م 11 - 12 ص 140 - 141 .

(168) جملة (وذهب عنا بؤسنا) ساقطة في ب .

(169) ففارقناه : أ ، ففارقنا : ب - وكلا المعنيين صحيح .

(170) بنا : أ ، منا : ب .

(171) يعني حوالى سنة (533 هـ) - وهو تاريخ تأليف قانون التأويل الذي قدم لها بهذا المختصر من رحلته .
انظر العارضة 49/11.

(172) بما في ذلك الاسكندرية والقاهرة - وقد سمع شيوخ كل - رغم الجو الخانق الذي وجد عليه هذه الديار - كما يقول ، ومن شيوخ الاسكندرية الذي سمع منهم - أبو القاسم المهدي بن يوسف الوراق .
انظر فهرسة ابن خير ص 244 .

جماعة من المحدثين، والفقهاء والمتكلمين؛ والسلطان عليهم جري[173]، وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جري؛ لا ينبسون[174] من العلم ببنت[175] شفة، ولا ينتسب أحد منهم في فن إلى معرفة[176]، بله الأدب؛ فنظرنا فيه مع قوم، منهم: أبو عبدالله محمد بن قاسم العثماني، والسالمي[77]، وشعيب العبدري[178]، وآخرون سواهم، ذكرناهم في موضعهم وسميناهم[179]؛ وترددت في لقاء الناس بين أسفل وفوق، بما كنت فيه إلى المعارف من التوق؛ فناظرت[180] الشيعة[181] والقدرية[182]، وتدربت في جمل من الجدل[183]، ونظرت في نبذ من علم الكلام؛ وتفطنت من سخافة هذه الطائفة بنفسي إلى معان تممها لي النظر في

---

(173) كان السلطان في مصر آنذاك ـ وهو المستنصر الفاطمي (ت487 هـ) وتولى بعده المستعلي .
انظر الكامل لابن الأثير 235/2 - 236 .

(174) من : أ ، إلى : ب .

(175) بنت شفة ـ يعني كلمة .

(176) بله بمعنى (دع) ، انظر ابن هشام ، المغني 123/1.

(177) لم نقف على ترجمتهما .

(178) انظر ترجمته في الصلة : 229 .

(179) لعله ذكرهم في الأصل (ترتيب الرحلة).

(180) فناظرت : ب ، وناظرت : أ .

(181) ناظر ابن العربي الشيعة بديار مصر ، لأن الحكم فيها لبني عبيد ، وهم ممن ناصروا الشيعة على أهل السنة .
انظر في الشيعة مقالات الإسلاميين 65/1 ، والملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي .

(182) والقدرية مفردها قدري ـ وهو الذي يثبت القدرة لنفسه ويدعي خلقه لفعله ، ويخرج ذلك عن قدرة الله تعالى ومشيئته .
انظر العواصم من القواصم 87/1 ,121 ، وعارضة الأحوذي 295/8 .

(183 انظر التعريفات للجرجاني ص 66 ، ومقدمة ابن خلدون ص 820 ، وكشف الظنون 579/1 .

المعارف، والتمرس بالمشايخ؛ أمة غلب عليها سوء الاعتقاد، ونشأت ـ من غير فطم[184] ـ بلبن[185] العناد، واستولى اليأس منهم[186] بما هم فيه من الفساد[187].

ذكر دخول بيت المقدس[188]:

ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام[189]، وأملنا الأمام؛ فدخلنا الأرض المقدسة[190]، وبلغنا المسجد الأقصى[91]؛ فلاح لي بدر المعرفة، فاستنرت به[192] أزيد من ثلاثة أعوام[193]؛ وحين صليت بالمسجد الأقصى فاتحة دخولي له، عمدت إلى المدرسة الشافعية بباب الأسباط[194]؛ فألفيت بها جماعة (من)[195] علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي الرشيد يحيى[196]، الذي كان[197] استخلفه عليهم شيخنا الإمام الزاهد نصر بن

---

(184) فطم : أ ، فطن : ب .

(185) بلبن : أ ، بباب : ب .

(186) بما : أ ، على ما : ب .

(187) جملة (فيه من الفساد) ساقطة في ب .

(188) من القدس الذي هو التطهر والتنزه .

(189) انظر معجم البلدان 311/3 .

(190) الأرض المقدسة أي المباركة ، قيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وبيت المقدس منه .
انظر معجم البلدان 172/5 .

(191) انظر معجم البلدان 166/5 - 171 .

(192) به : أ ، بها : ب .

(193) كان دخوله بيت المقدس قبيل سنة (485 هـ) وسلخ به نحو أربعين شهراً .

(194) هو الباب الشرقي من سور المدينة .

(195) كلمة (من) ساقطة في أ ، وهي ثابتة في ب ، والمعنى يقتضيها .

(196) هو ـ كما يسميه ابن العربي ـ القاضي الرشيد يحيى بن مفرج المقدسي . انظر العواصم من القواصم ص 499 ـ تحقيق عمار طالبي ، وطبقات السبكي 324/4 .

(197) كلمة (كان) ساقطة في ب .

إبراهيم النابلسي المقدسي[198] - وهم يتناظرون على عادتهم، فكانت أول كلمة سمعتها من شيخ من[199] علمائهم يقال له مجلي[200] - : الحرم[201] بقعة لو وقع القتل فيها لاستوفي القصاص بها، وكذلك[202] إذا وقع في غيرها أصله[203] الحل.

فلم أفهم من كلامه حرفاً، ولا تحققت منه نكراً ولا عرفاً؛ وأقمت حتى انتهى المجلس، فكررت راجعاً إلى منزلي - وقد تأوبني حرصي القديم، وغلبني على جدي في التحصيل والتعليم؛ فقلت لأبي - رحمة الله عليه -: إن كان لك نية في الحج[204]، فامض لعزمك؛ فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها، وأجعل ذلك دستوراً للعلم وسلماً إلى مراقيها؛ فساعدني حين رأى جدي، وكانت صحبته لي من أعظم أسباب جدي؛ ونظرنا في الإقامة بها، وخزلنا[205] أنفسنا عن صحبة كنا نظمناها[206] بهم في المشي إلى الحجاز، إذ كانوا في غاية الانحفاز[207]؛ ومشينا[208] إلى

---

(198) أبو الفتح (ت 490 هـ).

انظر في ترجمته: العبر 328/3، والنجوم الزاهرة 106/5، ومعجم البلدان 172/5، وطبقات الشافعية 351/4، وشذرات الذهب 395/3.

(199) كلمة (من) ساقطة في ب.

(200) هو مجلي بن جميع القرشي المخزومي القاضي أبو المعالي (ت 550 هـ) انظر طبقات السبكي 300/4، وحسن المحاضرة 170/1، وشذرات الذهب 157/4.

(201) كلمة (الحرم) ساقطة في ب.

(202) وكذلك: أ، كذلك: ب.

(203) أصله: أ، أصلها: ب.

(204) هذا مما يؤيد أن خروج أبي محمد بن العربي - والد أبي بكر - كان أولاً بنية الحج، ثم طلب العلم لولده أبي بكر.

(205) وخزلنا: أ، وخذلنا: ب - ومعنى خزل الشيء قطعه.

(206) نظمنا: أ، نظمناها - ب.

(207) الانحفاز: الاندفاع.

(208) ومشيت: أ، ومشينا: ب - وهي أنسب.

شيخنا أبي بكر[209] الفهري[210] ـ رحمة الله عليه ـ وكان ملتزماً من المسجد الأقصى ـ طهره الله ـ بموضع يقال له الغوير[211] بين باب الأسباط ومحراب زكرياء[212] ـ عليه السلام ـ فلم نلفه به، واقتفينا أثره إلى موضع يقال له السكينة[213] فألفيناه بها؛ فشاهدت هديه، وسمعت كلامه، فامتلأت عيني وأذني منه؛ وأعلمه أبي بنيتي فأناب، وطالعه بعزيمتي ـ فأجاب، وانفتح لي منه إلى العلم كل باب؛ ونفعني الله به في العلم والعمل، ويسر لي على يديه أعظم أمل؛ فاتخذت بيت المقدس مباءة[214]، والتزمت فيه القراءة؛ لا أقبل على دنيا، ولا أكلم إنسياً؛ نواصل الليل بالنهار (فيه)[215]، وخصوصاً بقبة[216] السلسلة منه[217]؛ تطلع الشمس لي على[218] الطور[219] وتغرب في[220] محراب داود[221]، فيخلفها البدر طالعاً وغارباً على الموضعين المكرمين.

وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور المتناظرين

(209) جملة (أبي بكر) ساقطة في ب.

(210) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، ويعرف بابن درنقة ـ بالراء المهملة المفتوحة، وسكون النون، من كبار شيوخ أبي بكر بن العربي. (ت520 هـ).
أنظر الصلة: 545، والديباج: 276، ووفيات الأعيان 393/3. والنفح 85/2، 90.

(211) لم يذكره ياقوت في معجمه.

(212) انظر معجم البلدان 170/5.

(213) لم يذكره ياقوت.

(214) مباءة: أ، قراري: ب.

(215) كلمة (فيه) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

(216) بقبة: أ، في قبة: ب.

(217) انظر معجم البلدان 170/4.

(218) كلمة (لي) ساقطة في ب.

(219) يعني طورزيتا، انظر عارضة الأحوذي 46/9.

(220) على: أ، في: ب ـ وهي أنسب.

(221) انظر وصف ابن العربي لمحراب داود في أحكام القرآن: 1586.

من الطوائف، لا تلهينا تجارة، ولا تشغلنا صلة رحم؛ ولا تقطعنا مواصلة ولي، وتقاة[222] عدو.

فلم تمر بنا (إلا)[223] مدة يسيرة، حتى حضر عندنا بالغوير[224] ونحن نتناظر ـ فقيه الشافعية عطاء المقدسي[225]، فسمعني ـ وأنا أستدل على أن مد عجوة[226] ودرهماً بمدي عجوة لا يجوز؛ وقلت الصفقة[227] إذا جمعت مالي[228] ربا ومعهما أو مع أحدهما ما يخالفه في القيمة ـ سواء كان من جنسه أو من غير جنسه، فإن ذلك لا يجوز لما فيه من التفاضل عند تقدير التقسيط والتقويم والنظر[229] في المقابلة بين الأعواض ـ وهو أصل عظيم في تحصيل مسائل الربا؛ فأعجب الفهري ذلك، والتفت إلى عطاء وقال له: قيضت[230] فراخنا؛ فقال له عطاء: بل طارت! وذلك في الشهر الخامس أو السادس من ابتداء قراءتي[231]؛ وكنا نفاوض الكرامية[232]، والمعتزلة[233]، والمشبهة[234]،

---

(222) تقاة : أي تقية ، وفي ب تغاة .

(223) كلمة (الا) ساقطة في ا ، ثابتة في ب.

(224) كلمة (بالغوير) ساقطة في ب.

(225) فقيه بيت المقدس وصوفيها ، انظر العارضة 8/139 - 140 .

(226) العجوة : التمر المحشي في وعائه ، وقيل تمر بالمدينة .

(227) الصفقة : العقد .

(228) جمعت مالي ربا : أ ، جمعت بين مالي ربا : ب .

(229) والتقويم والنظر : ب ، والنظر والتقويم : أ .

(230) قيضت : أ ، قبصت : ب ـ ومعنى (قيضت) : شقت البيضة عنها وخرجت .

(231) وهذا يدل على ذكاء نادر ، وحافظة قوية لابن العربي .

(232) أتباع محمد بن كرام ـ بفتح الكاف وتشديد الراء ـ وهم يرون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب ، وابن كرام دفين القدس .
انظر مقالات الإسلاميين : 141 ، والفرق بين الفرق : 215 - 225 ، والملل والنحل للشهرستاني 1/44 .

(233) ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، انظر مقالات الإسلاميين 1/235 والملل والنحل 1/56 ، والفرق بين الفرق 114 .

(234) والمشبهة فريقان: فريق يشبهون ذات الله بذات غيره، وفريق آخر يشبهون صفات الله بصفات غيره .

واليهود؛ وكان لليهود بها حبر منهم يقال له التستري، لقنا فيهم، ذكياً بطريقتهم؛ وخاصمنا النصارى بها ـ وكانت البلاد لهم[235] يكرون ضياعها، ويلتزمون أديارها[236]، ويعمرون كنائسها.

وقد حضرنا يوماً مجلساً عظيماً فيه الطوائف، وتكلم التستري الحبر اليهودي على دينه، فقال: اتفقنا على أن موسى[237] نبي مؤيد بالمعجزات[238]، معلم بالكلمات[239]؛ فمن ادعى أن غيره نبي، فعليه الدليل[240]! ـ وأراد من طريق الجدل أن يرد الدليل في جهتنا حتى يطرد له المرام، وتمتد أطناب الكلام.

فقال له الفهري: إن أردت به موسى[241] الذي أيد بالمعجزات وعلم الكلمات، وبشر بأحمد[242]؛ فقد اتفقنا عليه معكم، وآمنا به وصدقناه؛ وإن أردت به موسى آخر، فلا نعلم ما[243] هو؟.

فاستحسن ذلك الحاضرون، وأطنبوا بالثناء عليه؛ وكانت نكتة جدلية عقلية قوية[244]، فبهت الخصم، وانقضى الحكم؛ ولم نزل على تلك

---

(235) كلمة (لهم) ـ ساقطة في ب.

(236) جمع دير: خان النصارى يلجأ إليه الرهبان للعزلة.

(237) يعني موسى بن عمران نبي الله ـ عليه السلام.

(238) المعجزة هي: الأمر الخارق للعادة المطابق لدعوى الأنبياء، وتخويفهم لأممهم.

(239) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾.

(240) الدليل هو: ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه ـ إلى معرفة ما لا يعلم باضطراره.

انظر التعريفات للجرجاني ص 93.

(241) بموسى: أ، به موسى ـ بزيادة (به) وهي أنسب.

(242) بأحمد: أ، بمحمد: ب.

(243) ما: أ، من: ب.

(244) قوية عقلية: أ، عقلية قوية: ب ـ وهي أنسب.

السجية، حتى اطلعت - بفضل الله - على أغراض العلوم الثلاثة: علم الكلام[245]، وأصول الفقه[246]، ومسائل الخلاف[247] التي هي عمدة الدين، والطريق المهيع إلى التدرب في معرفة أحكام المكلفين؛ الحاوية للمسلك[248] والدليل، الجامعة للتفريع والتعليل.

وقرأنا المدونة[249] بالطريقتين: القيروانية في التنظير والتمثيل، والعراقية على ما تقدم من معرفة الدليل؛ وفي أثناء ذلك ورد علينا برسم زيارة الخليل - صلوات الله عليه، ولنية الصلاة في المسجد الأقصى - جماعة من علماء خرسان[250]، كالزوزني[251]، والصاغاني[252]، والزنجاني[253]، والقاضي

---

(245) هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة .
انظر مقدمة ابن خلدون 826 .

(246) هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف .
انظر المقدمة : 816.

(247) ويقال لها الخلافيات ، وقد نوه ابن خلدون بمقام ابن العربي والباجي في هذا الباب .
انظر المقدمة 809 ,823 ,824 .

(248) المسألة : أ، المسلك : ب - وهي أنسب .

(249) يعني مدونة سحنون برواية ابن القاسم . انظر المقدمة : 812.

(250) انظر معجم البلدان 2/350 - 354 .

(251) لعله أبو سعد أحمد بن محمد بن الشيخ علي بن محمد الزوزني . (ت 536 هـ) .

(252) نسبة إلى صاغان : قرية بمرو يقال لها جاغان - تعريب صاغان نسب إليها جماعة من الشيوخ .
انظر اللباب 2/229 .

253 - نسبة إلى زنجان مدينة على حد أذربيجان من بلاد الجبل ينسب إليها كثير من العلماء .
انظر اللباب 2/77.

الريحاني[254]؛ ومن الطلبة جماعة[255] كالبسكري[256] وساتكين[257] التركي.

فلما سمعت كلامهم، رأيت أنها درجة عالية، ومزية ثانية، وبز[258]، من المعارف أغلى، ومنزلة في العلوم أعلى؛ وكأني إذ سمعت كلامهم ما قرأت ما يقني[259]، ولا يكفي[260] في المطلوب ولا يغني؛ وكان من غريب الاتفاق الإلهي، أن المسألة التي سمعت أول دخولي بيت المقدس ـ ولم أفهم كلام القوم فيها، هي التي سمعت الصاغاني يتكلم عليها؛ فرأيت أنه أغوص[261] على جواهر[162] كتاب الله، واستنباط لا يدركه إلا من اصطفاه الله.

وكذلك سمعت كلام الزوزني في مسائل، منها: قتل المسلم بالذمي، فرأيته يقرطس على غرض الصاغاني، وينظرون إلى[263] المطلوب من حدقة واحدة، (ويلجون بيت المعارف من باب واحد)[264].

فاستخرت الله تعالى على المشي إلى العراق ـ وصورة المسألتين[265]،

---

(254) أبو الفضل القاضي الريحاني رئيس مدرسة أبي عقبة الحنفية، ويأتي بعد ـ حوار بينه وبين الصاغاني.
وانظر الأحكام 54/1.

(255) كلمة (جماعة) ساقطة في ب.

(256) كالبسكري: أ، كاليشكري: ب.

(257) وساتكين: أ، وساكتين: ب ـ وفي العواصم من القواصم: وكان صاحبنا أبو منصور ساتكين التركي ـ نزيل الثغر، وأبو محمد عبد العزيز قاضي البسكرة.
انظر ص: 286 ـ تحقيق عمار طالبي.

(258) بز: أ، بر: ب.

(259) يقني: أ، يعني: ب.

(260) كلمة (ولا) ساقطة في ب.

(261) أغوص: أ، غوص: ب.

(262) جواهر: أ، جواب: ب.

(263) كلمة (إلى) ساقطة في ب.

(264) ما بين القوسين ساقط في أ، ثابت في ب.

(265) المسألة: أ، المسألتين: ب ـ وهي أنسب.

وتشطير الكلامين، يكشف لك قناع الطريقتين.

قال مجلي في (أول)[266] مجلس: من قتل في الحرم أو في الحل، فلجأ إلى الحرم قتل؛ لأن الحرم بقعة لو وقع القتل فيها، لاستوفي القصاص بها؛ فكذلك إذا وقع القتل في غيرها، أصله[267] الحل.

فقال له خصمه: لا يمتنع أن يقع القتل فيها ولا تعصمه[268]، وإذا وقع[269] في غيرها ولجأ إليها عصمته؛ كالصيد إذا لجأ إلى الحرم عصمه، ولو صال على أحد في الحرم لما عصمه؛ وهذا الفقه صحيح، وذلك أن القاتل في غير الحرم إذا لجأ إليه فقد استعاذ بحرمته، واستلاذ بأمنته؛ وقد قال سبحانه: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾[270]، وإذا قتل فيه هتك[271] حرمته، وضيع أمنته، فكيف يعصمه؟.

قال له مجلي: هذا الذي ذكرت لا يصح ولا يلزمني، لأن الحرم[272] لم يحترم بحرمة القاتل ولا باعتقاده واحترامه، وإنما احترم لحرمة[273] الله ـ سبحانه ـ التي جعلها فيه، وحكم بها له؛ فسواء أقام (القاتل)[274] هذه الحرمة أم لم يقمها، لا يسقط شيء منها؛ فكان من حقك أن تعصمه على كل حال، لقيام الحرمة في الحرم نفسه، وحكم الله بها له؛ ويخالف الصيد، فإن الله حرم الصيد علينا ما دمنا حرماً ـ أي محرمين ـ أو كائنين في الحرم؛

---

(266) كلمة (أول) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

267) أصله: أ، أصلها: ب.

(268) تعصمه: أ، يعصمه: ب.

(269) قتل: أ، وقع: ب ـ وهي أنسب.

(270) الآية: 97 سورة آل عمران.

(271) هتك: أ، فقد هتك ـ بزيادة (فقد): ب.

(272) الحرم: أ، الحرام: ب.

(273) لحرمة: أ، بحرمة: ب.

(274) كلمة (القاتل) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

لكن الصيد إذا صال على أحد لم يجز قتله، ولكنه يدفعه عن نفسه ـ وإن أدى إلى قتله؛ كالمسلم، فإنه احترم بحرمة الإسلام، وعصم دمه[275] بالشهادتين؛ فإذا صال[276] على أحد وجب دفعه ـ وإن أدى إلى ذهاب نفسه؛ وأما قوله سبحانه: ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾، فإنما عنى به ما كان عليه الحرم في الجاهلية من تعظيم الكفار له، وأمن اللائذ به منهم؛ ودار الكلام على هذا النحو.

ثم دخل علينا مدرسة أبي عقبة للحنفية ببيت المقدس بعد ذلك بمدة[277] ـ الصاغاني في جبة راع، وسلم واخترق الحلقة إلى أن قعد بإزاء الشيخ، وعليه سيما[278] الثروة وأسمال الرعية[279]؛ ففطن الشيخ ـ وهو القاضي الريحاني له، فقال: ولعل الشيخ من أهل هذه الرفقة[280] المسلوبة بالأمس؟ فقال له الصاغاني: نعم، فاسترجع له ودعا بالخير[281]؛ ثم قال له: وهو من أهل العلم ـ والله أعلم؟ ـ فقال: ما أنا إلا قرأت شيئاً يسيراً[282]. فقال القاضي للأصحاب ـ مبادراً: سلوه، فسألوه عن هذه المسألة؛ فقال: إذا لجأ (الجاني)[283] إلى الحرم فلا[284] يقتل، ففرح القاضي وقال: ـ وكأن الشيخ حنفي؟ فقال له[285]: نعم؛ فسئل عن الدليل، فاستدل بقوله سبحانه:

---

(275) دمه : أ ، نفسه : ب .

(276) فإذا : أ ، فإن : ب .

(277) جملة (بعد ذلك بمدة) ساقطة في ب .

(278) سيما : أ ، سحناء : ب.

(279) الرغبة : أ ، الرعية : ب ـ ولعلها الصواب .

(280) الفرقة : أ ، الرفقة : ب ـ وهي أنسب .

(281) بالخير ثم : أ ، بالخير عليه ثم ـ بزيادة (عليه) : ب.

(282) كلمة (شيئا) ساقطة في ب.

(283) كلمة (الجاني) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

(284) لا: أ ، فلا: ب ـ وهي أنسب .

(285) كلمة (له): ساقطة في ب.

﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾[286]، قال: قرىء[287]: ﴿ ولا تقتلوهم ﴾[288]؛ فإن قلنا بقراءة من قرأ: ﴿ ولا تقتلوهم ﴾ - فهو نص في مسألتنا، وإن قلنا بقراءة من قرأ: ﴿ ولا تقاتلوهم ﴾، كان تنبيهاً؛ لأنه إذا نهى عن القتال وهو سببُ القتل، فالنهي عن المسبب الذي هو القتل أولى.

قال له القاضي الريحاني: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾[289].

قال الصاغاني: القاضي أجل قدراً من أن يتكلم بهذا، وكيف ينسخ الخاص بالعام؟ وإنما ينسخ القول القول إذا عارضه، فبهتِ القاضي؛ وهذا ما لا جواب عنه لأحد!.

وأعجب لبعض المغاربة ممن قرأ الأصول يحكي عن أبي حنيفة أن العام ينسخ الخاص إذا كان متأخراً عنه، وهذا ما قال به قط.

ولولا أن أبا حنيفة ناقض فقال: لا يبايع في الحرم، ولا يكلم ولا يجالس ولا يعان بمأكل ولا بمشرب، ولا بملبس حتى يخرج عنه، فتؤخذ العقوبة منه، ما قام له في هذه المسألة[290] أحد؛ - إلى مناظرات كثيرة، ومسائل من التحقيق عديدة.

وخرجت حينئذ إلى عسقلان[291] متساحلاً، فألفيت بها بحر أدب يعب

---

(286) عبارة (عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، قال) ساقطة في ب.

(287) قرىء : أ ، وقرىء : ب .

(288) قرأ بذلك حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون : (ولا تقاتلوهم) .
انظر ابن مجاهد ، «كتاب السبعة» ص245, 324 .

(289) الآية : 5 سورة التوبة .

(290) كلمة (هذه) ساقطة في ب.

(291) مدينة على ساحل فلسطين جنوباً ، انظر معجم البلدان 122/4.

عبابه، ويغب ميزابه، فأقمت بها لأرتوي منه نحواً من ستة[292] أشهر؛ فلما كان في بعض الأوان، كنت منقلباً عن بعض الإخوان؛ إلى أن جئت لقم[293] طريق، وقد امتلأت[294] بالناس وهم منقصفون[295] على جارية تغني في طاق؛ فوقفت أطلب طريقاً أو أفكر في المشي على غيره، وهي تترنم للتهامي:

أقول لها والعيس تحدج[296] للنوى   أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر
أليس من الخسـران أن ليـاليـا   تمر بلا نفع وتحسب من عمري[297]؟!

فقلت[298]: محمد، هذا بشهادة الله وحي صوفي، وهاتف ديني؛ أنت المراد، وعليك دار هذا الترداد؛ ارحل من حينك إلى نيتك الأولى، وخذ بنفسك إلى ما هو الأحرى بك والأولى؛ وبادرت إلى داري وقلت لأبي: الرحيل، الرحيل، فليس هذا المنزل بمقيل؛ فسر بذلك[299]، إذ كان قبل يراودني عليه ـ وأنا[300] أمانعه عنه[301]؛ ودخلنا البحر في الحين إلى عكا[302]،

---

(292) ستة : أ ، ثلاثة : ب.
(293) لقم طريق : وسطه .
(294) امتلأت : أ ، امتلأ : ب .
(295) انقصف القوم : تدافعوا وتزاحموا .
(296) تحدج : أ ، تخرج : ب .
(297) ونسبهما ابن خلكان إلى الوزير أبي القاسم المغربي ، انظر وفيات الأعيان .
(298) فقلت محمد : أ ، فقلت لنفسي محمد ـ بزيادة (لنفسي): ب.
(299) بذلك إذ : أ، بذلك أبي إذ ـ بزيادة (أبي) : ب.
(300) وأنا : أ ، وكنت : ب .
(301) عليه : عنه : ب ـ وهي أنسب .
(302) عكا : مدينة على ساحل فلسطين الغربي .
انظر معجم البلدان 143/4 - 144.

وأنجـدنـا إلى طبـريـة[303] وحـوران[304]؛ وصمـدنـا[305] دمشق[306]، وفيها جماعة من العلماء، رأسهم[307] شيخ الوقت سناء وسناً، وعلماً وديناً: نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي - وأصحابه متوافرون، وهم على سبيل أهل[308] الأرض المقدسة سائرون، وفي مدرجتهم سالكون، وبتلك الدرجة متمكنون.

فلزمنا شيخنا نصر بن إبراهيم في[309] السماع، وانتهينا[310] إلى سماع كتاب البخاري بعد تقديم غيره عليه، وكان يقرؤه علينا بلفظه لثقل سمعه.

فلما بلغنا حديث أم زرع، قال لي: كنت أسمع الخطيب أبا بكر البغدادي[311] يقول في هذا الحديث: إن النبي - ﷺ - قـال في آخره - لعـائشة: كنت لـك كأبي زرع لأم زرع[312]، غيـر أنه طلقهـا - وأنا لا أطلقك[313].

---

(303) مدينة على بحيرة في فلسطين .
انظر معجم البلدان : 17 - 18

(304) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق .
انظر معجم البلدان 317/2 - 318 .

(305) صمد الشيء : قصده .

(306) دمشق : عاصمة سوريا .
وانظر معجم البلدان 463/2.

(307) جملة (جماعة من العلماء رأسهم) ساقطة في ب.

(308) كلمة (أهل) ساقطة في ب.

(309) في : أ ، على : ب.

(310) وانتهينا : أ ، إلى أن انتهينا : ب .

(311) أحمد بن علي بن ثابت الحافظ الثقة ، صاحب كتاب (تاريخ بغداد) (ت 463 هـ).
انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 1153/3 ، وطبقات الشافعية 29/4 ، ووفيات الأعيان 92/1 .

(312) جملة (لام زرع) ساقطة في ب.

(313) هذه الزيادة من رواية الزبير بن بكار . انظر فتح الباري 185/11 والحديث أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ولابن العربي تأليف خاص فيه ، كما =

فحفظتها سريرة، وطويتها ذخيرة؛ حتى دخلت مدينة السلام، فذاكرت بها أحفظ من لقيته فيهـا محمد بن سعدون[314]، فقال: لا أعرفها؛ ولقى أبا الحسين[315] الطيوري قبلي، فسأله عنها فقال: نـعم أعرفها، فأخرجها إليه - وفيها حديث أم زرع كاملاً: بأسماء النسوة ونسبهن، وفيها هذه الزيادة بعد ذكرهن، فقرأ ذلك عليه، وأخبرني به عنه.

ثم لقيت أبا الحسين، فكتبتها عنه، وقرأتها عليه من طريق الزبير؛ ثم قرأتها بعد ذلك على أبي المطهر القاضي[316] الوافد علينا من أصبهان حاجاً سنة تسعين من طريق الحارث بن أبي أسامة[317]، وفيها حتى ذكر كلب أم زرع؛ وقرأتها بعد ذلك على أبي عبدالله محمد بن **أبي العلاء**[318] من طريق الخطيب التي كان الشيخ نصر بن إبراهيم أشار إليها.

ذكر الرحلة إلى العراق:

ثم خرجنا إلى العراق، فلما نزلنا ضميراء -[319] آخر السواد[320] وأول

= ألف فيه القاضي عياض - كتابه «بغية الرائد، لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» نشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب سنة (1395 - 1975).

(314) محمد بن سعدون بن مرجي العبدري الميورقي، حافظ ثقة. (ت524 هـ).
انظر الصلة: 534، وتذكرة الحفاظ 1272/4، وشذرات الذهب 70/4.

(315) ثبت في النسختين (الحسن) بالتكبير، والصواب (الحسين) بالتصغير - المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطيوري ممن يعتز ابن العربي بمشيختهم. (ت 500 هـ).
انظر عارضة الأحوذي 245/2، وفهرسة ابن خير: 275, 277.

(316) عبد الله بن أبي الرجاء الأصبهاني.
انظر عارضة الأحوذي 245/3.

(317) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 619/2.

(318) ابو عبد الله بن **أبي العلاء المعدل**، أخذ عنه ابن العربي بدمشق.
انظر العارضة 141/12.

(319) موضع قرب دمشق، انظر معجم البلدان 463/3.

(320) العراق: أ، السواد: ب - وهي أنسب، والمراد بالسواد استاق العراق. أنظر معجم البلدان 272/3 - 275.

السماواة[321]، سقينا واستقينا؛ ثم خرجنا عنه مصحرين في السماوة - عشي يوم الأحد منسلخ شعبان[322] سنة تسع وثمانين وأربعمائة، فبينما[323] نحن نقطع المفاوز[324] إلى ماء يقال له: الأطواء[325]، أهل علينا هلال رمضان فكبر الناس، والتفت[326] إلى أبي - رحمه الله - يكبر بتكبيرهم[327]؛ فما صرفت بصري إليه كراهة في جهة المغرب التي كنا بها، وتشوقاً إلى جهة المشرق التي كنت أؤمها؛ واستمر بنا المسير، تظلنا السماء، وتقلنا السماوة؛ حتى بلغنا[328] بغداد، فنزلنا بها؛ وخرجت إلى جامع الخليفة يوم الجمعة، فصليت[329] وجلست إلى حلقة حسين الطبري[330]، النائب في ولاية التدريس بالدار النظامية[331] في ذلك الوقت؛ فسمعتهم يتكلمون في مسألة إجبار السيد عبده على النكاح، ولا يفوتني من كلامهم شيء من الفساد والصلاح.

ونظرت إلى حالي أول دخولي بيت المقدس - وأنا أسمع كلام

(321) بادية بين الكوفة والشام . انظر معجم البلدان 245/3 .

(322) جملة (منسلخ شعبان) ساقطة في ب .

(323) فبينا : أ، فبينما : ب.

(324) المفازة : أ ، المفاوز : ب.

(325) انظر معجم البلدان 219/1 .

(326) والتفت إلى أبي : أ ، والتفت أبي : ب.

(327) بتكبيرهم : أ، تكبيرهم : ب .

(328) بلغنا : أ، وصلنا : ب.

(329) وصليت : أ ، فصليت : ب - وهي أنسب.

(330) الحسين بن علي الطبري الشافعي (ت 498 هـ) .
انظر العبر للذهبي 301/3 ، وطبقات السبكي 152/3 .

(331) المدرسة التي أسسها نظام الملك في حدود (457 هـ) وكان أول من درس بها ابن الصباغ صاحب الشامل .
انظر وفيات الأعيان 129/2, 318/3 ، والكامل لابن الأثير 103/8 .

مجلي[332] في مسألة الحرم، وحالي حين دخولي بغداد وسماعي مسألة إجبار السيد العبد على النكاح؛ فهم قلبي يغيض[333]، ولساني[334] يفيض؛ ثم تماسكت، وليتني تكلمت؛ وعلى هذه الحال، فإني قلت لبعض الطلبة الذي كان يجاورني: كلام المستدل أقوى من كلام المعترض، فرمقني منكراً، وقال ـ لما رأى علي من صغر السن متعجباً ـ: أنى لك هذا؟ فقلت: أمر ظهر لي، وأعرضت عنه لئلا يتصل الكلام فيفطن لي[335].

وخرجت[336] من بعد ذلك إلى مجلس مجد الإسلام[337]، مؤيد السنة، أبي سعد الحلواني[338] بدرب الجاكرية؛ ولما دخلت عليه، جلست في مجلس متوسط منه[339] ـ وهم يتكلمون؛ فلما فرغوا من تلك المسألة، وأخذوا[340] في أخرى ـ وهي البكر الزانية هل تستنطق في النكاح، فاستدل شافعي منهم على أن حكمها حكم الثيب؛ فقال لي الحلواني: أيها الشيخ، إن كان عندك علم فتكلم[341]، وخصني حين رآني ارتقيت إلى مجلس رفيع وتهمم بي[342]؛ فقلت: إن أذن سيدنا فعلت، فقال: نعم؛ فقلت: استدل الشيخ الإمام بقول النبي ـ ﷺ ـ: الثيب يعرب عنها لسانها ـ (وهذه ثيب،

---

(332) لفظة (كلام) ساقطة في ب.

(333) يغيض: أ، يفيض: ب ـ ولعل الأنسب يغيظ ـ بالمشالة.

(334) ولساني: أ، وكاد لساني ـ بزيادة (وكاد): ب.

(235) لي: أ، بي: ب.

(336) كلمة (من) ساقطة في ب.

(337) الإسلام: أ، الأئمة: ب.

(338) يحيى بن علي بن حسن البزار، من أئمة الشافعية، ولي حسبة بغداد، والتدريس بالنظامية. (ت 520 هـ).

انظر طبقات السبكي 323/4، وكشف الظنون: 482.

(349) كلمة (منه) ساقطة في ب.

(340) وأخذوا في أخرى: أ، ودخلوا أخرى: ب.

(341) فتكلم: أ، تكلم: ب.

(342) كلمة (بي) ساقطة في ب.

وهذا لا حجة فيه؛ لأن النبي - ﷺ - قال: الثيب يعرب عنها لسانها)[343]، والبكر تستأمر في نفسها[344].

فعلق الحكم على الثيوبة والبكارة - وهما اسمان مشتقان، فإذا علق الشارع الحكم على اسم جامد، أفاد ما تفيده الإشارة، وهو[345] بيان المحل خاصة؛ وإذا علق الحكم على اسم مشتق، أفاد تعليل الحكم بمعنى الاسم؛ وهذا بين في الأصول، معلوم بالدليل؛ والثيوبة والبكارة اسمان مشتقان، فتعلق[346] الحكم بمعنى البكارة - وهو الاستحياء، ولذلك قال في الحديث: والبكر تستأمر في نفسها، قالوا: يا رسول الله، إنها تستحيي، قال: إذنها صماتها. فعلل الصمات بالحياء، وهي بعد الزنا أشد حياء منها قبل الزنا مع ما في النطق من إشاعة الفاحشة.

فأعجب الحلواني بكلامي[347] وقال: كذلك - والله - أعربت عن نفسك، وأبنت عن مكانك؛ وأدنى مجلسي[348]، وبقيت لديه مكرماً حتى فارقته؛ ثم فاوضت بعد ذلك العلماء، وواظبت المجالس، واختصصت[349] بفخر الإسلام أبي بكر الشاشي[350] فقيه الوقت وإمامه؛ فطلعت[351] لي

(343) ما بين القوسين ساقط في أ، ثابت في ب.

(344) أخرجه الخمسة مع اختلاف يسير.

أنظر الجامع الصغير بشرح فيض القدير 342/3.

(345) وهو : أ، وهي : ب.

(346) فعلق : أ، فتعلق : ب.

(347) بكلامي : أ، كلامي : ب.

(348) مجلسي : أ، محلي : ب.

(349) واختصصت : ب، واختصت : أ.

(350) هو محمد بن أحمد بن حسين بن عمر الشاشي، من كبار فقهاء الشافعية، وكان يدرس بمدرسة بناها لنفسه، ثم درس في النظامية. (ت 507 هـ).

انظر طبقات السبكي 57/4.

(351) وطلعت : أ، فطلعت : ب - وهي أنسب.

شمس[352] المعارف، فقلت : الله أكبر، هذا هو المطلوب الذي كنت أصمد، والوقت الذي كنت أرقب وأرصد؛ فدرست وقيدت، ورويت وارتويت، واستمعت ووعيت؛ حتى ورد علينا ذا نشمند[353]، فنزل برباط أبي سعيد بإزاء المدرسة النظامية ـ معرضاً عن الدنيا، مقبلاً على الله ـ تعالى؛ فمشينا إليه، وعرضنا أمنيتنا عليه؛ وقلت له: أنت ضالتنا الذي كنا ننشد، وإمامنا الذي به نسترشد؛ فلقينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة؛ وتحققنا أن الذي نقل إلينا من أن الخبر عن الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم، ولو رآه علي بن العباس[354] لما قال:

إذا ما مدحت أمرءاً غائباً   فلا تغل في مدحه واقصد
فإنك إن تغل الظنو   ن فيه إلى الأمد الأبعد
فيصغر من حيث عظمته   لفضل المغيب على المشهد

فإنه كان رجلاً إذا عاينته، رأيت جمالاً ظاهراً؛ وإذا عالمته، وجدت بحراً زاخراً؛ وكلما اختبرت، احتبرت[355]! فقصدت رباطه، ولزمت بساطه، واغتنمت خلوته ونشاطه؛ وكأنما[356] فرغ لي، لأبلغ منه أملي؛ وأباح (لي)[357] مكانه، فكتب[358] لي لقاه؛ في الصباح والمساء، والظهيرة والعشاء؛ كان في بزته أو بذلته ـ وأنا مستقل في السؤال، عالم (من)[359] حيث

(352) شمس : أ، شموس : ب.
(353) يعني به الإمام الغزالي .
(354) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي ، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي ـ (ت 283 هـ) .
انظر تاريخ بغداد 22/12 ، ومعجم الشعراء للمرزباني : 289 ، ودائرة المعارف الإسلامية 181/1.
(355) احتبرت : ابتهجت وسررت .
(356) وكأنما : أ ، وكأنه : ب .
(357) كلمة (لي) ساقطة في أ ، ثابتة في ب.
(358) فكتب لي لقاه : أ ، فكنت ألقاه : ب.
(359) كلمة (من) ساقطة في أ، ثابتة في ب.

تؤكل كتف الاستدلال؛ وألفيته حفياً بي في التعليم، وفياً[360] بعهدة التكريم.

وكان من صنع الله الجميل بي[361]، توفيقه لي إلى الإقامة بأرض الشام، في بقعة مباركة، وبين علماء[362]؛ حتى صار ذلك درجاً للقاء المحققين الذين ينتقدون ما حصلت، ويفسرون ما أجملت، ويوضحون ما أبهت، ويكملون ما نقصت؛ وصار ما حصل عندي من تلك المقدمات استعداداً لقبول الحقائق فيها، وتقييد الشارد من معانيها؛ وصار ذلك كمن يدخل المعدن فيجمع النضار برغامه[363]، ويحمله إلى دار السبك لتخليصه؛ ثم شرعت في القراءة عليه والسماع، والمباحثة والتتبع للمشكلات بالكشف عن خباياها، والدخول إلى زواياها، واشتفاف[364] رواياها؛ واستطعمته التحقيق، وباحثته عنه خالصاً من غير مشارك؛ واستقصيته عما كان إمام الحرمين[365] ـ رحمه الله ـ يحوم في كتبه عليه، ويشير في أثناء كلامه إليه[366]؛ فواساني مواساة الوالد، وآساني[367] بما لم تنله قط[368] الجماعة ولا الواحد؛ فلما طلع لي ذلك النور، وتجلى[369] عني ما كان تغشاني[370] من

(360) بعهدة : أ، في عهدة : ب.

(361) بي : أ ، في : ب .

(362) علماء : أ ، العلماء : ب.

(363) النضار : الذهب والفضة ، والرغام : التراب .

(364) واشتفاف: أ، واستشفاف : ب.

(365) أبو المعالي الجويني : (ت 478 هـ) .

انظر العبر 291/3 ، والكامل لابن الأثير 8/ 139، ووفيات الأعيان 167/3.

(366) ولعله يعني بذلك المغلقات الكلامية التي عرض لها الجويني في كتابه (البرهان) ، وواخذه المازري على قوله : إن الله لا يحيط بالجزئيات . وقال ابن العربي إنها زلة عظيمة لا تقوم بها استقامة العمر كله .

انظر قانون التأويل ورقة (153ب).

(367) وآساني : أ، وأنالني : ب.

(368) كلمة (قط) ساقطة في ب.

369) وتجلى ما كان : أ ، وانجلى عنه ما كان : ب .

(370) تغشاني : أ، يغشاني : ب.

الديجور[371]؛ قلت: هذا مطلوبي حقاً، هذا ـ بأمانة الله ـ منتهى السالكين، وغاية الطالبين للعلم المبين؛ إني تارك لما تطلبون، ونابذ ما كنتم تقولون؛

وقد علم هذا الإمام أني من السالكين في سبيل المهتدين، فسددني إلى سوائها، وأوجد لي[372] معلوم دليلها، وأرشدني إلى لقم ظاهرها وتأويلها.

وليس التحصيل بطول الصحبة، وإنما هو من فضل الله وموهبته؛ فقد صحب النضر بن شميل[373] الخليل[374] (بن أحمد)[375] ـ بضع عشرة سنة، وصحبه سيبويه[376] سنوات؛ فانظر إلى ما بين التحصيلين في المدتين، والمنزلتين فيما بين بين!.

ولقينا شيخ الشيوخ، وصاحب اللباب في العلم والرسوخ، إسماعيل الطوسي[377]، وقد بينا شرح ذلك في كتاب «**أعيان الأعيان**»[378].

---

(371) الديجور : الظلام .

(372) وأوجدني : أ ، وأوجد لي : ب ـ ولعلها أنسب .

(373) أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة المازني التميمي ، أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث ، وفقه اللغة . (ت 203 هـ).

انظر ابن الأنباري 110 ، وطبقات الزبيدي : 53 - 60 ، وغاية النهاية 341/2.

(374) أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي ، من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض . (ت 170 هـ) .

انظر إنباه الرواة 341/1، ووفيات الأعيان 172/1.

(375) جملة (بن أحمد) ساقطة في أ ، ثابتة في ب.

(376) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، الملقب بسيبويه ، إمام النحاة ، وأول من بسط النحو ، وانتظم قواعده .

انظر تاريخ بغداد 195/12، ووفيات الأعيان 385/1 ، والبداية والنهاية 176/10 .

(377) أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك بن علي الحاكمي الطوسي ، ويسميه ابن العربي ذانشمند الأكبر، برع في الفقه ، وكان الغزالي يكرمه ويقدمه على نفسه ،وكان شريكاً له في الدرس . (ت 529 هـ) .

انظر طبقات السبكي 204/4 .

(378) هذا الكتاب يعتبر مفقوداً إلى الآن .

ذكر المعرفة بأمير المؤمنين حين كان عوناً على طلب علم[379] الدين:

وكان أبو الحسن المبارك بن سعيد البغدادي[380] قد ورد علينا تاجراً سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة[381]، فأنزله المعتمد بن عباد[382] عندنا، فأكرمه أبي غاية الإكرام، وعقد عليه مجلسنا في السماع، وتخلى له عن مناظرته في مسجده، وصدر الرجل عنا راضياً؛ فبينما نحن نمشي بعد ورودنا مدينة السلام بأيام قلائل في سوق الريحانيين بها، إذ لقينا أبو الحسن بن الخشاب المذكور؛ فعانقنا، ودعا لنا؛ وقال لنا[383]: ههنا أنتم[384]، وكيف جئتم؟ فرس[385] له أبي الحديث[386]، وبقر له عن النجيث[387]؛ فمشى إلى الوزير عميد الدولة بن جهير[388]، فأعلمه بنا؛ وكنا قد حملنا من دمشق كتاب

---

(379) طلب علم الدين : أ ، معرفة الدين : ب.

(380) ويعرف بابن الخشاب ، حدث في الأندلس بكتاب الشهاب ، وتاريخ بغداد للخطيب ، وكان من أهل الصدق والثقة . (ت بعد 490 هـ) .
انظر الصلة : 599 ، وبغية الملتمس : 452 .

(381) كلمة (وأربعمائة) ساقطة في ب.

(382) انظر في سيرته : مطمح الأنفس : 11 - 12 ، والقلائد: 4 ، والبيان المغرب 257/3 ، والكامل لابن الأثير 177/8 ، ووفيات الأعيان 21/5.

(383) كلمة (لنا) ساقطة في ب.

(384) ههنا أنتم : أ، هأنتم هنا : ب.

(385) رسَّ الحديث : بدأه به وفتحه معه ، ويقال : رس الحديث : ردده وعاوده .

(386) أبي الحديث : أ ، أبي في الحديث ـ بزيادة (في) : ب.

(387) النجيث : السر ، وفي نسخة (ب): النحيث ـ بالحاء المهملة .

(388) الوزير عميد الدولة بن جهير : أ ، الوزير عبد الله بن حميد عميد الدولة : ب.
وابن جهير هو : محمد بن محمد بن محمد بن جهير أبو منصور ، استوزر لثلاثة خلفاء ، وكان نظام الملك يجله ، وصاهره بابنته زبيدة (ت 493 هـ).
انظر المنتظم 118/9 ، والنجوم الزاهرة 165/5 ، ووفيات الأعيان 131/5 ، والكامل لابن الأثير 8 /222 .

واليها[389]، وجماعة من رؤسائها ـ إلى الوزير عميد الدولة؛ وكتاب القاضي نجم القضاة الشهرستاني بالتقريظ لنا، والتنبيه على مكاننا؛ فدخلنا الديوان إلى الوزير، ووقف على ما كان عندنا، ورفع إلى أمير المؤمنين[390] أمرنا؛ فأمر بتكرمتنا وإدنائنا، وأجرى معروفاً كبيراً لنا، وأباح الديوان بمدخلنا ومخرجنا[391]؛ فوقرتنا العلماء، وأكرمتنا المشيخة، وأظهرت الجماعة لنا المزية، ونعم العون على العلم الرئاسة[392].

ذكر التوصل إلى المطلوب من العلم:

وكنت إبان طلبي في الأقطار، ودرسي آناء الليل والنهار، ولقائي أولي

---

(389) هو دقماق بن تتش بن ألب أرسلان من سلاجقة تركيا، وكانت ولايته سنة (488 هـ). وتوفي سنة (497 هـ).
انظر البداية والنهاية 163/12، والكامل لابن الأثير 222/8، والنجوم الزاهرة 189/5، وشذرات الذهب 405/3.

(390) الخليفة المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن الخليفة المقتدي بالله بويع بالخلافة بعد موت أبيه في ثامن عشر المحرم سنة (489 هـ) ـ وعمره سبع عشرة سنة وشهران، وكان ميمون الطلعة، حميد الأيام، لين الجانب، كريم الأخلاق، حسن الخط، جيد التوقيعات، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وأياما. (ت512 هـ). انظر النجوم الزاهرة 215/5 ـ 216، والكامل لابن الأثير 8 / 170، وشذرات الذهب 33/4.

(391) لم يشر المؤلف ـ هنا ـ إلى الدور السياسي الذي قام به هو ووالده في ديوان الخليفة العباسي من أجل الوحدة الإسلامية، وربط الصلة بين المشرق والمغرب التي انفصمت منذ أزمان حتى قيل: المشرق مشرق، والمغرب مغرب ـ ولن يلتقيا!
وقد أثمرت جهود الرجلين، وصدرت في ذلك عدة مراسيم وخطابات وفتاوى.
وقد خصص لهذا الموضوع ـ كما أسلفنا ـ كتابه: (شواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان) ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1020 ـ د).
وحاولنا تلخيص ذلك في قسم الدراسة ص (52 - 64) من هذا المطبوع.

(392) وابن العربي يرى أسباباً لذلك، وقد بسطها كل البسط ـ في كتابه: (قانون التأويل) قبيل باب (ذكر القول في تفسير القرآن بالرأي).

البصائر والأبصار؛ لا أمل لي إلا التشوف إلى المقصود الأسنى، المنتحى في كل معنى ـ وهو معرفة الله تعالى؛ لأنا إن نظرنا في[393] العالم لم ننظر فيه من حيث إنه متقن الصنعة، أو جميل المنظرة، أو عام المنفعة، أو كبير الجرم؛ وإنما نهتبل به، ونقبل بوجه النظر إليه من حيث أنه صنعة الله.

وإن نظرنا في[394] النبي ـ ﷺ ـ لم ننظر فيه من حيث إنه آدمي، أو قرشي، أو ذو منظر بهي؛ وإنما ننظر فيه من حيث إنه رسول الله.

وإن نظرنا في[394] أعمالنا، لم ننظر فيها من حيث إنها حركات تجلب منفعة، أو تدفع مضرة؛ وإنما ننظر فيها من حيث إنها خدمة الله، أو مخالفة[395] أمر الله.

فالمقصود بكل نظر، وفي كل قول وعمل، إنما هو الله سبحانه؛ وحيث استنورت الطريق[396]، ولاحت لي جادة التحقيق؛ وتحقق[397] عندي أن كتاب الله هو المرشد إليه، والدليل عليه، لم آل (جهداً)[398] في الترقي إلى درج المعرفة؛ وإذا لم يأت العبد من الله سداده، ولا كان من بحره استمداده، لم يغن عنه اجتهاده[399].

فقرأت من كتب التفسير كثيراً، ووعيت من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ عيوناً؛ كتفسير الثعلبي[400] ـ الذي كان وقفاً في كتب الصخرة المقدسة،

---

(393) في : أ ، إلى : ب.

(394 - 394) في : أ، إلى : ب.

(395) مخالفة : أ ، تخالف : ب.

(396) أي استبانَ له ووضح.

(397) كلمة (وتحقق) ساقطة في ب.

(398) كلمة (جهداً) ساقطة في أ ، وهي ثابتة في ب ، والمعنى يقتضيها.

(399) نثر المؤلف قول الشاعر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

(400) المسمى بـ(الكشف والبيان ، في تفسير القرآن) ـ والثعلبي هو أبو اسحاق =

ونسخه الطرطوشي فزاد فيه ونقص فجاء تأليفاً له؛ وكتاب الماوردي[401]، ومختصر[402] الطبري، وكتاب ابن فورك[403] ـ وهو أقلها حجماً، وأكثرها علماً، وأبدعها تحقيقاً؛ وهو ملامح[404] كتاب[405] المختزن الذي جمعه في التفسير الشيخ أبو الحسن[406] ـ في خمسمائة[407] مجلد، وكتاب النقاش[408] وفيه حشو كبير.

= أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. (ت 427 هـ).
انظر طبقات المفسرين للداودي 65/1، 571/2، وطبقات السبكي 58/4، وكشف الظنون 1496/2، وفهرسة ابن خير: 59.

(401) أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي المشهور بالماوردي. (ت 450 هـ). وتفسيره قد اختصره أبو الفيض محمد بن علي بن عبد الله الحلي.
انظر كشف الظنون 458/1، وطبقات المفسرين للداودي 424/1، وطبقات الشافعية 267/5.

(402) هو لأبي يحيى محمد بن صمادح التجيبي (ت 419 هـ) ـ وهو مطبوع.

(403) أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري، المعروف بابن فورك (ت 406 هـ) وتفسيره أحسن تفسير ـ في نظر ابن العربي ـ تركيزاً وتحقيقاً وإبداعاً.
انظر ترجمة ابن فورك في: كشف الظنون 439/1، وطبقات المفسرين للداودي 129/2، وطبقات الشافعية 127/4، ووفيات الأعيان 110/3.

(404) ملامح: مشابه.

(405) ملامح كتاب: أ، ملامح من كتاب ـ بزيادة (من): ب.

(406) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإمام المشهور، توفي في حدود ثلاثين وثلاثمائة (330 هـ).
انظر في ترجمته:
تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص 117، وص 136، وطبقات المفسرين للداودي 390/1، وتذكر الحفاظ 821/3، والديباج المذهب: 193، وطبقات الشافعية 347/3 ـ وقد تنازعته المالكية والشافعية.

(407) ذكر المقريزي أن هذا التفسير في سبعين مجلداً، وانظر العواصم من القواصم لابن العربي ـ هامش ص (129).

(408) هو أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش قالوا فيه إنه منكر الحديث. (ت 351هـ). =

ومن كتب المخالفين كثيراً، ومن المسانيد جماً غفيراً؛ وأكثر ما قرأت للمخالفين، كتاب عبد الجبار الهمذاني[409]، الذي سماه بـ (المحيط) ـ مائة سفر[410]، وكتاب الرماني[411] عشر مجلدات؛ وفاوضت فيه علماء المخالفين والمؤالفين، وأهل السنة والمبتدعين؛ فاستفدت من أهل السنة، وجادلت بالتي هي أحسن ـ أهل البدعة.

وأفنيت عظيماً من الزمان في طريقة الصوفيين[412]، ولقيت رجالاتهم

= وتفسيره هو : (شفاء الصدور في تفسير معنى القرآن الكريم) .
انظر كشف الظنون 105/2 ، وتذكرة الحفاظ 908/3 ، وطبقات المفسرين للداودي 131/2 ، وشذرات الذهب 8/3.

(409) أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني المعتزلي المتكلم ، قاضي القضاة (ت 415 هـ) .
وتفسيره (المحيط) أخذه ـ كما يقول ابن العربي ـ من كتاب (المختزن) لأبي الحسن الأشعري ـ العواصم من القواصم 75/1 ، وانظر في ترجمة القاضي عبد الجبار : طبقات المفسرين للداودي 256/1 ، وتاريخ بغداد 113/11 ، وشذرات الذهب 202/3 ، ولسان الميزان 386/3 .

(410) سفر : أ، مجلدة : ب.

(411) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، النحوي المقرىء المفسر ، ويصفه ابن العربي في قانون التأويل ـ بالمتبدع . (ت 384 هـ) .
انظر في ترجمته :
طبقات المفسرين للداودي 419/1 ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 120 ، ووفيات الأعيان 299/3 ، وبغية الوعاة : 180 ، وكشف الظنون 447/1 .

(412) وهذا نص صريح في أن أبا بكر بن العربي سلك طريق التصوف ، وتتلمذ لكثير من الشيوخ ، وربما يتناقض هذا مع ما له من حملات عنيفة على الصوفية ومذاهبهم كما نجد ذلك في أكثر كتبه .
ويكفي أن نعرف موقفه الصارم من العشق الإلهي الذي تردد في كتب التصوف ، ولم يسلم من هجومه حتى شيخه أبو حامد الغزالي الذي تلمذ له طويلاً .
انظر سراج المريدين ورقة (106) . وقارنه مع ما للغزالي في (الإحياء) ج 280/2، 296، 297، وج 311/4 ، 327 ، 328.

في تلك البلاد أجمعين، وما كنت أسمع بأحد يشار إليه بالأصابع، أو تثنى عليه الخناصر، أو تصيخ إلى ذكره الآذان، أو ترفع إلى منظرتـه الأحداق؛ إلا رحلت إليه قصياً[413]، أو دخلت إليه قرياً[414].

---

(413) القصي : البعيد .

(414) قرياً : أ، قريباً : ب ، والأنسب نسخة أ ، ومعنى (قريا): قاصداً ، من قرا إليه قرواً : قصد .
انظر لسان العرب (قرا) .



الفهـــارس



1 ـ فهرس الموضوعات

تقـديـم

ذكر ابتداء طلب العلم

ذكر الرحلة في طلب العلم

ذكر ما لقيه من الشيوخ في رحلته

ذكر التوصل إلى المطلوب من العلم

2 ـ فهرس الأعلام

3 ـ فهرس الكتب الواردة في المتن

الكتاب	المؤلف
ـ إصلاح المنطق	يعقوب بن السكيت
ـ الأصول	ابن السراج
ـ الأصول والأركان	إقليدس
ـ أعيان الأعيان	أبو بكر بن العربي
ـ الأمالي	أبو علي القالي
ـ الإيضاح	أبو علي الفارسي
ـ تأليف	محمد بن أحمد السمناني
ترتيب الرحلة	أبو بكر بن العربي
ـ التفسير	أبو الحسن الماوردي
ـ التفسير	أبو بكر النقاش
ـ التفسير	أبو إسحاق الثعلبي
ـ التفسير	ابن فورك
ـ التفسير	أبو الحسن الرماني
ـ الجمل	الزجاجي
ـ ديوان شعر	أبو تمام
ـ ديوان شعر	أبو الطيب المتنبي
ـ السنن	أبو داود السجستاني
ـ شرح الأشعار الستة	الأعلم الشنتمري
ـ الصحيح	أبو عبد الله البخاري
ـ الفصيح	أحمد بن يحيى ثعلب

الكتاب	المؤلف
ـ الكافي	ابن النحاس
ـ الكتاب	سيبويه
ـ كتاب في النحو	الديريود القرطبي
المحيط	القاضي عبد الجبار
المختزن	أبو الحسن الأشعري
ـ مختصر تفسير الثعلبي	أبو بكر الطرطوشي
ـ مختصر الطبري	أبو يحيى بن صمادح التجيبي
ـ المدونة	سحنون
ـ المقتضب	أبو العباس المبرد
ـ المقنع	ابن النحاس
ـ الواضح	أبو بكر الزبيدي

4 ـ فهرس القبائل والشعوب والطوائف

5 ـ فهرس البلدان والأماكن

6 ـ فهرس مصادر التحقيق

ـ أ ـ

ـ إتحاف أهل الزمان ـ لابن أبي الضياف ـ نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية تونس 1963.
ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي طـ الأولى: 1331 هـ ـ مطبعة السعادة بمصر.
ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ـ تحقيق البجاوي طـ الثانية مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة: 1387 ـ 1967.
ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.
ـ الإقناع في القراءات السبع ـ لابن الباذش ـ تحقيق: د عبد المجيد قطامش نشر جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية طـ دار الفكر بدمشق 1403 هـ.
ـ إنباه الرواة، على أنباء النحاة ـ للقفطي طـ دار الكتب المصرية 1369 ـ 1374 هـ.

ـ ب ـ

ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ نشر مكتبة المعارف ـ بيروت 1966.
ـ بغية الرائد، لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ـ لأبي الفضل عياض ـ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميةة بالمغرب، مطبعة فضالة. 1395 ـ 1975 ـ المحمدية.
ـ بغية الملتمس للضبي طـ مجريط: 1884 م.
ـ بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي ـ نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
ـ البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ـ نشر دار الثقافة ـ بيروت.
ـ بيوتات فاس الكبرى ـ شارك في تأليفه إسماعيل الأحمر ـ طبع دار المنصور: 1972.

ـ ت ـ

ـ تاج العروس للشيخ مرتضى ـ المطبعة الخيرية : 1306 هـ.
ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ ط مصر: 1349 هـ.

- تبيين كذب المفتري لابن عساكر - ط دمشق: 1347 هـ.
- تذكرة الحفاظ للذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- التكملة لابن الأبار - نشر العطار مصر: 1375 - 1955.
- ترتيب المدارك لأبي الفضل عياض - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- التعريفات للجرجاني - ط مصطفى البابي الحلبي، مصر: 1357 - 1938 م.
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني - استانبول: مطبعة الدولة: 1930.

- ج -

- الجواهر المضية، في طبقات الحنفية - لعبد القادر بن محمد القرشي، طبع حيدر آباد 1330 هـ.

- ح -

- حاشية على الزرقاني للشيخ الرهوني - ط بولاق مصر 1306 هـ.
- حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي - المطبعة الشرفية.
- الحلل السندسية، في الأخبار التونسية لمحمد بن محمد الوزير السراج، تحقيق محمد الحبيب الهيلة - الدار التونسية للنشر: 1970.

د -

- دائرة المعارف الإسلامية ط مصر 1352 - 1933.
- الديباج المذهب لابن فرحون - الطبعة الأولى 1351.
- الديباج المذهب لابن فرحون - تحقيق أبي النور، دار التراث للطبع والنشر 1972.

- ر -

- رحلة ابن جبير ط دار صادر - بيروت: 1384 - 1964.
- الرعاية في تجويد القرآن لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د أحمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة والنشر دمشق 1393 - 1973.
- روض القرطاس في تاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع، شركة النشر المغربية 1355 - 1936.
- الروض المعطار للحميري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر 1937 - القاهرة.

- س -

- سراج المريدين لأبي بكر بن العربي - مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 2048 ب.

- ش -

- شجرة النور الزكية لمحمد محمود مخلوف - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان: 1349.
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- شرخ البرقوقي على ديوان أبي الطيب المتنبي. الطبعة الثانية: 1357 - 1938 - مطبعة الاستقامة - القاهرة.

- ص -

- صبح الأعشى للقلقشندي - المطبعة الأميرية بالقاهرة: 1334 - 1916.
- صحيفة معهد الدراسات الإسلامي بمدريد - مقال عن القاضي ابن العربي - للدكتور حسين مؤنس (م 11 - 12).
- الصلة لابن بشكوال - نشر العطار: 1374 - 1955.

- ط -

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي - المطبعة الحسينية بمصر.
- طبقات المفسرين للداودي، تحقيق علي محمد عمر - مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة: 1392 - 1972.
- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي - تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة دار المعارف 1973.

- ع -

- العبر في تاريخ البربر - مع المقدمة - لابن خلدوون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1956.
- العبر في خبر من غبر للذهبي - تحقيق: فؤاد سيد - الكويت 1961.
- عنوان الدراية للغبريني - نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - بيروت 1969.
- العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي - الطبعة الجزائرية 1345 - 1926.
- العواصم من القواصم لابن العربي - تحقيق: د عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر.

- غ -

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري - ط مصر 1351 هـ.

- ف -

- فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط مصطفى البابي الحلبي 1378 - 1959.
- الفرق بين الفرق للبغدادي - تحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة محمد علي صبيح - مصر.
- فهرسة ابن خير - المكتب التجاري بيروت - مؤسسة الخانجي - القاهرة: 1968.
- الفهرست لابن النديم - مطبعة الاستقامة - القاهرة.
- فيض القدير على الجامع الصغير للمناوي، ط مصطفى محمد. 1357 - 1938.

- ق -

- قانون التأويل لأبي بكر بن العربي (مخطوطة خاصة).
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان ط مصر 1284 هـ.

- ك -

- الكامل لابن الأثير طبع مصر 1303 هـ.
- كتاب السبعة - لابن مجاهد - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف مصر.
- كشف الظنون لحاجي خليفة - نشر مكتبة المثنى - بغداد.

- ل -

- اللباب، في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري، مكتب المثنى - بغداد.
- لسان العرب لابن منظور، ط بولاق مصر 1300 هـ.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط مؤسسة الأعلمي - بيروت 1390 - 1971.

- م -

- مجلة «الأبحاث اللبناني» - مقال حول رحلة ابن العربي - دار إحسان عباس س 21 - ج 1.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة مصر.
- مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة - لشرف الدين المغيلي - مخطوط الخزانة الحسنية بالمغرب - ضمن مجموع رقم (12852).
- المرقبة العليا للنباهي - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان.
- المسالك والممالك للاصطخري - نشر وزارة الإرشاد القومي بمصر: 1381 - 1961.
- مطمح الأنفس للفتح بن خاقان - مطبعة السعادة مصر.

ـ معالم الإيمان للدباغ ـ تحقيق محمد ماضور.
ـ المعجب في أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1368 ـ 1949.
ـ معجم البلدان لياقوت الحموي طـ دار صادر بيروت ـ لبنان 1376 ـ 1957.
ـ معجم الشعراء للمرزباني ـ تحقيق عبد الستار فـراج 1379 ـ 1960.
ـ المغرب، في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبيد البكري طبع الجزائر 1857 م.
ـ المغني لابن هشام ـ نشر دار الفكر بدمشق 1384 ـ 1964.
ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي طـ القاهر 1342 هـ.
ـ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر.
ـ الملل والنحل للشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني طـ مصطفى البابي الحلبي: 1381 ـ 1961.
ـ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ـ لابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام، نشر المكتبة العتيقة بتونس.

ـ ن ـ

ـ النجوم الزاهرة ـ لابن تغري ـ نشر وزارة الإرشاد القومي بمصر.
ـ نفـح الطيب لأبي العباس المقري ـ تحقيق د إحسان عباس طـ دار صادر بيروت: 1388 ـ 1968.

ـ و ـ

ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ نشر مكتبة النهضة المصرية: 1367 ـ 1948.

7 ـ فهرس موضوعات الدراسة

الفصل الثاني

عودة ابن العربي ـ ووظائفه

الفصل الثالث

تلاميذه ـ أسرته ـ وفاته

الفصل الرابع

آثــاره

الفهـارس العامـة

الرقم 1987/4/3000/61
التنفيذ: كومبيوتايب للصف الطباعي الالكتروني
الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير - بيروت